دراسات في الشعر والأدب

تاريخ علوم البلاغة
والتعريف برجالها

تأليف
أحمد مصطفى المراغي
أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية
بكلية دار العلوم سابقًا

قرأه وضبطه وعلق عليه وقدم له
أ. د. حلمي محمد القاعود

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

810,9
ا . ح

القاعود، حلمي محمد .
تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها / حلمي محمد القاعود.- ط1.-
دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، دار الجديد للنشر والتوزيع.
232 ص ؛ 17.5*25 (دراسات في الأدب والشعر)
تدمك : **978 - 977 – 308 - 770 – 8**
1. الأدب العربي – تاريخ ونقد.
أ. العنوان

رقم الإيداع : **14174**

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتـف- فاكس : 0020472550341 محمول : 00201097564757-00201277554725
E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم 71 زرالدة الجزائر
هاتف : 24308278 (0) 002013
محمول 661623797 (0) 002013 & 772136377 (0) 002013
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

2021

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــــم

دراسة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، واشهد أن محمد عبد الله ورسوله، حمل الأمانة، وبلغ الرسالة، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله، وأصحابه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين ..

وبعد:

فهذا الكتاب يمثل مرحلة جديدة من مراحل تطور التأليف البلاغي في العصر الحديث ، فقد تجاوز صاحبه نمط التأليف الذي كان سائدا من قبل، حيث شهد التأليف في تطور البلاغة وحركة الاهتمام بها حالة من الجمود والجفاف ، حتى مطالع العصر الحديث، ولعل كتاب الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية ، لحسين المرصفي (ت 1307هـ = 1890م) ؛ الذي كان في الأصل محاضرات ألقاها على طلبته في دار العلوم في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، يمثل البداية لمحاولة خدمة البلاغة العربية بطريقة مغايرة إلى حد ما عن طرق السابقين ، وإن كانت البلاغة قد جاءت في الكتاب ضمن علوم أخرى مثل النحو والصرف والعروض والقافية وفنون النظم بالعامية يسبقها حديث عن المنطق وعلم الكلام وتعريف الأدب ، ويليها كلام عما يرتبط بالعلوم التي تجعل الكاتب أو الأديب ينهض بالتعبير بصورة جيدة.

وقد توالت محاولات تقديم البلاغة العربية إلى الطلاب في دار العلوم والأزهر على هيئة محاضرات أو تلخيصات لكتب قديمة بأسلوب ميسر إلى حد ما،

أو شروح تحاول تقريب المادة إلى أذهان الطلاب، وخاصة في الأزهر الشريف، وفي كل الأحوال لم يكن لأي منها وجود مهم أو مختلف عما سبقه ..

بيد أن طبيعة التطور الثقافي الذي شهده النصف الأول من القرن ، دفع ببعض الأفكار إلى الظهور ومحاولة تطبيقها، خاصة بعد إنشاء الجامعة المصرية ، والاتصال بالدراسات الغربية الحديثة .فكانت هناك مقارنات بين البلاغة العربية، وغيرها، مع الاستفادة من المناهج الجديدة، وتلمس الأثر الفلسفي والاتجاه العقلي في البلاغة العربية، وارتفعت أصوات عديدة تنادي بالتجديد والإصلاح اللغوي. إلى جانب استدعاء التراث العربي القديم بتحقيقه ودراسته ونشره حيث ظهرت مجموعة من أبرز الكتب وأهمها، مثل: الصناعتين لأبي هلال العسكري ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، والوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي عبد العزيز الجرجاني ، والموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ، وإعجاز القرآن للباقلاني ..وغيرها.

ويعد أمين الخولي من أبرز الذين بذلوا محاولات تجديدية على أسس علمية في هذا الفترة ، فقد نشر بعض أبحاثه وكتبه التي اهتمت بالتركيز على الجوانب الفلسفية والعقلية والنفسية ، ومن هذه البحوث " من تاريخ البلاغة"، والبلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها"، و"مصر في تاريخ البلاغة "، و"البلاغة وعلم النفس"، و"البلاغة"، ثم " فن القول " الذي يعد كما يقول بعض الباحثين مثلا جديدا للدراسة البلاغية على أصول التجديد التي دعا إليها الخولي بحماسة شديدة .

وكانت آراء الخولي وعدد من زملائه في الجامعة المصرية مرحلة مهمة في الدعوة إلى التجديد والإصلاح اللغوي والبلاغي معا ، ويعد كتاب الخولي " مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب " صورة مركزة لآرائه وأفكاره حول التجديد والإصلاح في هذه المجالات . (لمزيد من التفصيل انظر: عبد الكريم

محمد الأسعد ، أحاديث في تاريخ البلاغة وفي بعض قضاياها، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ،1405هـ = 1985م ، ص 118 وما بعدها).

ولم يخل الأمر من محاولات تجديد غير علمية ، تحركها عواطف غير منضبطة ، ولعل أبرز المحاولات في هذا السياق ما قام به سلامة موسى في كتابه المشهور "البلاغة العصرية " ؛ الذي وقف فيه موقفا حادا متطرفا من البلاغة العربية بل من اللغة العربية ذاتها ، وقد استفز موقفه آخرين من الأدباء والكتاب ، فكان أبرز من ردّوا عليه ، صاحب الرسالة " أحمد حسن الزيات " بكتابه المشهور " دفاع عن البلاغة " .

وفي هذه الفترة وما بعدها ظهرت إلى الأفق كتب عديدة تتناول تاريخ البلاغة ، معظمها داخل الإطار الأكاديمي ، بقصد تدريس البلاغة للطلاب، ومنها كتاب " أحمد مصطفي المراغي " الذي بين أيدينا (تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها) الذي ظهر عام 1369هـ = 1950م ، وقد سبق المراغي هذا الكتاب ببعض المحاولات الأخرى في التأليف البلاغي على نهج السابقين في العصور القديمة، وهي مختصرات بعنوان "تعليقات على أسرار البلاغة"، وأخرى على "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر ، و"مرشد الطالب في البلاغة"، والجزء الثاني من "هداية الطالب" .

كما حاول التأليف على طريقتي عبد القاهر الجرجاني والسكاكي فكتب " علوم البلاغة " ؛ في لغة أدبية ملحوظة ، مع الالتزام بالأسس المنطقية والعقلية . ثم كتب "بحوث وآراء في علوم البلاغة" وفقاً لتلخيص القزويني في علمي البيان والبديع دون علم المعاني، محاولاً الابتعاد عن المنطق والفلسفة، والخلاف والاستطراد، مع الإكثار من النصوص الجيدة وتحليلها والكشف عن النكت البلاغية فيها، حتى وصل إلى تأليف كتابه "تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها"، وتبعه عدد من المؤلفين أبرزهم شوقي ضيف في كتابه "البلاغة تطور

وتاريخ" الذي ظهرت طبعته الأولي عام 1965م، وكان مرجعا لكثير من الباحثين في تاريخ البلاغة، وقد تميز بالاهتمام بالتفاصيل، وحركة تطور الدرس البلاغي منذ العصر الجاهلي حتى مرحلة البديعيات أو ما يسميه مرحلة العقم والجمود ، أكثر من اهتمامه بالترجمة لرجال البلاغة ودارسيها كما فعل المراغي ، يضاف إلى ذلك محاولة شوقي ضيف تصوير الترابط الوثيق بين تاريخ البلاغة العربية وبين الأدب العربي في تطورهما الذي انتهي بهما إلى الجمود والتعقيد والجفاف والتكرار الممل، وهو ما استمر حتى بداية عصر النهضة العربي الحديث.

وفي كل الأحوال فإن كان كتاب المراغي يعد الرائد في تقديم تاريخ البلاغة بصورة سهلة وميسرة ، نتناولها بعد الوقوف على شيء من سيرته الذاتية.

* * * * * *

المؤلف:

يلاحظ أن المراغي ترجم لنفسه في آخر كتابة " تاريخ علوم البلاغة ، والتعريف بأهم رجالها " ، فقد وضع نفسه واحداً من رجال البلاغة الذين تتابعوا عبر التاريخ، وهي ترجمة وافية بلا ريب، وتشير إلى أبرز محطات حياته .

ويلاحظ أن مؤلف الأعلام ترجم له بوصفه مفسراً للقرآن الكريم، ومدرساً للشريعة بدار العلوم، وأستاذا للعربية والشريعة بكلية غوردون بالخرطوم، وذكر مؤلفاته التي تتناول القضايا الإسلامية ، وذكر معها كتاباً واحداً هو "علوم البلاغة " فقط ، فقد ذكر له كتب الحسبة في الإسلام ، والوجيز في أصول الفقه ،وتفسير المراغي (ثمانية مجلدات).

وقد ذكر المراغي مؤلفاته كلها تقريبا ، لأنه توفي بعد ترجمته لنفسه بحوالي عامين على الأكثر ، ولعله لم ينجز في هذه الفترة كتبا أخرى ، لقد أشار إلى أنه ألف كثيرا من المؤلفات التي رزقت حظا من الشهرة حسب تعبيره وانتفع بها الجمّ الغفير من الطلاب في معاهد العلم المختلفة ، وبالإضافة إلى علوم البلاغة التي أشرنا إليها من قبل ، فقد ألف في النحو والصرف والدين والأخلاق ، والأدب العربي ، ومصطلح الحديث والسيرة النبوية والفقه وغير ذلك..

فقد كتب تهذيب التوضيح في جزئين الأول في النحو والآخر في الصرف، وهداية الطالب في جزئين أيضا الأول في النحو والصرف والآخر في علوم البلاغة الثلاثة، وكتب "الديانة والأخلاق" و"الرفق بالحيوان في الإسلام "، وكتب الموجز في الأدب العربي، والمطالعة العربية للمدارس في السودان، والخطب والخطباء في الدولتين: الأموية والعباسية، وكتب رسالة في مصطلح الحديث، ورسالة في شرح ثلاثين حديثا مختارة ، وكتب رسالة في إثبات رؤية الهلال في رمضان .. مما يدل على عمق ثقافته العربية الإسلامية واستيعابه العميق لها.

ويلاحظ أنه كان يحمل بذور التجديد والرفض لما هو غير مفيد في التراث العربي الإسلامي، فأشار إلى أن تفسيره للقرآن الكريم الذي جاء في ثلاثين جزءاً (أو ثمانية مجلدات كما أشار صاحب الأعلام) ينهج نهجاً جديداً في الوضع والترتيب، وحسن الشرح والبيان، ونفي الزائف من القصص وما لا سند له عن الأئمة.

ويستخدم المراغي لفظة تواليف للدلالة على الإنتاج الأدبي و البلاغي، الذي أنتجه، ولم يستخدم لفظة مؤلفات، مع أنه استخدم هذه اللفظة إلى جانب لفظة تواليف في الإشارة إلى إنتاج رجال البلاغة الذين ترجم لهم ، ومع أن الفارق اللغوي بينهما يبدو ضئيلاً؛ فإنه قد استخدم لفظة مؤلفات – فيما يبدو – لمن يغلب على إنتاجه الجهد الخاص، والأفكار المتميزة، على كل حال فاستعماله للفظة "تواليف"؛ يبدو ميلا منه إلى التواضع ، مع أنه يتحدث عن إحراز كتبه للشهرة الواسعة ، والقبول لدى الأمة .

ويحدد المراغي سنة ميلاده في عام ألف وثلاثمائة هجرية (= 1882 م) ، بينما يغفل الزر كلي ، صاحب الأعلام سنة الميلاد تماما ، ويبدو أنه لم يطلع على الترجمة التي كتبها المؤلف في كتابه تاريخ علوم البلاغة ، واكتفي بذكر تاريخ وفاته وهو 1371هـ = 1952م .(انظر : الأعلام ، ج 1 / 258) .

وأيا كان الأمر فالمراغي من بيت علم، وأسرة عريقة في خدمة العلم والقضاء، توارث القضاء فيها خلف عن سلف، ولهذا لقبت أسرته بأسرة القاضي ولعله شقيق الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الإسلام في حياته، أو قريب له .

وكان طبيعيا أن يتعلم في الأزهر الشريف بعد حفظ القرآن الكريم في الكتّاب، ويتلقى العلم على كبار العلماء في زمنه (محمد عبده ، محمد بخيت المطيعي، محمد حسنين العدوي، أحمد الرفاعي الفيومي، وغيرهم ..) .

وبعد تخرجه عمل بالتدريس في المدارس الأميرية ، وناظرا لمدرسة المعلمين بالفيوم، ثم درّس في كلية غوردون بالسودان ، فدار العلوم ، والأزهر الشريف.

وفى كل الأحوال فقد كان عمله بالتدريس حافزاً على التأليف في اللغة العربية والعلوم الإسلامية بمنهج الأستاذ المعلم الذي يتمسك بالموروث ، ويغير بقد ر المستطاع في الأسلوب والصياغة ليتناسب مع مستوى الطلاب.

الكتاب :

يبدأ كتاب تاريخ علوم البلاغة للمراغي بالحديث عن نشأة البلاغة، ويقسم أطوار التأليف فيها إلى خمسة أطوار. الأول من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر، والثاني: عصر عبد القاهر والزمخشري وابن الأثير، الثالث: عصر السكاكي والعضد والخطيب وبدر الدين بن مالك، والرابع: عصر الشروح والحواشي، والخامس: العصر الحاضر (يقصد عصره في النصف الأول من القرن العشرين) .

ويخصص بعض الصفحات لواضع علمي المعاني والبيان سيبويه. ويبدأ الترجمة أو التعريف بعلماء البلاغة حسب الترتيب الزمنى، فيبدأ الترجمة لسيبويه، وينتهي بالترجمة لنفسه، متناولاً حوالي تسعين شخصية بلاغية، يتخللها بعض الوقفات، تتناول مناظرة أو موازنة بين هذا العالم أو ذاك، أو مراجعة لرأي السكاكي في تقسيم لفنون البلاغة.

ويمكن القول إن كتاب المراغي يتميز بثلاث ميزات، هي: الإيجاز في رصد التطور البلاغي حتى العصر الحاضر (في زمنه)، والتأريخ لأكبر عدد من البلاغيين يتضمنه كتاب بلاغة ، ثم استخدام أسلوب سهل وميسر يختلف عن أساليب السابقين في تأليف البلاغة .

أولاً: فالإيجاز في رصد التطور البلاغي يتحقق في اختزال كثير من التفصيلات التي اشتغل عليها فيما بعد شوقي ضيف وآخرون في الكلام عن قضايا التطور والوصول على أعماقها .

لقد خصص المراغي أقل من خمس الكتاب لتناول تطور البلاغة، فتجاوز عن الفترة الجاهلية وصدر الإسلام ، ودخل مباشرة إلى تعريف الفصاحة والكلام الفصيح في الطور الأول ، وبدأ بتناول الكتاب لسيبويه، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، والبيان والتبيين للجاحظ ، والبديع "لابن المعتز، ونقد النثر ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، والكامل للمبرد، ثم تناول أرباب الموازنات، وكتب إعجاز القرآن، وتوقف عند الباقلاني والثعالبي، وانتهي إلى أن المؤلفات في هذا الطور ساذجة ليس فيها شيء من تدقيق التعريفات والضوابط ولم يزنها مؤلفوها بمعيار المنطق، ولم يصبغوها بتلك الصبغة التي ظهرت في الطور الثاني، عدا كتابي قدامه: نقد الشعر ونقد النثر، ففيهما شيء من ملح المنطق. وكتاب الخصائص لابن جني ففيه من الفلسفة اللغوية ما يجعل لها محبة في النفوس لأنها من صميم لغتنا، وجوهر أساليبها.

والجديد الذي قدمه المراغي بالنسبة لتاريخ البلاغة، هو ما ذكره عن سيبويه بوصفه واضع علمي المعاني والبيان، فقد خصص بضع صفحات مع انتهاء حديثه عن أطوار البلاغة ، ليقرر أن سيبويه الذي ارتبط بالنحو في مؤلفه المشهور " الكتاب " ؛ هو بلاغي من الطراز الأول ، وضع علمي المعاني والبيان ، وإذا كان المراغي يقرر في بداية كلامه أن هذه النظرية غريبة بادئ الرأي ، ويخيل إلى سامعها أنها بعيدة عن التمحيص العلمي، إذ هي كما يقول لا تعتصم بحجة وبرهان؛ فإنه يقدم ما يسميه ساطع الحجة والبرهان، ويؤيدها بسلطان لها بعد سلطان، ويرى أنه أحسن إلى أهل العلم وأهله، وأظهر ما كان مخفيا في الدفاتر، ثم يأخذ في البرهنة على ذلك من خلال مناقشة المقصود بالنحو، ويستعين بالسيرافي وأبي الفتح عثمان بن جني والإمام عبد القاهر، والمتأخرين من النحويين الذين أساءوا إلى النحو من

وجهة نظره، في دعم موقفه. وبعد أن ينتقد المتأخرين من النحاة يأتي بأمثلة من كتاب سيبويه؛ تبين كيف أنه اعتنى بتأليف الجمل، كما عني بضبط أواخر الكلم . ويقرر أن هذه الأمثلة قليل من كثير وتدل على اهتمام سيبويه ببيان أسرار النظم، ويرى أن هذا العقل الجبار يقصد سيبويه لم يفهم كتابه حق الفهم، ولم يتدبره حق التدبر؛ أحد من بعده إلا عبد القاهر الجرجاني ، فقد فرّع منه أمهات المسائل المبثوثة في الدلائل والأسرار وغيرهما من كتبه العظيمة الفوائد .

وفي الطور الثاني: عصر عبد القاهر والزمخشري وابن الأثير ، يرى المراغي أن كتابي عبد القاهر؛ أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، من أول المؤلفات العلمية في فنون البلاغة بما اشتملا عليه من تحقيق علمي للمباحث التي عرض لها، مع أسلوب أدبي مختلطا بالمنطق، فقد أنشأ بوضعه هذين الكتابين علم البيان كاملا ، كما فعل سيبويه في الكتاب إذ أوجد به علم النحو كاملاً، وفعل الخليل بإنشاء علم العروض تاماً.

ويرى أن عبد القاهر وضع أساساً لمن بعده الذين لم يزيدوا عليه إلا قشوراً، لا يضير العالم تركها، فهو الذي نهض بالعلم نهضة جديدة وأوجد فيه حياة لم تكن معروفة من قبل.

وقد سار الزمخشري بتلطف على نهج عبد القاهر في تفسيره المعروف بالكشاف ،عن بيان الأسرار البلاغية في الكتاب الكريم، مع جفوة عن ذكر المصطلحات العلمية بالطريق المعروفة لنا، والكشاف هو عمدة السكاكي في بحوثه الكثيرة المبعثرة في كتابه المفتاح، والزمخشري كما يرى المراغي لم يؤلف في البلاغة كتابا ، ولكن تفسيره مشحون بلآلئ من هذه الفنون، والقوم عالة عليه فيها (لا سيما علم البيان)، فقد أجاد في أوائله أيما إجادة، وصار المؤلفون ينقلون عباراته دون أن يزيدوا أو ينقصوا منها حرفاً.

أما ضياء الدين بن الأثير صاحب "المثل السائر" فيتميز بتدقيقاته العلمية، وهي أجلّ من كتاباته الأدبية، والفنون التي أودعها في كتابه قلما توجد في سواه من المؤلفات. لكن قد تخفى عليه أسرار من الفن فطن إليها فطاحل البلغاء.

ويلاحظ أن المراغي تجاهل، أو لم يذكر كتاب عيار الشعر لابن طبا طبا العلوي، وهو من علماء القرن الثالث الهجري، ولعل ذلك يرجع إلى عدم نشر الكتاب في هذه المرحلة ضمن الكتب المحققة.

أما الطور الثالث الذي بدأ بالسكاكي فقد كان للمنطق والفلسفة سلطان مطاع، لا يرد له قول ولا ينقض له أمر ، وأصبحت الأساليب العربية كما يقول المراغي تقاس بحدود المنطق ورسومه، ولا يقام له وزن إن لم يكن له وجود. بل إن السكاكي بلغ به الأمر أن ادعي في مفتاحه أن الاستعارة والكناية ومسائل البيان الأخرى ؛ ما هي إلا أقيسه منطقية ، وإلزامات يستعملها المتكلمون لإقناع المخاطبين بما يريدون إثباته أو نفيه من نظريات وآراء. ويحكم حكما لا هوادة فيه أن عمل صاحب البيان، وعمل صاحب الاستدلال يتساويان!

ويعترض المراغي على السكاكي فيما ذهب إليه، واعتماده على الأقيسة المنطقية، ويرى أنه كان من الأولى أن يقول: إن كل أمة لها من وسائل الإقناع ما هو أنسب لبيئتها التي تعيش في أكنافها ، وبما تعودوا عليه من مخاطباتهم على مر الأجيال والأحقاب، وحينئذ لا حاجة بالسكاكي إلى عقد الصلة بين علوم الاستدلال وعلوم البيان، ولا إلى توثيق الرابطة بين مصطلحاتها، فتلك في واد، وهذه في واد!

ومع أن المراغي ينتقد ميل السكاكي إلى المنطق والفلسفة؛ فإنه يقدر جليل العمل الذي قام به في تهذيب مصطلحات الفنون البلاغية، والسير بها قدما نحو الكمال في استيفاء مباحثها وتخليص أقسامها بعضها من بعض ، حتى صارت متمايزة

وقد عني بكتاب السكاكي مجموعة من العلماء العظام اشتغلوا بتلخيصه وشرحه وتوضيحه، وكلهم كانوا في عصر واحد، وهم بدر الدين بن مالك، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ، وعبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي الشيرازي، والطيبي.

وفي الطور الرابع: عصر الشروح والحواشي ؛ اتجهت العناية إلى خدمة المؤلفات في فن البلاغة عوضاً عن خدمة هذا الفن ، على مدى سبعة قرون من السابع حتى الثالث عشر الهجري حيث أخذ سيل جارف من الشروح والتلخيصات والتقريرات ، وانصب معظمها على شروح المفتاح للسكاكي والحواشي على هذه الشروح ، ثم التقريرات على هذه الحواشي ، وأبرز الشراح في هذه المرحلة: قطب الدين الشيرازي والخلخالي وسعد الدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني وابن كمال باشا والزوزني شمس الدين محمد بن وعثمان، وناظر الجيش، والبابرتي، وشمس الدين القونوي، وجلال الدين التيزيتي والسيد عبد الله وعصام الدين بن عرب شاه والتبريزي...

ولوحظ أن الحواشي كثرت بعد عصر الشروح، والتقريرات كثرت بعد مرحلة الحواشي ، وقد حظيت بعض الحواشي بشراح كثيرين مثل شرح الفوائد الغياثية. كما كثروت الشروح والحواشي على شرح رسالة الاستعارات، لأبي الليث السمرقندي، التي اشتهرت باسم "السمرقندية"، وقد بلغت الحواشي والشروح والتقريرات والمختصرات للسمرقندية ما يقرب من العشرين. كما حظي القسم الثالث من كتاب المفتاح للسكاكي بشراح كثيرين، ذكر منهم المراغي تسعة شراح .

وأسلوب التأليف في هذا الطور ضعيف ركيك ، وفيه مخالفة للقواعد التصريفية أو النحوية في بعض الأحايين، **ويرجع ذلك إلى أمرين:**

الأول: خلط الأسلوب بالاصطلاحات المنطقية والفلسفية .

الثاني: قلة إلمام المؤلفين بفصيح الأساليب بحكم انتمائهم إلى بيئات غير عربية (فارسية وهندية وتركية) ، وعدم مرانهم على استعمال جيد التراكيب ، فلم يحذقوا النثر أو الشعر ؛ قراءة وفهما . وما زال التأليف في هذا العصر ينحدر من المستوى الأدنى حتى وصل إلى حد الإلغاز ، وتبارى المؤلفون في الاختصار حتى صار الاختصار في حاجة إلى حواش تبين مغازي الشراح من عباراتهم وتشرح مقاصدهم وأغراضهم ، فجاءت التقريرات تنبه إلى ما انبهم من الشروح والحواشي. إنها مرحلة العقم والجمود.

في العصر الحاضر (مطالع النهضة الحديثة حتى منتصف القرن العشرين)؛ يبدأ الطور الخامس ، حيث بدأ بصيص الأمل في إحياء الكتب القديمة ، واخضرار أزهار الأدب بعد ذبول ، ومحاولة القضاء على البحوث الفلسفية العقيمة التي أضاعت جهودا كثيرة دون طائل .

ثانياً: الميزة الثانية لكتاب المراغي ، تتمثل في العدد الهائل من الترجمات للبلاغيين القدامى حتى البلاغيين المعاصرين وآخرهم هو.

وفي هذه الترجمات لفتات جيدة ، تركز على أهم ما يميز المترجم له، ومع أن المترجم لهم يقاربون التسعين، فقد بدا المراغي واعيا بقدر كل منهم، ومدى ما قدم من خدمة لفن البلاغة أو غيره من الفنون، ولذا اختار أن يركز على الناحية الأكثر بروزا في مؤلفاته أو تواليفه، معتمدا على تراجم المؤلفين القدامى بدرجة أساسية.

وقد اختط لنفسه منهجا يطبقه في ترجمته حيث يبدأ بذكر الاسم مقروناً بالكنية واللقب أو الألقاب مع النسبة إلى موضع الميلاد أو النشأة، ثم يذكر المولد والنشأة، وأبرز المحطات في حياة المترجم له، و المؤلفات أو أهمها، ثم يشير إلى الوفاة، وسببها إن وجد وكانت الوفاة بسبب حادث أو نتيجة لمرض.

وقد يستخدم بعض صيغ القدماء وينقلها في الترجمة ، ثم إنه يتوقف عند المؤلف بما يستحق من تقدير ،أو بما توجبه المكانة العلمية التي فارق الدنيا عليها .. فهو مثلا يتوقف طويلا عند سيبويه ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي عثمان الجاحظ ، ومحمد بن يزيد المبرد، وعبد الله بن المعتز ،، وأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، والحسن بن بشر الآمدي ، وأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، وأبي منصور الثعالبي، وابن رشيق القيرواني ، وابن سنان الخفاجي الأمير ، وعبد القاهر الجرجاني ،ومحمود بن عمر الزمخشري ، وأبو يعقوب السكاكي وجلال الدين السيوطي ..وغيرهم .

من ناحية أخرى، فإن بعض الأعلام لم يحظ بغير وقفات قصيرة وسطور معدودة، وبالطبع فإن ذلك يعود غالبا إلى دورهم المحدود في التأليف والكتابة، وأغلب هؤلاء من الشراح وكتاب الحواشي والتقارير، أمثال: عبد الرحيم العباسي ، وطاشكبري زادة ، ابن قاسم العبادي ، يس العليمي ألحمصي ، البسنوي، الخفاجي ، أحمد الدمنهوري ، أحمد السجاعي ، واحمد الدردير .. وغيرهم .

ولم يجد المراغي حرجاً في اعتراض ترجمته لبعض رجال البلاغة بمناقشة بعض القضايا التي تخصهم ، فعند ترجمته للسكاكي ،عقد فصلا في الترجمة ليناقش تقسيمه لعلوم البلاغة في كتابه المفتاح ، فبعد الإشارة لوفاته سنة ست وعشرين وستمائة ، وأنه لم يحفظ شيء من مراثي الشعراء له، ولا من شعره أو نثره في غير مؤلفاته، **وضع عنوانا يقول:**

"لا وجه لتقسيمه علوم البلاغة أقساما ثلاثة ، ولا لجعله تحسين البديع عرضيّا لا ذاتياً"

ثم راح يقرر أنه لا يعلم أحدا قبل السكاكي سبق إلى قسمه علوم الفصاحة الأقسام الثلاثة المعروفة (يقصد المعاني والبيان والبديع)، ثم يقول " " لا نرى وجها صحيحاً ولا مستنداً من رواية ولا دراية؛ فليس هناك جهة للتمايز تفصل كل

علم عن قسيميه ، ولا في أغراض كل علم ولا في موضوعه ما يجعله وحدة مستقلة عن العلمين الآخرين في بحوثه ومسائله؛ حتى يمكن الناظر أن يقتنع بوجاهة هـذا التقسيم ، ويبرهن على صحته ، بل على العكس نرى بينها اتصالاً وثيقاً في الأغراض والمقاصد، واتحادا في جهة البحث، فلا يمكن فصل بعضها مـن بعـض، وإن أمكن فعلى نحو آخر غير ما ذكره السكاكي، ومن اقتفوا أثـره، وسـاروا عـلى سـننه دون أن يدلوا بحجة ناصعة ".

ثم يناقش ما ذهب إليـه عـلى امتـداد صـفحات طويلـة مستشـهدا بـما كتبـه السابقون على السكاكي ليدلل على صحة توجهه، وهو توافـق العلـوم البلاغيـة في غاياتها، ولا تخالف بينها.

ثـالثـاً: الميزة الثالثة التي تميز كتاب المراغي تتجلى في أسـلوبه الـذي صـاغ بـه أفكاره وتصوراته، وهو أسلوب قوي بلا شك، يميل إلى بسط الفكرة، وتناولها من شتى جوانبها ، وخاصة في القضايا التي تحتاج إلى برهنة واستدلال، مع وعـي حـاد بمعنى اللفظ ودلالته ، وإن كان في بعض الأحيان ، يلجأ لاستخدام بعض الألفاظ نادرة الاستعمال أو المهجورة، لكنه بصفة عامة أميل إلى الدقـة ، واستقصـاء المعنـى الذي يريد توصيله إلى قارئه، ولا ننسى أنه معلم يخاطب طلابا في الأساس، ويريـد أن يوصل إليهم الفكرة كاملة ، فلا يبقى منها جزء غامض، أو غير واضـح، وقـدر رأينا في الفقرة السابقة نموذجاً يعترض فيه على تقسيم السـكاكي لعلـوم البلاغـة ، وهناك نماذج أخرى عديدة تكشف عن طبيعة أسلوبه وصياغته سعيا إلى الإفادة من أفكاره وتصوراته .

وإذا كان أسلوبه في مجال الدرس البلاغي يبدو قويا ومشبعا بلغة تذكر أحيانا بلغة الجاحظ والمدرسة البيانية الحديثة ، فإنـه في ترجماتـه يبـدو أقـرب التحـرر مـن أسلوب الدرس البلاغي ، واقرب إلى السرد بحكم أنه يروي سيرة مؤلفين وكتاب.

يقول مثلا في ترجمة أبي سعيد بن عبد الله السيرافي:

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، النحوي الإمام في النحو واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والفقه والكلام والحساب والهندسة " .

ويصف أخلاقه فيقول:

" كان ورعا زاهدا؛ لا يأكل إلا من كسب يده، فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ،ولا إلى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات، يأخذ أجرتها عشرة دراهم تكون كفاية مئونته " .

وفي كل الأحوال؛ فإن أسلوبه كان معبرا عما يريد توصيله إلى القارئ بأدق لفظ، وأفضل تركيب، وأنصع عبارة.

*** ***

وبعد:

فهذا الكتاب بين يديك؛ حاولت أن ألقي عليه ضوءاً خاطفاً لأحفز على قراءته، والإفادة منه، وخاصة لمن يريد التعرف على تاريخ البلاغة ورجالها في إيجاز غير مخل، دون الدخول إلى متاهات الآراء والخلافات والاجتهادات المتباينة.

ثم إني قد وثقت الآيات الكريمة، وخرجت الأحاديث الشريفة ، وشرحت بعض الألفاظ، وعلقت على بعض النقاط، ووضحت بعض القضايا، واستخدمت إشارة النجمة مكررة أو مرقمة في المتن والهامش لما كتبته تعليقاً أو توضيحاً، مستفيداً بالمعاجم والموسوعات والمصادر والمراجع التي ذكرتها في مواضعها، وقد تركت مصادر المؤلف كما هي للرجوع إليها عند الحاجة.

واسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يغفر لنا ويرحمنا، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حلمي محمد القاعود

المجد في 26 **من رمضان المبارك** 1431**هـ**

الموافق 4 **من سبتمبر** 2010م .

مصادر الكتاب

- الفهرست لابن النديم.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي.
- وفيات الأعيان للقاضي بن خلّكان.
- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر الهيتمي.
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي.
- الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة للغزي.
- خلاصة الأثر في أعيان الحادي عشر.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي.
- بغية الوعاة في أخبار النحاة لجلال الدين السيوطي.
- لب اللباب وتحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
- طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية لعبد الحي اللكنوي الهندي.
- تاريخ بغداد للخطيب.
- كتاب الذيل لتاريخ بغداد للسمعاني.
- كتاب الأنساب للسمعاني.
- كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لملا كاتب جلبي.
- كنز الجوهر في تاريخ الأزهر لسليمان رصد.
- القول الإيجابي في ترجمة العلامة الأنبابي لأحمد فارع الطهطاوي.

- ريحانة الألباء للخفاجي.
- إنشاء العطار لحسن العطار.
- الكتاب لسيبويه.
- شرح الكتاب لأبي سعيد السيرافي.
- شرح الكتاب للأعلم الشنتمري.
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني.
- سر الفصاحة للأمين بن سنان الخفاجي.
- أطواق الذهب في المواعظ للزمخشري.
- المثل السائر لابن الأثير.
- المفتاح للسكاكي.
- شرح مختصر التلخيص لسعد الدين التفتازاني.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى.
- يتيمة الدهر للثعالبي.
- سر العربية للثعالبي.
- الصناعتين لأبي هلال العسكري.
- نقد النثر لقدامة بن جعفر.
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر.
- الخصائص لابن جني.
- المعرب والدخيل لابن الجواليق.
- شفاء الغليل فيما في لغة العرب من الدخيل.
- مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري.
- الحدود في النحو للفاكهي.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المحمود الله جلت آلاؤه، والمصلى عليه النبي وآله.

وبعد: فقد طلب إليّ طلبه تخصص المادة (شعبة البلاغة والأدب)* في كلية اللغة العربية من الأزهر الشريف، أن أكتب لهم مقالة توضح نشأة علوم البلاغة**، وتشرح الأطوار التي مرت بها منذ بدء التصنيف، حين كانت بحوثها مبعثرة في كتب النقد والموازنات وإعجاز القرآن، إلى أن صارت ذات كيان خاص بكتابي عبد القاهر الجرجاني: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، وتبين أثر المنطق والفلسفة في تأليف السكاكي ومن بعده، وترشد الناظر فيها إلى ما طرأ من التحول في اتجاه أبحاث المؤلفين، وتوافرهم على خدمة الكتب دون خدمة الفن، مما كان مدعاة لوقوف الحركة الفكرية في مسائل العلم الحقيقية، وأصبح الشغل الشاغل لهم التنوق*** في البحوث اللفظية، والاهتمام بالحوار والجدل في الألفاظ لا في الأغراض والمقاصد، إلى ضعف في الأسلوب كان أثرًا من البيئة الأعجمية، فارسية أو تركية أو هندية؛ وأنى لكتب هذه حالها أن تصل بدارسيها إلى ما يروم من فائدة أو تكون مثلاً تحتذى (إنك لا تجني من الشوك العنب).

فلا غرو أن قل غناؤها، وأصبحت مبعدة عن الغرض لا مقربة إليه، فأشاح عنها الناس بوجوههم؛ بعد أن أعرضت عنهم بالفائدة، كما تبين الطريق إلى معرفة رجالات هذه الفنون الذين أفادوا العلم وأهله، وأظهروا محاسن كانت محجبة، وفتقوا أزهارها من أكمامها، واستخرجوا دررها من أصدافها، وقد كان لهم ما

---

* تخصص المادة، ما يعرف الآن بالتخصص الدقيق ضمن التخصص العام.

** المقصود بالمقالة هنا الكتاب.

*** التنوق؛ المبالغة في التجويد وتنظيم الشكل.

أرادوا، ها هي ذي مقالة جاءت تختال في حلاها وحللها، وتُجَلّى عن الغـرض بـأدق تعبير وأوضح بيان.

وقد صدّرناها بذكر المراجـع التـي كنـا نعيـد النظـر فيهـا عنـد وضـع هـذه البحوث، علّ القارئ يحتاج إلى الاسـتزادة بـالنظر فيهـا، والله الموفـق، وبـه الهدايـة لأقوم طريق.

أحمد مصطفى المراغي

30 ربيع الأول سنة 1360هـ.

27 من إبريل سنـة 1941م .

نشأة علوم البلاغة
أطوار التأليف فيها
الطور الأول
من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر

قال الجوهري في الصحاح*: البلاغة: الفصاحة؛ وأكثر ما كانت تستعمل هذه الكلمة ومشتقاتها في الدلالة على فصاحة الكلام، فيقولـون: كـلامٌ فصيـحٌ وكـلامٌ بليغٌ؛ إذا استوفى الشروط التي ذكرها علماء البلاغة فـيما بعـد، وكلمـة فصـيحة إذا سلمت من الثقل في النطق والغرابة في الاستعمال ومخالفة قواعـد التصريـيف، وتبـع هذا أن يُقالَ متكلمٌ بليغٌ أو فصيح، إذا أتى بالكلام الجامع لتلك الخصـال الحميـدة التي بيّنها المؤلفون في هذه الفنون، أمثال الجاحظ في البيان والتبيين، والمبرد في كتابي: الكامل والبلاغة، وابن دريد في كتاب الجمهرة، والآمدي في كتاب الموازنة.

ثـم أُطلِقَـتْ في العصـور الأخـيرة عـلى العلـوم الثلاثـة: [المعـاني، والبيـان، والبديع] فقيـل علـوم البلاغـة، ولا نعلـم أحـدًا استعملها هـذا الاستعمال قبـل السكاكي، فإن العلماء قبله كانوا يسمونها تارة: بعلم البديع، كما فعـل عبـد الله بـن المعتز، وأخرى: علوم البيان، كما فعل الجاحظ، وطورًا: علوم النقد، كما فعل قدامـة بن جعفر في كتابيه: نقد النثر*، ونقد الشعر؛ وحينًا بصناعتي الشعر والنثر، كما فعـل أبو هلال العسكري في الصناعتين.

ولم تذكر مباحث هذه العلوم إلا تبعًا لبيان أسرار فصاحة النثر والـنظم؛ فهـا نحن أولاء نرى سـبيويه في [الكتـاب] يـذكر في أثنـاء الكـلام عـلى بعـضِ قواعـد

---

* يقصد معجم الصحاح المسمى "تاج اللغة وصحاح العربية"، ومن أفضل طبعاته؛ طبعة أحمد عبد الغفور عطار.وقد اختصره أبو بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي (ت 666هـ) في المعجم المتداول "مختار الصحاح".

* ينسب "نقد النثر" إلى قدامة على الأرجح، وهناك شك في كونه من تأليفه.

الإعراب، شيئًا من أسرار التراكيب، ووجه الدقة في استعمالها، وقد وضعنا فصلاً مستقلاً لهذا البحث ستجده بعد.

وقد سَلك هذا المسْلكَ أبو عبيدة في كتابه [مجاز القرآن] فذكر فيه الطرق التي كانت تستعملها العرب في أساليبها، وبيان ما فيها من جمال فنّيّ ودقة في التعبير، ثم قفّاهما الجاحظ وتكلّم في كتاب [**البيان والتبيين**] على ما ينبغي أن يكون عليه الخطيب من رباطةِ الجأش، وجهارةِ الصوت، وحسنِ المخارج والمقاطع، كما تكلّم على الألفاظ التي يجبُ التباعد عنها لما فيها من ثقلٍ في اللفظ أو غرابةٍ في الاستعمال، مع ضرب المثل لذلك من كلامِ العرب، وذكر المواضع التي يستحسن أن يطيل فيها الخطيب، والمواضع التي ينبغي أن يُوجِز فيها، مع ذكرِ الشواهد على كل من النوعين، ووجهِ الحسن في كلا الأمرين؛ وجاء إثره عبدُ الله بن المعتز، وألّف كتابه [البديع] وجعله فتحًا مبينًا؛ إذْ قال ما ألّف قبلي في فنون البديع أحدٌ، ومن أراد أن يزيد على ما فعلناه فله اختياره، وسار على نهجه قدامة بن جعفر الكاتب معاصره، وألّف كتابيه [نقد النثر- نقد الشعر]**. واجتمع معه في بعض البحوث، وزاد شيئًا على سلفه، وكذلك فعل المبرّد في كتاب [**الكامل**] فحلّى جيد مباحثه في النحو والتصريف والأدب بذكرِ مسائل من صميم علوم البلاغة: كالتشبيه المصيب والاستعارة، ومواضع الإيجاز والإطناب، ولم يصل إلينا كتابه [البلاغة] لنعلم المهيع*. الذي سلكه، والطريق التي رسمها في تأليفه؛ وبعدئذ أتى أرباب الموازنات بين الشعراء كالموازنة بين أبي تمام، والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، والوَسَاطة بين المتنبّي وخصومه، فذكروا في أثناء بحوثهم مباحثَ جليلةً من هذه الفنون اقتضاها حُسْنُ الشرحِ والبيان في وجوه المفاضلة بين الشاعر والشاعر أو الكاتب والكاتب.

** في نقد الشعر بدايات التأثر بالمنطق اليوناني.

* المهيع: الطريق البين.

وقريب من هذا ما فعله الذين ألفوا الكتب في إعجاز القرآن كالجاحظ والباقلاني والرماني وعبد القاهر في جمع آخرين، ممن أفردوا مؤلفات خاصة للمفاضلة بين أساليب الكتاب الكريم، وما شاكلها مما استعمله العرب في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي في الأغراض والمقاصد التي ذكرها وتصدى لبيانها؛ وكتاب إعجاز القرآن للباقلاني مليء بهذه المباحث الجليلة التي أفردها العلماء بالتأليف بعد.

ويقرب من هذا النهج الذي اتبعه أبو عبيدة في كتابه: [المجاز في القرآن] فذكر الأساليب التي جاءت في الكتاب الكريم على المهيع الذي كانت تسلكه العرب في كلامها؛ فنراه يقول مثلاً: ومجاز الآية ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية 43] أن الأصل واركعي واسجدي، والعرب تقدم المؤخر وتؤخر المقدم، كما قال حسان بن ثابت في ذكر بني هاشم:

بَهَالِيلُ منْهُمْ جَعْفَرٌ وابنُ عمّه ... عليّ ومِنْهُمُ أَحْمَد المتخيَّرُ

وقال الصَّلتان العبْدي:

فَمِلَّتُنا أَنَّنا المُسْلِمون ... عَلى دِيْنِ صِدّيْقنا والنَّبِيْ

والآية: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [سورة الكهف: الآية 1][1]. تقديرها أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا، كما قال امرؤ القيس:

وَلَو أَنَّ ما أَسعى لِأَدنى مَعيشَةٍ ... كَفاني وَلَم أَطلُب قَليلٌ مِنَ المالِ

وتقديره كفاني قليل من المال ولم أطلبه.

(1) سور الكهف: أول السورة

وتجده يقول في قوله عز وعلا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة الرحمن: الآية 26][1] أي من على الأرض، وقوله: ﴿... حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [سورة ص: الآية 32][2] يعني الشمس، وقوله: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [سورة القيامة: الآية 26][3] يعني الروح، فكنى عن الأرض والشمس والروح من غير أن أجرى ذكرها، **كما قال حاتم الطائي**:

أماوِيُّ ما يُغني الثَراءُ عَنِ الفَتى ... إِذا حَشرَجَت نَفسٌ وَضاقَ بِها الصَدرُ

يعني حشرجت النفس، **وقال دعبل**:

إن كان إبراهيم[4] مطلعًا بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق[5]

يعني الخلافة ولم يسمها من قبل.

وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ..﴾ [سورة يوسف: الآية 82][6] أي أهلها، والعرب تفعل ذلك، فتذكر المكان، والمراد من فيه **كما قال حميد بن ثور**:

قصائِدُ تَستَحْلي الرُواةُ نَشيَها ... ويَلهو بها من لاعِبِ الحَيِّ سامِرُ

يعضُّ عليها الشيخ إبهامَ كفّه ... وتجري بها أحياؤكم والمقابرُ

أي أهل المقابر، والعرب تقول: أكلت قدرًا طيبة: أي أكلت ما فيها، وتراه يقول في قوله ﴿.. ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ..﴾ [سورة فُصِّلَت: الآية 40][7] وقوله ﴿..وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ..﴾ [سورة الكهف: الآية 29][8] إن هذا ظاهره الأمر وباطنه الزجر، وهو من سنن العرب تقول: إذا لم تستح فافعل ما شئت.

---

(1) سورة الرحمن: 26.
(2) سورة ص: 32.
(3) سورة القيامة: 26.
(4) يعني إبراهيم بن المهدي فقد خرج على المأمون وطلب الخلافة لنفسه.
(5) هو أحد المغنين.
(6) سورة يوسف: 82.
(7) سورة فصلت: 40.
(8) سورة الكهف: 29.

وفي قوله: ﴿..حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ..﴾ [سورة يونس: الآية 22][1]، فإنه رجوع من المخاطبة إلى الكناية، والعرب تفعل ذلك كما قال النابغة:

يــا دارَ مَيّــةَ بالعَلْيــاءِ، فالسَّــنَدِ أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمَـدِ

فقال يا دارمية ثم قال أقوت؛ وقد تنتقل من الكناية إلى المخاطبة، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [سورة الفاتحة: الآية 1-5][2]. وهكذا تراه سار على هذا النمط في الآيات التي فيها فن من البلاغة، واقتضى الحال العدول عن الظاهر إلى نحو آخر، والكتاب كله محاسن ولطائف، وفوائد وفرائد من فنون الفصاحة لا يستغني عن معرفتها أديب، ودرج على سننه الإمام اللغوي أبو منصور عبد الملك الثعالبي في كتابه [فقه اللغة وسر العربية] فذكر في القسم الثاني منه [سر العربية] خلاصة ما ذكره أبو عبيدة في كتابه [المجاز في القرآن] واقتبس الكثير منه وسمى كتابه بهذا الاسم، وتغيير الأسماء لا يضير إذا اتحدت الأغراض والمقاصد.

وقصارى القول أن المؤلفات في هذا الطور ساذجة ليس فيها شيء من التدقيق في التعريفات والضوابط، ولم يزنها مؤلفوها بمعيار المنطق، ولم يصبغوها بتلك الصبغة التي ظهرت بعض الظهور في الطور الثاني، وبوضوح في الطورين الثالث والرابع، حاشا كتابي نقد النثر، ونقد الشعر لقدامة المتوفى سنة 337 ففيهما شيء من ملح المنطق يظهر خفيفًا في تعريفاتهما؛ فتراه يقول في نقد النثر في تعريف البلاغة: وحدها عندنا أنه القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان، وإنما أضفنا إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام؛ لأن العامي قد يحيط قوله بمعناه الذي يريده بمعناه الذي يريده إلا أنه يأتي بكلام مرذول من

(1) سورة يونس: 22.
(2) فاتحة الكتاب: الآيات 2- 5.
وهذا الأسلوب يسميه البلاغيون الالتفات، أي الانتقال من ضمير إلى آخر. ويسميه الغربيون الانحراف.

كلام أمثاله فلا يكون موصوفًا بالبلاغة، وزدنا فصاحة اللسان لأن الأعجمي واللحان قد يبلغان مرادهما بقولهما فلا يكونان موصوفين بالبلاغة، وزدنا حسن النظام؛ لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب ألفاظه وتصيير كل واحدة منها مع ما يشاكلها فلا يقع ذلك موقعه، فها أنت ذا تراه سلك الطريق المنطقي وذكر محترزات التعريف.

وتجد مثل هذا في نقد الشعر، فقد عرف الشعر تعريفًا منطقيًا فقال: إنه قول موزون مقفى يدل على معنى؛ فقولنا : قول دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر؛ وقولنا: مقفى موزون يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون؛ وقولنا: مقفى فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف، وبين ما لا قوافي له ولامقاطع، وقال آخر التعريف: فإذ قد تبين أن الشعر هو ما قدمنا، فليس من الاضطرار أن يكون ما هذه سبيله جيدًا ولا رديئًا أبدًا؛ بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران إلى آخر ما قال.

كذلك تجد في هذا العصر نوعًا جديدًا من الفلسفة خفيف الظل، للنفس إليه حنين، ولها إليه التياع وشوق؛ ذاك أنها فلسفة في وضع اللغة، وبيان حكمة واضعها، ودقيق صنعه، وأنه لم يضع الألفاظ بحسب ما اتفق له، بل راعى الذوق في أجراس ألفاظها، واستطالة كلماتها أو قصرها، ولاءم بين مخارج حروفها، فجاءت من التناسب والدقة كما أحب واشتهى.

وفارس حلبة هذا الميدان أبو على الفارسي، الحسن بن أحمد المتوفى سنة 377هـ.

وتلميذه الفيلسوف العربي أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392 فإنه كان نسيج وحده، وفريد عصره، في بيان أسرار اللغة ودقة وضعها. **قال في الخصائص:**

"اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها، وترتيب أحوالها، هجم بفكره على جميعها، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفصيلها، وعلم أنه لابد من رفض ما شنع تألفه منها نحو: هع، وقج، وكن، فنفاه عن نفسه، ولم يمرره بشيء من لفظه. وعلم أيضًا ما طال وأمل بكثرة حروفه؛ لا يمكن فيه من التصرف ما أمكن في أعدل الأصول وأخفها وهو الثلاثي، وذلك أن التصرف في الأصل وإن دعا إليه قياس وهو الاتساع به في الأسماء والأفعال والحروف، فإن هناك من وجه آخر ناهيًا عنه، وموحشًا منه، وهو أن في نقل الأصل إلى أصل آخر نحو: صبر، وبصر، وضرب، وربض، صورة الإعلال نحو قولهم: ما أطيبه، وأيطبه، واضمحل وامضحل، وقس، وأينق، وقوله: (مروان مروان أخو اليوم اليمي) وهذا كله إعلال لهذه الكلم وما جرى مجراها.

فلما كان انتقالهم من أصل إلى أصل نحو: صبر، وبصر، مشابهًا للإعلال من حيث ذكرنا، كان هذا الوجه كالعاذر لهم في الامتناع من استيفاء جميع ما تحتمله قسمة التركيب في الأصول. فلما كان الأمر كذلك واقتضت الضرورة رفض بعض واستعمال بعض، وكانت الأصول ومواد الكلم معرضة لهم، وعارضة أنفسها على تخيرهم، جرت لذلك مجرى مال ملقي بين يدي صاحبه، وقد أجمع إنفاق بعضه دون بعضه، فميز رديئه وزائفه فنفاه ألبتة، كما نفوا عنهم تركيب ما قبح تأليفه، ثم ضرب بيده إلى ما أطف له (دنا وقرب) من عرض جيده، فتناوله للحاجة إليه، وترك بعضه الآخر لأنه لم يرد استيعاب جميع ما بين يديه، لما قدمنا ذكره، وهو يرى أنه لو أخذ ما ترك مكان أخذ ما أخذ لأغني عن صاحبه، ولأدى في الحاجة إليه تأديته. ألا ترى أنهم لو استعملوا لجع مكان لقام مقامه وأغني مغناه، ثم لا أدفع أيضًا أن تكون في بعض ذلك أغراض لهم عدلوا إليه لها ومن أجلها؛ فإن كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنه؛ ألا تراهم قالوا قضم في اليابس، وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف، وضعف

الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف، وكذلك قالوا صر الجندب، فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا: صرصر البازي فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته، وسموا الغراب: غاق حكاية لصوته، والبط: بطا حكاية لأصواتها: وقالوا: قط الشيء: إذا قطعه عرضًا، وقده: إذا قطعه طولاً، وذلك لأن منقطع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال، وكذلك قالوا مد الحبل، ومت إليه بقرابة، فجعلوا الدال لأنها مجهورة لما فيه علاج، وجعلوا التاء لأنه مهموسة لما لا علاج فيه.

نعم، وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنا. ألا ترى إلى قول سيبويه: أو لعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر؛ يعني أن يكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله وقعت عليه التسمية، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف السبب للتسمية؛ ألا ترى إلى قولهم: للإنسان إذا رفع صوته، قد رفع عقيرته، فلو ذهبت تشتق هذا بأن تجمع بين معنى الصوت وبين معنى "ع ق ر" لبعد عنك وتعسفت. وأصله أن رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأرفع صوته. فقال الناس: رفع عقِيرته، وهذا مما ألزمَه أبو بكر أبا إسحق فقبلَه منه ولم يـرْدُدْهُ عليه؛ والكلام هنا أطولُ من هذا، لكن هذا مفادُه، فأعلق يدرك بما ذكرناه، من أن سبب إهمال ما أهمل إنما هو لضرب من ضروب الاستخفاف، لكن كيف ومن أين؟ فقد تراه على ما أوضحنا، فهذا الجواب عن إهمالهم ما أهملوه من محتمل القسمة لوجوه التراكيب فاعرفه.

وتراه في موضع آخر يقول – باب من غلبة الفروع على الأصول- هذا فصل من فصول العربية ظريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب، ولا تكاد تجد شيئًا منه إلا والغرض فيه المبالغة؛ **فمما جاء فيه للعرب قول ذي الرمة:**

ورمل كأوراك العذارى قطعته إذا ألبسته المظلمات الحنادس*

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعًا والفرع أصلاً، وذلك أن المادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء؛ ألا ترى إلى قوله:

ليلي قضيب تحته كثيب وفي القلاد رشأ ربيب**

وإلى قول ذي الرمة أيضًا، وهو من أبيات الكتاب:

ترى خلفها نصفا قناة قويمة ونصفًا نقا يرتج أو يتمرمر***

وإلى قول الآخر:

خلقت غير خلقة النسوان إن قمت فالأعلى قضيب بان

وإن توليت فدعصتان وكل إد تفعل العينان

وإلى قوله:

كدعص النقا يمشي الوليدانِ فوقَه بما احتسبَا من لينِ مس وتسهال****

وما أحسن ما ساق الصنعة فيه الطائي الكبير:

كم أحرزتْ قُضُب الهنديّ مُصْلتةً تهتزُّ من قضيبٍ تهتزُّ في كثبِ

ولله درُّ البحتري، فما أعذبَ وأظرفَ وأدْمَثَ قولُه:

---

*الحنادس : شديدة السواد .
** يقصد بليلي قضيب : ليلي طويل ، الرشأ الربيب : الظبي الناشئ .
*** نصف قويم : مستقيم متماسك ، نقا يرتج أو يتمرمر : كثيب يهتز ويتحرك .
**** في هذا البيت وما قبله : دعص قطعة من الرمل مستديرة ، والنقا : الكثيب من الرمل ، والجمع أنقاء ونقى .

* في هذا البيت وما قبله:
دعص: قطعة من الرمل مستديرة. والنقا: الكثيب من الرمل، والجمع أنقاء ونقى. والإد: الأمر المنكر.

أين الغزالُ المستعيرُ من النّقا كَفَلا ومن نَوْر الأقاحِيّ مَبْسِمَا؟

فقلبَ ذو الرمة العادةَ والعرف في هذا، فشبّه كُثُب الأنقاء بأَعْجَازِ النساء؛ وهذا كأنه يخْرُجُ مخرجَ المبالغة، أي قد ثبّت هذا الوضع وهذا المعنى لأعجاز النساء، فصارَ كأنّهُ الأصلُ فيه حتى شبَه به كثبانَ الأنْقَاء، ومثله للطائي الصغير:

في طلعة البدرِ شيءٌ منْ مَلاحَتها وللقضيبِ نصيبٌ من تثنِّيهَا

وآخرُ مَنْ جاء به شاعرنا فقال:

نحنُ ركْبٌ ملجِنٌ في زيّ ناسٍ فوقَ طيْرٍ لهُ شخوصُ الجمالِ

فجعل كونهم جنًا أصلاً، وجعل كونهم ناسًا فرعًا، وجعل كون مطاياه طيرًا أصلاً، وكونها جمالاً فرعًا، فشبه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد.

إلى أن قال- ونظائره في هذه اللغة كثيرة، وهذا المعنى عينه قد استعمله النحويون في صناعتهم، فشبهوا الأصل بالفرع في المعنى الذي أفاده ذلك الفرع من ذلك الأصل؛ ألا ترى أن سيبويه أجاز في قولك هذا الحسن الوجه، أن يكون الجرُّ في الوجهِ من موضعين، أحدهما الإضافة، والآخر تشبيهه بالضارب الرجل، الذي إنما جاز فيه الجرّ تشبيهًا له بالحسن الوجه على ما تقدم في الباب قبل هذا. فإن قيل: وما الذي سوّغ سيبويه هذا، وليس مما يرويه عن العرب رواية، وإنما هو شيء رآه واعتقده لنفسه، وعلل به؟

قيل يدل على صحة ما رآه من هذا وذهب إليه ما عرفه وعرفناه معه، من أن العربَ إذا شبهت شيئًا بشيء، مكنت ذلك الشبه لهما، وعقدت الحالُ بينهما؛ ألا تراهم لما شبهوا الفعل المضارع بالاسم فأعربوه، تمموا ذلك المعنى بينهما بأن شبهوا

اسم الفاعل بالفعل فأعملوه، وكذلك لما شبهوا الوقف بالوصل في نحو قوله عليه الصلاة والسلام: والرحم، وقوله: "بل جوزتيها، كظهر الحجفت"، وقوله:

الله نجّاكَ بكفّيّ مسلمتْ — من بعد ما وبعد ما وبعد متْ

صارت نفوسُ القومِ عند الغلصمتْ — وكادت الحرّةُ أن تُدعى أمتْ*

كذلك شبهوا أيضًا الوصل بالوقف في قولهم ثلثهربعه، يريد ثلاثة أربعة، ثم تخفّف الهمزة فيقول ثلثهربعه، وكما وضع الضمير المنفصل موضع المتصل في قوله: إليك حتى بلغت إياكا.

ومنه قول أمية:

بالباعثِ الوارثِ الأمواتَ قد ضمنت — إيّاهُم الأرضَ في دهرِ الدهاريرِ

كذلك وضع أيضًا المتّصل موضع المنْفصل في قوله:

فما نُبَالي إذا ما كنتِ جارتَنَا — ألا يجاورُنَا إلاّكِ ديّارُ**

هذا- كلامه- فانظر رعاك الله إلى تلك الفلسفة اللغوية التي تراها تكاد تسيل رقة، ولها في النفوس محبّةً ومِقَةً، لأنه من صميم لغتنا، وجوهرِ أساليبها، وقد قال ابن زيدون: واللبيب يحنُّ إلى وطنه، حنين النّجيبِ إلى عَطَنِه***.

* الغلصمة: هي الحلقوم أو الحلق، وكتبت في البيت: الغلصمت. وأمة: هي المرأة المسترقة، وكتبت في البيت: أمت.

* ديّار: أحد.

** النجيب: من خيار الإبل، والعطن: مبرك الإبل أو المكان الذي تأوي إليه.

الطور الثاني

عصر عبد القاهر والزمخشري وابن الأثير

يبتدئ هذا الطور بأبي بكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471 الذي جمع متفرقات هذا العلم، وأقام بناءها على أساس متينة، وركز دعائمها على أرض جدد*** لا تنهار، وأمْلَى فيه كتابيْه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وأحكم بناءهما بضربِ الأمثلةِ والشواهدِ، مع التحقيق العلمي البديع، الذي حاكه بلسانٍ عربيٍّ مبين، وقَرن فيهما بين وضع القواعد الفنية، وصوغها بالأساليب الأدبية، فجمع بين العلم والعمل، إذ هو جدُّ عليمٍ بأن مسائل الفنون إن لم تُؤيّد بالأمثلة والشواهد لا تتضح حقّ الوُضُوح، ولا تتمثل في الأذهانِ تمامَ التمثل.

وفي الحق أن كتابيه يعدان أول المؤلفات العلمية في هذه الفنون، بما اشتملا عليه من تحقيقٍ علميّ للمباحثِ التي عَرَض لها، مع أسلوب أدبي لم يَعِبْه ذلك الملحُ المنطقي الذي خلط به كلامَه، ولم يطغَ على أسلوبه كما طغى على أساليب المؤلفين بعده كما سيجيء؛ فلا عجب إذا رأيناهم يقولون إن أولَ من وضَع هذه الفنون الإمامُ عبدِ القاهر.

كذلك من الحقّ أن نقول: إن عبدَ القاهر بوضعه هذين الكتابين أنشأ منه البيانَ كاملاً- كما فعل سيبويه في الكتَاب، إذ به أوجد النحو كاملاً، وفعل الخليل من قبل، إذ أوجد العروض علمًا تامًا، وكلُّ من جاء بعدَ عبد القاهر فمِنْ نورِ علْمِه قبس، ومن ينبوع بحرِه اغترف، وما زيد بعده من المسائل فقشورٌ لا يضيرُ العالم ترْكها؛ فهو الذي نهض بهذا العلم نهضة جديدة، وأوجد فيه حياة لم تكن معروفة قبل؛ وهو وإن كان أدخل البحوث الفلسفية لإثبات قضايا هذا العلم بإسراف حينًا، واقتصاد حينًا آخر، أبقى الصبغة الأدبية سليمة لا يعتورها وهن ولا ضعف،

*** آساس، جمع أس، وهو الأساس، والأرض الجدد: اليابسة الصلبة.

فأنت تراه يذكر في التعريفات محترزات القيود كما هي طريق المناطقة في تواليفهم، كقوله في أسرار البلاغة في تقسيم الاستعارة (الذي يستحق بحكم هذه الجملة أن يكون أولاً من ضروب الاستعارة ما يرى فيه معنى الكلمة المستعارة موجودًا في المستعارِ له من حيث عموم جنْسِه على الحقيقة، إلا أن لذلك الجنس خصائص ومراتب في الفضيلة والنقص والقوة والضعف؛ فأنت تستعيرُ لفظَ الأفضلِ لما هو دونَه كاستعارةِ الطيران لغير ذي الجناح إذا أردت السرعة، وانقضاض الكواكب للفرسِ إذا أسرع في حركته من علو)[1]، وقوله في تعريف المجاز وبيان حقيقته، والفرق بينه وبين المنقول والمشترك: (لأن قصدي في هذا الفصل أن أبيّن أن المجاز أعمّ من الاستعارة، وأن الصحيح من القضية في ذلك، أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة، وذلك أنا نرى العارفين بهذا الشأن أعنى علم الخطابة ونقد الشعر، والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع، يجري على أن الاستعارة نقلُ الاسمِ عن أصلِه إلى غيره للتشبيهِ على حدِّ المبالغة[2].

وقوله في موضع آخر: (وإن ما نجده في كتب اللغة من إدخال ماليس طريقُ نقْله التشبيه – في الاستعارة كما صنع أبو بكر بن دريد في الجمهرة، فإنه ابتدأ بابًا فقال باب الاستعارات – ثم ذكر فيه أن الوغى اختلاط الأصواتِ في الحرْب، ثم كثرت وصارت الحربُ وَغَى وأنشد:

إضـامةٌ مـنْ دونِها الثلاثين لها وَغَى مثل وَغَى الثمانين[3]

يعني اختلاط أصواتها – وذكر بين ما ذكره من هذه الكلمة أشياء هي استعارة على الحقيقة على طريقة أهل الخطابة ونقد الشعر، لأنه قال: الظمأ العطش

(1) صفحة 39.
(2) صفحة 336 .
(3) الإضمامة: الجماعة من الرجال.

وشهوة الماء، ثم كثر ذلك حتى قالوا ظمئت إلى لقائك، وقالوا الوَجُـور مـا أوْجَـرَه الإنسان من دواءٍ أو غيرِه، ثم قالوا أوْجَرَه الرُّمْح، إذا طَعَنَه في فِيهِ.

فالوجه في هذا الذي رواه من إطلاق الاستعارة على ما هـو تشـبيه، كـما هـو شرطُ أهلِ العلم بالشعر، وعلى ما ليس من التشبيه في شيء، ولكنه نقْلُ اللفـظ عـن الشيءِ إلى الشيءِ، بسبب اختصاص، وضَرْب من الملابسـة بيـنهما، وخلْـطِ أحـدِهما بالآخر، أنهم كانوا نظروا إلى ما يتعارفُه الناسُ في معنى العاريَة، وأنها شيء حُوِّل عن مالكه، ونُقِل عن مقره الذي هو أصل في استحقاقه إلى مـا لـيس بأصـل ولم يُراعُـوا عُرف القوم)[1].

فها أنت ذا تجده ينسـب الطريقـة البلاغيـة الاصـطلاحية إلى أهـل الخطابـة، ويعتبر أصحاب علم الخطابة ونقد الشعر هُمُ العارِفِين بهذا الشأنِ البلاغـي، وأنـت جدُّ عليمٍ بأن الخطابةَ بحثٌ من بحوثِ المنطق بحسـب التقسـيم المعـروف في هـذا العلم.

وشيء آخر تجده في سياق كلامه – هو محبته للبديع اللفظي؛ فتراه متى وجـد للجناسِ والسجعِ سبيلاً لا يتورعُ أن يستعملَهُما، مع ما قد يستتبع ذلك من هُجْنَةٍ في الكلام بتقديمٍ أو تأخيرٍ، أو استعمالٍ للفـظٍ نـابَ عـن موضِـعه؛ لا يـتمّ السـجعُ أو الجناسُ إلا به، فهو إن كان قد عابَ مثلَ هذا النوع كثيرًا وأَعَادَ وأَبْـدَأَ وأَزْرَى بمـن يستعمل هذه الأنواع بكثرة، وجَعَلَ المثلَ لذلك أبا تمام وأبا الفتْح البُسْـتي، وقـع في استعمال مانهى عنه، ولم يصل إلينا شيءٌ من آثارِ عبد القاهر الأدبيـةِ ورسـائلِهِ التـي كتبها في أغراضٍ مختلفة، حتى يُتاحَ لنا أن نحكمَ على أسلوبِهِ الكتابِيِّ، كما حكمْنَا على أسلوبِهِ العلميِّ، ولو وصلَ إلينا شيءٌ من ذلك لكانَ يكـونُ الحكـمُ أدقَّ، والبحـثُ أشملُ.

(1) صفحة 337 من أسرار البلاغة.

وقد سارَ على هذا النهجِ بتلطّفٍ؛ جارُ الله الزَّمَخْشَــرِي، في كشَـافِهِ عـن بيـان الأسرار البلاغية التي في الكتاب الكريم، مع جفوة عن ذكر المصـطلحات العلميـة بالطريق المعروفة لنا، والكشَّافُ هو عمدة السـكّاكِي في بحوثِـهِ الكثـيرةِ المبعثـرةِ في كتابِ [المفتاح]؛ وقد عدَدْنَاهُ من المؤلفين في البلاغة وإن لم يؤلف فيها كتابًا، من قِبَل أن تفسيرَهُ مشْحُونٌ بلآلئ مِن هذه الفنون، والقومُ عالـةٌ عليـه فيهـا (لا سـيّما علـم البيان)، فقد أجاد في أوائِلِهِ أيّـما إجَـادة، وصـار المؤلفـون ينْقلُـونَ عباراتِـه دونَ أن يَزِيدُوا أو يُنقِصُوا منها حرفًا.

وقد جاء الزمخشري في عصرٍ بدأ الكتابُ والمؤلفون يروْنَ للزّخْـرُفِ اللفظـيِّ بهجةً ورواءً في أساليبهم، فتأسّـى بهـم، وسـار عـلى دربِهِـم، مـع شيءٍ مـن الحيْطَـةِ والحذَرِ، وهاكُم بعضُ رسـائله تَحْكُمـوا بصـحّةِ مـا ادّعَيْنـا. **قـال في كتابـه أطـواق الذهب:**

اسْتَمْسِكْ بحبْل مُوَاخِيك، ما استمْسَك بِأَوَاخِيك، واصْحَبْه ما صَحِبَ الحقَّ وأذْعَنَ، وحَلَّ مع أهله وظَعَن؛ فإن تنكّرَتْ أنحاؤُه، ورشَحَ بالباطلِ إناؤُه، فتعوّضْ عن صُحْبتِه وإنْ عوّضْتَ الشِّسْع(1)، وتصرف بحبله ولو أعْطيت النّسْع(2).

وقال: الكريم إذا ريم على الضيم نبا، والسري متى سِيم الخَسْف* أبَى، وقلّما عُرِفَت الأنفَةُ والإِبَاء في غير من شَرُفَتْ منْهُ الآبَاء".

وكتبَ إلى أبي طاهر السَّلفي، ردًا على كتابٍ كتبَهُ إليه يستجيزُه به.

"ما مثلي مع أعلام العلماء، إلا مثـل السُّـها، مـع مَصَـابيح السـماء، والجِهَـام الصُّفْر والرِّهام، مع الغوادِي الغامِرة للقيعان والآكام، والسُّكَّيْت المُخلِف عن خيْلِ السباق، والبُغَاثُ مع الطيرِ العِتاق؛ وما التلقيبُ بالعلاَّمة، إلا شبه الرَّقَم والعَلاَمَة، والعلمُ مدينةٌ أحدُ بابيْها الدِّرَاية، والثـاني الرِّوَايـة، وأنـا في كـلا البـابيْن ذو بضَـاعةٍ

(1) زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها، يقال: أدنى من الشسع.
(2) سير من أدم يكون عريضًا على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال.
* رِيم: طُلِب منه، أو أُرغِم على، والضّيْم: الظلم والقهر، نبا: بَعُد ورفض، الخسْف: الذلّ.

مُزْجَاة، ظِلِّي فيها أقصرُ من ظلِّ حَصَاة؛ أما الرواية فحديثةُ الميلاد، وقريبةُ الإسْنَاد، لم تستند إلى علماءٍ نَحَارير، ولا إلى أعْلامٍ مَشَاهير؛ وأما الدّراية فثمْـدٌ لا يبلـغ أفْوَاهـا، وبَرْضٌ ما يبلُّ شفاها". والكتابُ طويلٌ نجتزئُ منه بما ذكرنا، وذلك كافٍ في معرفة طريقته.

أما ضياءُ الدين بن الأثير المُوصِلي، فتَدْقِيقاتُه العِلْمية، أجلُّ من كتابته الأدبية، وما أَوْدَعَهُ في كتابه [المثل السائر] مِنْ مسائلِ هذه الفنون قلـما يوجـد في سـواهُ مـن المؤلفات، لكن قد تخفى عليه أسرارٌ مـن الفـن فَطِـن إليهـا فطاحـلُ البُلغـاء؛ فقـد اعـترضَ عـلى الزمخشـــري في قولـه: إنّ التقـديمَ في قولـه تعـالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: الآية 5]** للاختصاص. وقال: بل التقديم لمكان الـنظم؛ لأنه لو قال نعبُدُك ونستعينُك، لم يكن له مـن الحسـن مـا لقولـه إيـاك نعبـد وإيـاك نستعين؛ ألا ترى أنه تقدم قولـه تعـالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة: الآيـة 2 - 4] * فجاء بعـد ذلـك قولـه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وذلك لمراعاة حسن النَّظْم السَّجْعِي الذي هو على حرف النـون، ولو قال نعبدُك ونستعينُك لذهبت تلك الطـلاوة وزال ذلـك الحُسْـن، وهـذا غـيرُ خافٍ على أحدٍ من الناس فضلاً عن أربابِ علم البيان، وعـلى نحْـوٍ منـه ورد قولـه تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [سورة طه: الآيـة 67– 68]**، وتقدير الكلام فأوْجَسَ موسى في نفسه خيفَة، وإنما قدّم المفعولَ عـلى الفاعلِ، وفصلَ بين الفعلِ والفاعلِ بالمفعولِ وبحرف الجر قصْـدًا لتحسـينِ الـنّظم؛ وعلى هذا فليس كلُّ تقديمٍ لما مكانُهُ التأخير يكون من باب الاختصاص، فبطـل إذًا ما ذهب إليه الزمخشـري هذا كلامه؛ ولا يذهب عن بالك أن ما ارتضـاهُ يبعـدُ عـن سرّ الفصَاحة، إذْ إنّ التقديم للحلْيَة اللفْظيـة، لا يجـنحُ إليـه البلغَـاء إلا إذا عَـدِمُوا

** سورة الفاتحة: 5.
* سورة الفاتحة: 2- 3.
** سورة طه: 67.

الأسرارَ المعنويّة، التي يوجّه إليه اختيارُ أسلوبٍ من الكلامِ دونَ آخر على نحـوِ مـا فعل الزمخشري.

وقال في موضع آخر: اعلمْ أن اللفظَ إذا كان على وزنٍ من الأوزان، ثـم نقـل إلى وزْن آخر أكثر منه حروفًا، فلابد من أن يتضمن من المعنى أكثر ما تضـمّنه أولاً؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانـة عنهـا، فـإذا زيـدَ في الألفـاظ أوجبـتْ القسمة زيادةَ المعاني، وهذا لانزاع فيه لبيانِه، وهـذا النـوع لا يُسـتعمل إلا في مقـامِ المبالغة، فمن ذلك قولهم: "خَشُن واخْشَوْشَن"، فمعنى خشُن دون معنى اخشوْشَن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو نحو فعُـل وافْعَوْعَـل، وكـذلك قـولهم أعْشَـب المكان، فإذا رأوا كثرة العُشْب قالوا اعْشَوْشَب.

ومما ينتظم في هذا السلك قدَرَ واقْتَدَرَ، فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر. قال الله تعالى: ﴿..فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر: الآية 42]* فمقتدر هنا أبلغ مـن قادر، وإنما عَدَل إليه للدلالة على تفْخيم الأمر وشدَّة الأخْذ الذي لا يصْدُر إلا عـن قوة الغضب، أو للدلالة على بَسْط القدرة، فإن المقتدِر أبلغ في البسـطة مـن القـادر، وذاك أن مقتدر اسم فاعل من اقتدر، وقادرًا اسم فاعل من قدر، ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل، وعلى هذا ورد قول أبي نواس:

فعفـوْتَ عنِّـي عفْـوَ مقتـدرٍ حُلَّــتْ لــهُ نِقَــمٌ فألغاهَــا

أي عفوتَ عنّي عفْوَ قادر متمكن القـدرة لا يـردّهُ شيءٌ عـن مضـاء قدرتـه، وأمثالُ هذا كثيرةٌ في كلامه.

وأما رسائله التي أودعها كتابـه مـن عهـودٍ وبيعـاتٍ، وحـلٍّ للـنظم فـدون المتوسط، ولا يصح أن تكون أمثلة تحتذى وينسج على منوالها، فمـن ذلـك قولـه في كتابٍ في ذمّ الزمان: ولكنها الأيام تُبدي لنـا مـن جوهرهـا كـل غريبـةٍ، وتسُوسُـنا

* سورة القمر: 42.

سياسةَ العبدِ المجدَّعِ الذي كان رأسُهُ زبيبة، وليس للمرء فيها يلقاهُ من أحداثها نُعْمى كانتْ أو بُؤْسَى، إلا أن يَكِلِ الأمورَ إلى وليِّها ويقول حاجَّ آدمُ موسى، وهذا مأخوذٌ من الخبر النبوي "حاج آدم موسى، فقال له موسى: أنت أخرجتَ الناسَ بخطيئتِك من الجنةِ وأشْقيتَهُم، فقال له آدم أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه؟ أتلومني على أمر كتبه الله تعالى عليّ قبل أن يَخْلقني؟ قال رسولُ الله (ﷺ): فحج آدم موسى"*.

ومما كتبه رسالة في وصف مصر:

ولقد شاهدتُ منها بلدًا يشهدُ بفضْله على البلاد، ووجدته هو المِصْر وما عداه هو السّواد، فما رآهُ راءٍ إلا ملأ عينَه وصدرَه، ولا وصفه واصفٌ إلا علم أنه لم يقَدَّر قدره، ومن عجائب الآثار ما لا يضبِطُها العيَان، فضلاً عن الإخبار من ذلك الهَرَمان، اللذان هَرِمَ الدهرُ وهما لا يهْرَمَان، قد اختص كل منهما بعِظم البناءِ، وسَعة الفناء، وبلغ من الارتفاع غايةً لا يبلغُها الطيرُ على بُعْد تحليقِه، ولا يدركها الطرْفُ على مدَّة تحدِيقه، فإذا أضرمَ برأسِه قبسٌ ظنّه المتأملُ نجمًا، وإذا استدار عليه قوسُ السّما كان سهمًا.

* الحديث رواه أبو هريرة، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده تحت رقم 7796، كما ورد في تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، وعون المعبود في شرح سنن أبي داود.

الطور الثالث
عصر السّكاكي والعَضُد والطّيبي والخطيبِ وبدرِ الدينِ بن مالك

ابتدأ هذا الطور بكتاب المفتاح الذي وضعه السكاكي، وسماه [مفتاح العلوم]. وفي هذه الآونة كان للمنطق والفلسفة سلطانٌ مطاعٌ ليرد له قول، ولا ينقضُ له أمر، وأصبحت الأساليبُ العربية تقاس بحدود المنطقِ ورسومِه، ولا يقامُ لها وزنٌ إن لم يجللها بميْسِمه، ويختِمُها بطابَعِه، ولا اعتدادَ لها إن لم يكن لها منه طُفْراء، ويكون لها إليه انتساب واعتزاء، وصار الكاتبُ والشاعرُ يشيد بذكراهما، ويحلِّي كلَّ منهما كلامَه بحلاهُما، وعلى مقدار ما يوضَع من مصطلحاتهما في الكلام يعْلُو شأنه، ويرتفعُ في الأعينِ قدرُه، وصار الإغْرَابُ بذكر الكمّ والكيف والأين والمتى والعدم والملكة والماهِيَّة والكيفية والاصطلاحات وأرسطو وأفلاطون، والطبيعة وما وراء الطبيعة، والمهملة والكليّة والجزئيّة، والسّالبة والمُوجبَة، والكلي والجزئي، والطعوم والروائح، والجنس والفصل والعرض العام والخاص، والمعدولة المحمول والموضوع، والسالبة تصدق بنفي الموضوع – شنشنة الأدباء والمتأدبين، ولا تروج سوقٌ لأديبٍ أو شاعر إلا إذا نَهِل من معينهما وارتوى من حوضهما، حتى بلغ الأمرُ بالسكاكي أن ادّعى في مفاتِحِه أن الاستعارة والكناية وغيرهما من مسائل علم البيان ما هي إلا أقيسه منطقية والزاماتٌ يستعملها المتكلمون لإقناع المُخاطبين بما يريدون إثباتَه أو نفيَه من نظريات وآراء.

وهاك ما قاله في كتابه لتعلم منه كيف كان الداءُ دويًا، وعلاجه مستعصيًا لا يُرجى له بُرْء، ويعزُّ منه الشفاءُ. قال:

"وإذ قد تحقّقتَ أن علم المعاني والبيان هو معرفةُ خواصّ تراكيب الكلام، ومعرفة صياغاتِ المعاني، ليتوصّل بها إلى توْفيةِ مقاماتِ الكلام حقها بحسب ما

يفي به قوةُ ذكائِك وعندك علمٌ أن مقامَ الاستدلال بالنسبة إلى سائرِ مقاماتِ الكلام جزءٌ واحدٌ من جملتها، وشعبة فردة من دوحتها، علمْتَ أن تتبع تراكيبِ الكلامِ الاستدلالي ومعرفةِ خواصّها مما يلزمُ صاحبَ علمِ المعاني والبيان[1].

ويذكر بعدئذ أن معرفة علوم البيان مما تساعد على نظْم الدليل المنطقيّ، فيقولُ: ولولا إكمالُ الحاجةِ إلى هذا الجزء من علم المعاني وعِظَم الانتفاع به؛ لما اقتضانا الرأيُ أن نري عِنانَ القلم فيه، علمًا منا بأن من أتقنَ أصْلاً واحدًا من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ووقَفَ على كيفية مَسَاقِه لتحصيل المطلوب، أطلَعَهُ ذلك على كيفية نظْم الدليلِ، وكأنّي بكلامِي هذا وأين أنت عن تحقّقه أعالج من تصديقِك به، ويقِينك لديه، بابًا مقفلاً لا يهجس في ضميرك سوى هاجس، دَبِيبُه فعل النفسِ اليقظَى إذا أحسّتْ بنبأٍ من وراءِ حجاب، لكنها إذا أطْلعْنَاك على مقصود الأصحاب من هذا الجزءِ على التدريج؛ مقرّرين لما عندنا من الآراء في مظانِّ الاختلاف بين المتقدمين منهم والمتأخرين رجعْنا إلى هذه المقالةِ بإذن الله محققين، ورفعنا إذْ ذاك الحجاب الذي يُوارِي عنكَ اليقين[2].

ثم تنتهي به خاتمةُ المطافِ إلى أن يحكمَ حكمًا لا هوادةَ فيه بأن عملَ صاحبِ البيان، وعملَ صاحبِ الاستدلال يتساويان، فيقول بعد ذكر أبحاث الاستدلالِ والقياسِ والتقسيمِ والسبرِ والاستقراء.

" وهذا أوانُ أن نُثْنِي عنانَ القلم إلى تحقيق ما عساك تنتظرُ منذ افتتحنا الكلامَ في هذه التكملة أن تتحقّقه؛ أو عل صبْرك قد عِيلَ له وهو أن صاحبَ التشبيهِ أو الاستعارةِ أو الكنايةِ، كيف يسلك في شأن متوخّاه مسْلكَ صاحبِ الاستدلال، وأنَّى يعْشُو أحدُهما إلى نارِ الآخر، والجد وتحقيق المرام مَئِنَّةُ هذا*، والهزلُ وتلفيقُ الكلامِ مظنَّةُ هذا، فنقول وبالله التوفيق:

(1) صفحة 229 من الطبعة الأدبية.
(2) صفحة 229 أيضًا.
* المئنة: علامة الشيء أو غايته.

أليس قد تُلِيَ عليك أن صورَ الاستدلال أربعٌ لا مزيدَ عليهن، وأن الأولى هي التي تستبدُّ بالنفس، وأن ما عداها تستمدُّ منها بالارتداد إليها، فقل إن كانت هذه التلاوة أفادت شيئًا هل هو غيرُ المصير إلى ضروبٍ أربعة، بل إلى اثنين، محصولهما إذا أنت وفيتَ النظرَ إلى المطلوبِ حقه، إلزام شيءٍ يستلزمُ شيئًا فيتوصّلُ بذلك إلى الإثبات، أو يعانِدُ شيئًا فيتوصلُ بذلك إلى النفي؟، ما أظنك أن صَدقَ الظنُّ يجولُ في ضميرك جائلٌ سواه.

ثم إذا كان حاصل الاستدلال عند رفْع الحُجُب، هو ما أنت تشاهد بنور البصيرة، فوَحَقِّك إذا شبهتَ قائلاً (خدُّها وردة)؛ تصنع شيئًا سوى أن تلزم الخدّ ما تعرفه يستلزم الحمرةَ الصافيةَ، فيتوصل بذلك إلى وصف الخدّ بها، أو هل إذا كنّيتَ قائلاً: (فلانٌ جمُّ الرماد) تثبت شيئًا غير أن تثبت لفلان كثرة الرماد المستتبعة للقِرَى، توصلاً بذلك إلى اتصاف فلان بالمضيافية عند سامعك؟ أو هل إذا استغرقتَ قائلاً (في الحمّام أسدٌ) تريد أن تبرزَ من هوَ في الحمّام في معرضٍ من سُداه ولُحمته شدّةَ البطش، وجراءةَ الإقدام مع كمال الهيبة- فاعلاً ذلك ليتسم فلان بهاتيك السمات ؟

أو هل تَسْلُك إذا رُمْتَ سلْبَ ما تقدم فقلتَ (خدّها باذنجانةٌ سوداء) أو قلت (قِدْرُ فلانٍ بيضاء) أو قلت: (في الحمّام فراشة) مسلكًا غير إلزام المعانِدِ بدل المستلزم، ليتخذ ذلك ذريعةً إلى السلْب هناك؟

أرأيت والحال هذا أن أُلقِي عليك زمام الحُكم – أتجدُك لا تستحي أن تحكمَ بغيرِ ما حكمنا، أو أن تَهْجِس في ضميرِك أنّى يعْشُو صاحب التشبيه أو الكناية أو الاستعارة إلى نارِ المستدل- ما أبعد التمييز بمجرّده أن يسوّغ ذلك فضلاً أن يسوِّغَهُ العقلُ الكاملُ؟ والله المستعان[1].

---

(1) صفحة 268 من الطبعة الأدبية.

ونحن بعد هذا نُسَائل أنفسَنا لنتبيّن، ماذا أراد السكاكي بعقْد هذه الصّلة بين علومِ الاستدلال وعلومِ البيان هل أراد أن طرقَ التعبير لدى العربِ واليونان قد توافقتْ؟ أو أن العربيّ نحا في أساليبِ قضاياهُ منحى المنطقيّ في أقْيِسَتِه، لكن على نمط يُشَاكِلُ مزاجَ العربي الذي يكتفي بالإيجازِ واللمحةِ الدالة، ويستغني بالإيماء والتلويح دون حاجة إلى الإظهارِ والتصريحِ؟

فإن كان قد أراد الأول، فمن ذا الذي يستطيع أن ينازعَ في مثل هذا؟ فالعقولُ في مناحِي التفكير كثيرًا ما تتفق، والآراءُ قد تتلاقى في وسائل الإفْهَام؛ فالإنسانُ هو الإنسان أنّى كان، وكيف وُجد، والفوارق التي تحصل بين أمة وأخرى، لا تُوجِد اختلافًا في الجوهر بل في العرض، وفي اختصارِ الطريق أو طولِه عند التخاطب، والنتيجةُ واحدةٌ في كلتا الحالين.

وإن كان قد أرادَ الثاني فما البرهانُ عليه؟ بل الأجدرُ به أن يرجع الاستدلال المنطقي إلى أسلوبٍ كنائي أو تشبيهي أو استعاري لا العكس لنعلمَ أن العربي لم يكن مقلدًا المنطقي المنطقي في إثباتِ قضاياه وأساليب حُجَجِه.

ولقد كان من صوابِ الرأي أن يقول: إن كلَّ أمةٍ لها من وسائل الإقناع ما هو أنسبُ بيئتها التي تعيش في أكنافها، وفيها شبَّ أهلها ودَرَجوا، وبما تعودوه في مخاطباتهم على مر الأجيال والأحقاب، وحينئذ لا حاجة به إلى عقد هذه الصلة بين علوم الاستدلال وعلوم البيان، ولا إلى توثيق الرابطة بين مصطلحاتها، فتلك في واد، وهذا في واد.

سارتْ مُشرِّقةً وسرتُ مغرِّبًا   شتانَ بين مشرِّقٍ ومغرِّبِ

وبعد، فهذا موضوع يحتاج إلى بحث مستقل، ولعلنا نوفق إلى الخلوص فيه بإسهاب يكون موائمًا لجليل خطره، فما أجدر الكتاب والباحثين أن يدلوا بدلائهم فيه، وإذ ذاك نخرجُ منه بالرأيِ الناضجِ والقولِ الفصل.

كذلك نراهُ في مواضِع أخرى من المفاتح يقسِّمُ الجامعَ المصحح للوصل إلى حقيقيّ ووهميّ وخياليّ، ويطيلُ في إيضاح هذا وشرحه، بذكر الخيالَ لدى أربابِ الصناعاتِ المختلفة من نجارين وحدادين وخبازين، وما يدورُ في خَلدِ كل منهم من أدواتٍ وماعُون، ويقسِّم وجْهَ الشبه إلى داخلٍ وخارجٍ، وإلى ما اشتركَ فيه الطرفان في الجنسِ أو في النوعِ أو في خاصة من الخواصِّ، ويشرح الفارقَ بين سلْب العموم وعمُوم السلب، ويستدل على ذلك بمثلٍ من كلامِ الأقدمين.

وهكذا تراه يسير قدمًا في حشو كتابه بالمصطلحات المنطقية، فيذكر الألوان والطعوم والروائح والحواس ومقارها، والوهم والخيال والحس المشترك والوجدان، والكلام على الفاعل الحقيقي، واختلاف الآراء في ذلك، ومع كل هذا فقد كان في قلمه أَثَارةٌ من الأسلوبِ الأدبي الذي دَرَج عليه من سبقه من المؤلفين في علوم الفصاحة.

فنحن إن أخذنا عليه تلك النبْوَة في الأسلوبِ والشغفِ بالمصطلحات المنطقية والفلسفية، نغتفر له تلك الهناة كفاءَ ما قام به من جليلِ العمل في تهذيبِ مصطلحات هذه الفنون، والسيرِ بها قدمًا نحو الكمال في استيفاءَ مباحثها، وتخليص أقسامِها بعضها من بعض، حتى صارت متمايزة مختلفة المناحي والأغراض، بحسب ما تراءى له، وظنّه مستقيمًا جهدَ الطاقة.

وفي هذا مقال سيفرد له بحثًا خاصًا سَيَرِد عليك بعدُ؛ وفي الحق أن كتابه يُعدّ خاتمةَ المؤلفات في هذه الفنون، فبه تمّت مباحثها، وأصبح لكل علم منها كيانٌ مستقلّ، ووحدةٌ خاصة عُرف بها الغرضُ الذي لأجله يُدرس، وكل من جاء بعدَه من المؤلفين، اتبَعَ سبيله، وسار سيرته، ولم يأتِ بجديد؛ بل فسّر مبهمًا، أو فصّل مجملاً، أو اختصَر مُطولاً.

وقد عني بهذا الكتاب جماعة من جلّةِ العلماء اشتغلوا بتلخيص وشرحِ مُبْهمه، وإيضاحِ مُغْلقه على طرقٍ شتى، كلهم كانوا في عصر واحد.

(1) بدر الدين بن مالك المتوفى سنة 686 اختصره في كتاب سماه: [المصباح في اختصار المفتاح] ، واستمر ردحًا طويلاً من الزمن قبلة طلاب البلاغة في بلاد المغرب، وعني بشرحه جماعة من المؤلفين سيأتي ذكرهم بعد، فكان مثله في تلك البلاد مثل: تلخيص القزويني في البلاد الشرقية، وقد أشاد بذكره ابن خلدون في مقدمة تاريخه عند الكلام على علم البيان.

(2) أبو عبدِ الله محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني. المتوفّى سنة 739هـ اختصره في كتابٍ أسماه: [تلخيص المفتاح] طبقتْ شهرته الخافقيْن، وعُني بشرحه الجمّ الغفير من الشرقيّين والمصريين والترك في كل العصور، وسيأتي ذكرهم بعد.

وكل من ألف بعده في البلاغة، فإما أن يكون شارحًا لكتابه أو مختصرًا له أو ناظمًا له. أما الشـراح فلا يحصى لهم عَدٌّ كثْرة؛ وأما المختصرون فمنهم ابن جماعة؛ اختصره في كتاب سماه [تلخيص التلخيص] وبرويز الرومي وزكريا الأنصاري.

وأما ناظموه: فمنهم خِضْر بن محمد، مُفْتى أماسيه، نظمه وسمّى نظمه: [أنبوب البلاغة]، وزين الدين أبو العز بن طاهر، وجلال الدين السّيُوطي وسمّي نظْمه [مفتاح التلخيص]، وشرحَه بشرْحٍ سمّاه [عُقُود الجمان]، ونظمه عبد الرحمن الأخضري وسمّي نظمَه [الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون] .

ومن العجيب حقًا أن يدعي الخطيب القزويني أن كتابه تلخيص للمفتاح وحده، مع أنه ملخص من كتب عدة، فلعبد القاهر في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، فيه الشيء الكثير الذي يتضح وضوحًا تامًا بمراجعة الكتابين، كما للأمير بن سنان الخفاجي في سر الفصاحة؛ حظ وافر من المقدمة، إذ مقدمته لا تعدُو أن تكون مقدمة ابن سنان بأسلوبها، وأمثلتها وشواهِدِها، مع تغييرٍ طفيفٍ، وقد كان من الأمانة العلمية ألا يغمطَ هذين العلميْن فضلهما على كتابه، بل يشير إلى مالهما من عملٍ واضحٍ فيه.

وللمؤلف كتاب آخر سمّاه: [الإيضاح] وهو كالشرح للتلخيص، أسلوبُه مُهَلهَلٌ سهلٌ جمع فيه كثيرًا من أمهاتِ المسائل بعبارة واضحة، فيها روحٌ من أسلوب عبد القاهر، الجامعِ بين الرصانةِ والتحقيقِ العلمي الذي امتاز به كتاباه، فلا غرْوَ إن عدَدْناه من الكتب التي ينبغي أن تكون مقصِدَ طلابِ البلاغة، ينْهلُون من معينِه العذْب، ويغترفون من بحاره السائغةِ المْورد، وقد نقضَ فيه بعضَ نظرياتٍ أقرّها عبد القاهر والسكاكي، ولكن لم يسلَمْ لهُ ذلك، فجاء المؤلفون بعده، وفنّدُوا هذه الاعتراضات، وقد أُفْرِدَتْ مؤلفاتٌ خاصة لذلك، فألّفَ أحمد الكاشاني كتابًا سمّاه: [حلُّ الاعتراضاتِ التي أوردَها الإيضاحُ على المفتاحِ].

(3) عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي الشيرازي؛ القاضي الشافعي المتوفى سنة 756هـ، وقد لخّصَه في كتابٍ أسماه [الفوائد الغياثيّة] عمله لغياث الدين محمد بن سلطان الوزراء، وهو أصغر من تلخيص القزويني جَارَى فيه الأصْل في ترتيبه، فلم يقدّم ولم يؤخّر كما فعل القزويني، وقد شرَحَه ناسٌ كثيرون سيذكرون بعد.

أما كتاب [لطائِف التبايُن في علومِ البيان] للطيبي وشرحه له، فلم نطّلع عليهما حتى نحكمَ على نهجِ تأليفهما، ولكن شرْحه للكشّاف، ومافيه من جودة التصنيف، وحسن الترتيب والتبويب يدلنا على ما نهجه المؤلف في كتابه.

الطور الرابع

عصر الشروح والحواشي

في هذا العصر اتجهت العناية إلى خدمة المؤلفات في هذا الفن، عوضًا من خدمة الفن، فبدأ سيل جارف من الشروح للمفتاح وتلخيصاته كالمصباح والتلخيص والفوائد الغياثية في القرون الثلاثة وهي: السابع والثامن والتاسع، ثم الحواشي على هذه الشروح في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر، والتقريرات على الحواشي في الثاني عشر والثالث عشر؛ فبدأ العلامة قطب الدين الشيرازي المتوفى سنة 710هـ بشرح المفتاح، وسمي شرحه [مفتاح المفتاح] ثم قفاه الخلخالي المتوفى سنة 745هـ، ثم سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة 791هـ، ثم السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة 816هـ، ثم ابن كمال باشا المتوفى سنة 940، وبدأ الخطيبُ الخَلْخَالي المتوفّى سنة 745 بشرح تلخيص القزويني، وقفّاه بهاءُ الدين السبكي المتوفى سنة 773، ثم سعد الدين التفتا زاني المتوفى سنة 791، والزَّوْزَني شمس الدين محمد بن عثمان المتوفى سنة 792، وناظِر الجيش المتوفى سنة 778، والبابرتي المتوفى سنة 786، وشمس الدّين القونوي المتوفى سنة 788، وجلال الدين التبْرِيزي المتوفى سنة 793، والسيد عبد الله المتوفى حوالي سنة ثمانمائة، وعصام الدين بن عرَبْشَاه المتوفى سنة 951، والتبريزي وسمَّي شرْحه نَفَائِس التَّنْصِيص في شرح كتاب التلخيص، وابن يعقوب المتوفى سنة 1108.

حواشٍ على شرْحِ السَّيد للمفْتَاح

حاشية للبُسْطامي المتوفى سنة 871، حاشية للمولى اللَّطْفي المتوفى سنة 900، حاشية لأسْعد النّاجي المتوفى سنة 922، حاشية لمحي الدّين جلبي المتوفّى سنة 954، وحاشية للبُسْنَوي المتوفى سنة 1080، وحاشية للشّهاب الخَفَاجي المتوفى سنة 1069.

حواشٍ على المطوّل لسعدِ الدين التفتازاني

حاشيةٌ للسيّد الشريف الجرْجَاني المتوفى سنة 816، وحاشية لعز الدين بن جمَاعَة المتوفى سنة 819، وحاشية لشمس الدين الفنَاري المتوفى سنة 838، وحاشية للبسَاطِي المتوفى سنة 842، وحاشية لأبي الليثِ السَّمَرْقَنْدي المتوفى في النصف الثاني من القرن العاشر، وحاشية لَمَّلا خَسْرُو الرُّومِي المتوفى سنة 885، وحاشيةٌ لأسْعد الناجي المتوفى سنة 922، وحاشية لعبد الحكيم السّيَالكُوتي المتوفى سنة 1067.

حواشٍ على المختصَر لسعدِ الدين التفتازاني

حاشيةُ أحمد بن يحيي، حفيدُ سعد الدين المتوفى سنة 906، حاشيةُ نظامِ الدين الخطّائِي، المتوفى سنة 901، حاشيةُ يس العليمي؛ المتوفى سنة 1061، وله حاشيةٌ أخرى على حاشيةِ حفيد السَّعْد، وحاشيةُ الخفاجِي المتوفى سنة 1069، وحاشيةُ الحفني المتوفى سنة 1181، وحاشيةُ البناني؛ من علماء القرنِ الثالثِ عشر، وحاشيةُ الدسوقي المتوفى سنة1230، وحاشيةٌ للصفوي القلْعَاوي المتوفى سنة 1205.

تقريراتٌ على المطوَّل لسعْدِ الدين

تقريرٌ لعبد الرحمن الشـربيني شيخِ الجامعِ الأزهر؛ المتوفى سنة نيف وعشرين وثلثمائة وألف.

تقريراتٌ على المختَصَر لسعدِ الدين

تقريرُ محمد بن محمد شمس الدين الانبابي؛ شيخ الجامع الأزهر المتـوفى سـنة 1313.

شُرّاحُ الفوائِدِ الغِيَاثِيَّة

(1) شرحُ شمسِ الدين الكِرْمَاني المتوفى سنة 786، وسماه [تحقيق الفوائد].

(2) شرحُ شمس الدين محمد بن حمزة الفنري المتوفى سنة 834.

(3) شرحُ محمد بن السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة 838.

(4) شرحُ السيَد عيسَى بن محمد الصَّفوي المتوفى سنة 955.

(5) شرحُ المولى أحمد بن مصطفى؛ الشهير بطاشْكبرى زَادَه المتوفى سنة 968، وهو شرحٌ جامعٌ شاملٌ لما وُجّه على شرحَيْ سعد الدين؛ مطوّله ومختصَره، مع الإجابة عن ذلك، وقد اختصرهُ في شرحٍ أقل منه حجمًا.

(6) شرحُ العلاّمة الشّريف مير عَلي البخاري، المتوفى سنة 950 بالقسطنطينية.

شرحُ محمد بن حاجي البخاري؛ الشهير (بقال أقول)، أهداهُ إلى أبي الفوارس شاه شجاع؛ وقـد كـان مـن أجـلّ شروحِ التلخيص، شرح مسْعُود سعْد الـدين التفتازاني؛ فقد أوضَحَ مُبْهَمَه، ودَفَعَ ما توجّه عليه من نقدٍ في تعريفاتٍ أو في بعـضِ قضاياهُ العلْميّة، لكنّهُ سلَكَ في ذلك طريقَ أهلِ الجَدَل، لا طريقَ أهلِ الأدبِ، فـتراهُ يسيرُ وراءَ القاعدةِ الجدليّةِ (بيان المُرادِ بدفعِ الإيرَاد)؛ سـواء أوافقَـتِ الـنهجَ الـذي

تسيغُهُ قواعدُ اللغة، أم كان للرأيِ والهوَى فيه دخلٌ كبيرٌ؛ والأمثلةُ من ذلك كثيرةٌ، وحسبُك المثَلُ الآتي:

قال صاحب التلخيص: (لا شك أن قصْدَ المخبرِ بخبره إما الفائدة أو لازمها) فاعترض عليه الخلْخَالي بأنّ قصدَ المخبرِ بالخبر لا ينحصرُ في هذين، فقد يكونُ الخبر مُلْقَى للاستعطاف أو الاسترحام أو التهكم أو غير ذلك من الأغراض؛ التي يستعملُ فيها الخبرُ مجازًا فأجاب عن ذلك بأن المرادَ بالمخبرِ من يكونُ بصددِ الإخبارِ والإعلام، وأنت جَدُّ عليمٍ بأن في هذا الجوابِ مجانَفَةٌ عن الصّواب، وحَيْدَةٌ عن جادَّةِ الحقِّ، إذْ اسم الفاعلِ (مخبر) إنما يدلُّ على من تلفَّظ بالخبَرِ لا من كان بصَدَدِ الإِخْبَار.

وأسلوبُ التأليفِ في تلك الحقبةِ ضعيفٌ ركيكٌ، وفيه مخالفةٌ للقواعد التصريفيّةِ أو النحْويّةِ في بعْضِ الأحايين، فترى سعدَ الدينِ في مختَصَره يقول: (لابدَّ وأنْ يكون)، ويقول: (لا يجتمعانِ قَطّ)، ويقول: (وإلا لربَّما كان كذا- وإلا لما صحَّ القولُ بكذا)، **والذي أفسَدَهُ أمرانِ:**

الأول: خَلْطُهُ بالاصطلاحاتِ المنطقيَّةِ والفلسفيَّةِ.

الثاني: قلّةُ إلمامِ المؤلفينَ بفصيحِ الأساليبِ، إذ إنّهم من بيئة فارسية أو هنديّة أو تركيّة؛ ثم همْ لم يَمْرُنُوا على استعمالِ جيِّدِ التراكيبِ، ولم يحذِقُوا نثيرَها ونظِيمَها، قراءة وفهمًا، حتى يُحَاكُوا ما قَرَءُوا واستظْهَرُوا.

وقد كان من الخير أن تكون أساليبُ التأليفِ في فنونِ الفصاحة الغايةَ في الفصاحةِ، حتى تكونَ تطبيقًا عمليًا على المسائلِ المؤلفة فيها، فلئن كان فنٌّ أجدرَ بهذه الميزة، ليكوننَّ ذا فنّ الفصاحة، ولكن شاءت إرادة الله أن تكونَ المؤلفاتُ في هذه الفنون بعيدةً كلَّ البعدِ عن أن تكون المثَلَ الأعلى أو ما يقْرُبُ منه.

وما زال التأليفُ ينحدرُ من المستوى الأدنـى حتـى وصـلَ إلى حـدِّ الإلْغَـازِ، وتبارَى المؤلفون في الاختصار، حتى احتيجَ إلى حواشٍ تبيّنُ مغازي الشـرَّاحِ مـن عباراتهم، وتشرحُ مقاصدَهم وأغراضَهم، ولكن لم تكن الحواشي في عباراتِها بأوضحَ بيانًا من الشُّرَّاحِ، وصَدَقَ عليها المثلُ "وفسَّرَ الماءَ بعد الجهْدِ بالماء"، فأصبحتْ الحاجةُ ملحّةٌ إلى وضع تقريراتٍ توضّحُ ما انْبَهَم من تلك الشروحِ والحواشِي، فوصلت الحالُ إلى ما يشبهُ التسلسل، واستدعى الحالُ طولَ النظرِ فيها وإعادةَ البحثِ، لكنه بحثٌ عقيمٌ، إذ هو بحثٌ في الصيغ والألفاظِ، لا في فقهِ العلمِ ودَرَكِ مسائِلِهِ، ومن ثمَّ كانت نتيجةُ مُدَارَسَتِها ضئيلةً لا تستحقُّ العناءَ والتعبَ الذي يحصلُ من مدارستها، وكلنا جدُّ عليمٍ بما يُلاقِيه الناظرونَ فيها من الكدِّ والجهد الذي يولدُ السآمةَ والمللَ، وكثيرًا ما يؤدي ذلك إلى اليأسِ من متابعةِ الدرسِ وتركِ دورِ العلمِ، لا زهدًا في العلم ولا تمردًا عليه، ولكن ذلك لصعوبةِ وسائلهِ، واعوجاجِ طُرُقِه.

وإن دراسة تلك الكتب لتُبْعِدُ الغرضَ منها، عِوَضًا من أن تقرَّ به، فترْك المتعلم وفطرَتِه أحْرَى بأن يجعلَهُ على السليقةِ العربيةِ، بدلاً من أن يجعله يتأسَّى بأسلوبِ هؤلاء المؤلفين البعيدِ عن الأسلوبِ العربيِّ المُبين.

وقصارَى القول أن أساليبَ العلماءِ في هذه الفنون أثوابُ أسمالٍ ليس فيها رُوَاءٌ ولا بهجةٌ للناظرِين، لا تَقَرُّ برؤيتها العُيون، ولا تستمتعُ بقراءتها العقولُ، فنحن إذا سَبَرْنَاها كتابًا كتابًا، وقلّبْنَا صفحاته وقرأناهَا بابًا فبابًا، لنرَى أيها يصحُّ أن يكون نبراسًا يستضاء بهديه، أو أنموذجًا ينبغي أن يتأسَّى به، لا نجد من بينها طِلْبَتنَا، فالعُجْمَةُ قد ملكتْ عليها أمرها، ومصطلحات المنطق والفلسفة جلبتْ عليها بخيْلها ورَجُلِها، فإذا أنت تاقَتْ نفسُك أن تقرأَ منها كتابًا، خُيِّل إليك أنكَ بين يدي أرسْطو يجاذبُك الحديث وتجاذبُه، ويشدّك وأنت تدفعُه، في غير هَوادَةٍ ولا رِفْق؛ فما أجدرها أن تكون مؤلفاتٍ تعلم القدرة على الحوارِ والجدل، وترشِدُ إلى

طريقِ التغَلُّبِ على الخِصْم في المناظَرَة؛ وأَخْلَقُ بها بعدئذٍ أنْ تُبْعِد الفائدةَ المرموقةَ عن طالبِها، فالغايتان تتباعَدَان ولا تتلاقيَانِ، وتفترقـانِ ولا تجتمعَـان. فـالأولى تشـحذُ الفكْر، وتوسِّعُ مداركَ العقْل. والثانية ترقِّقُ الشـعورَ والخيـالَ، وتنمِّـي العواطـفَ والوجدان.

شـتَّانَ مـا يَـوْمِي عـلى كُورِهـا ويــومُ حَيَّــان أخــي جَــابرِ

فلا عجبَ إذا رأينَا أن الأساليبَ لم ترْقَ بقراءةِ هذه المؤلفـات، بـل اعْتَوَرَهـا الضعفُ، وزادتْ بها العلّةُ، واستشرى الداءُ، وعزَّ الدواءُ، ونخَـرَ السـوسُ في عِظامِها، وصارتْ هياكِل نُزِع منها الدهنُ واللحمُ، أوْ هي أشجارٌ يبستْ أغصـانُها، وذبلتْ أوراقُها، فقلَّ غناؤُها، وأصبحتْ عديمةَ الجدْوَى.

ونحن نسائل أنفسـنا حينئـذ ونقـول: أهـذا العقـمُ الـذي حـدثَ، وجعلنـا لانستفيدُ من دراسِتها شيئًا، يرجعُ إلى أن الدراسةّ لا تُجْدي، أو أن أسلوب المـؤلفين هو الذي كان عاملاً له أثره في الوصولِ إلى هذه النتيجة؟

وإنَّا لنُجِيبُك على هذا باختيـار القسـيمِ الثـاني؛ فأسـاليبُ المـؤلفين، والتـواءُ مناحي البحثِ فيها، وكدِّ الفكرِ في فهم مغازِيها ومرامِيها، جعـل النتيجـةَ وهْمِيَّـةً لا حقيقيَّة، حتى ليصدُقُ فيها المثَلَ: "أسمعُ جعْجَعَةً ولا أرَى طِحْنًا".

الطورُ الخامس
التأليفُ في العصرِ الحاضِرِ

ندعُ القولَ في الطورِ السالفِ على كُـرْهٍ منَّـا، وننتقـلُ بـك إلى عصرـ بـدا فيـه بصيصُ من الأمَلِ في إحياءِ ما درَسَ من كتبِ الأقدمينَ في هذه الفنون، واخضرـتْ أزهارُ الآدابِ بعد ذُبُولها؛ عصـرٌ حاولَ فيه العلماءُ جهدَ الطاقة القضاء على البحوثِ الفلسفيةِ القديمة؛ التي أضاعتْ جهودًا كثيرة من طلّابِ العلم دونَ الحصـولِ عـلى جدْوَى، وأنفقَ في فهمِها كثيرًا من الوقتِ؛ كانوا في شديدِ الحاجـةِ إليـه، لارْتِشَـافِ كئوسِ العلم من ينابِيعِها العذْبةِ السائِغَة، والشرْبِ منها عُلَلاً بعد نَهْل.

عَصْرٌ رأي العلماءُ أَنَّهُ أولى بِهـم أن يوجِّهُـوا جهـودَهُم إلى فقْـهِ العِلْـمِ ودَرَكِ مسائِلِهِ، وقد هداهُم البحثُ إلى أن خيرَ الوسائِلِ للوصولِ إلى بُغْيَـتِهِم، أن يَرْجِعـوا إلى أمهاتِ الكتبِ المدوَّنَةِ في هذهِ الفنـون، ويطرَحُـوا مختصــراتِها وراءَهـم ظِهْرِيًـا، ويأخُذُوا الثمرَ الجَنيَّ من كتبِ المتقدّمين الذين كتبوا بهـا، ككتـابِ الصـناعتيْن لأبي هلالٍ العسكريِّ، وكتاب سرِّ الفصَاحة لابن سنَان الخفاجي، وكتب الموازناتِ بـين الشعراء، كالوَسَاطة بين المتنبّي وخصومِه للقاضي عبد العزيـز الجُرْجـاني، وكتـاب الموازنةِ بين أبي تمّام والبُحْتري لأبي القاسم الحسن بن بشرٍ الآمدِيّ، وكتاب العمـدة لابن رشيقٍ القيروانِيّ؛ والكتب المؤلفة في إعْجَـازِ القـرآن، ككتـاب إعْجَـاز القـرآن للباقلَّانِيّ وغيره، ثم يضعوا ذلك في قالبٍ سهلِ التنـاوُل عـلى طالِبيـه، عـلى بعـض تطبيقاتٍ ونماذجَ تُضَاف إلى أبوابِ الكتاب.

وقد عادَ ذلك بـالنفعِ العظـيمِ عـلى قارِئيهـا، وأمكـنَهُم في قصـيرِ الـزمنِ أن يُحَصِّلوا كثيرًا من الفوائدِ، التـي قلّـما كـان يحصِّـلُ مِعْشَـارَها دارسُـو الكتـبِ التـي وُضِعَت في العصورِ الأخيرة، إذْ منَ الجِليِّ أن اللغةَ إنما تُسْتَفَادُ بالمحاكاةِ والقدرةِ بـما تقرأ وتسْمع، وهذه الكتب نبراسٌ للناظِرين فيها لجميل أُسْلُوبها وبديعِ ترْتِيبِها.

وقد انْتَحَى بعضُ الأساتذةِ والمؤدّبين في دراسةِ هذه العلومِ طريقًا هو أشْكَلُ بالعلوم الرياضيّة منه بالفنُون الأدبيَّةِ، فتراهم يشْرَحُون مسألةً، ثم يأتُون أثرها بقطعَةٍ من الشّعر أو النثْر ويجْعَلونها نموذجًا لما دَرَسُوه، ويطلبُون من تلاميذِهم الإجابةَ عنها وفْقَ ما درسُوا من القواعِد، وعلينا أن نسيرَ في هذه الطريقِ الهُوَيْنَى؛ حتى لا ينعكسَ بنا القصْدُ ونضلَّ الطريق، لأنَ هذا النهجَ إن نفعَ في حلّ المعادلاتِ الرياضية، فلن يُجْدي في تربيةِ الملَكَةِ الأدبيةِ، وتنميةِ الذوقِ البلاغِيِّ، والوقوفِ على أسرارِ الفَصَاحة والبلاغَة في الكلام.

وخيرٌ للطلابِ وأجدرُ بهم أن توجَّه أنظارُهم إلى تفَهُّم أسرارِ التراكيبِ للكتابِ الكريم، والسُّنَّةِ النبويَّة، ومختارِ كلامِ العربِ؛ منثوره ومنظومه، ومُدَارسَة الموسوعاتِ الأدبية، مع إرشادِهم إلى أوْجُهِ الحُسْنِ التي اشتملتْ عليها، والمزايَا التي بها استحقَّت الفضْلَ، والرُّجْحانَ على ما يماثِلُها في الغرَضِ، ويختلفُ عنها في الصَّنْعة، فذلك أعْوَدُ بالفائدةِ، وأجمَلُ في الوصولِ إلى الغرضِ، والله المستعان.

واضِعُ عِلمَي المعَانِي والبَيَان سيبوَيْه

قد تبدُو هذه النظريَّةُ غريبةً بادئَ الرأي، ويخيَّلُ إلى سامِعها أنها بعيدةٌ عن التمحيصِ العلمِيِّ، إذْ هيَ لا تعتصمُ بحجَّةٍ وبُرْهان، لكننا سَنُدْلِي إليك بساطعِ الحجّةِ والبرهانِ، ونؤيدُها بسلطانٍ لها بعدَ سلطان، وحينئذٍ ترى أنَّا أحْسَنَّا إلى العلمِ وأهلِه، وأظهرْنَا ما كان مَكْنونًا في الدفاتر، وما كان لنا إلا صِدْقُ البحثِ والاستقراءِ في مؤلفاتِ جُلَّةِ العلماءِ، الذين أفادُوا العلمَ والأدب، وأظهروا محاسنَ اللغةِ للناظرينَ فيها.

ولا يستبينُ ذلك حقَّ البيانِ إلا إذا شرَحْنا قضيَّةً ربما خَفِيَ على الناس أمرُها، ولم يهتدُوا فيها إلى وجْهِ الصواب، وهي:

ماذا قصدَ الأئمةُ من (النَّحْو)؟ وعَلامَ كان معوَّلُهم في تفريغِ مسائِله، وتطويلِ مباحثِهِ في الحِقْبة الأولى، وماذا أرادَ به العلماءُ بعد؟

إن سيبويه وأضرَابُه أرادُوا بالنحو السبيلَ الذي سلكتْهُ العرَبُ في التعبيرِ عن أغراضِها ومقاصِدِها، **ويشمل ذلك شيئين**:

(1) تأليف الجمل، وبيان ما يجبُ أن تكونَ عليه الجملةُ وحْدها، أو الجملةُ مع الجُمَل التي تؤدّي الأغراضَ التي تختلجُ صدورَ المتكلمين.

(2) ضبط أواخِرِ الكلماتِ التي تتألفُ منها تلك الجُملة أو الجُمَل.

ذاك أن لكل كلمة وحدها معنى خاصًا تكفلتِ اللغةُ بشرْحه وبيانِه، وللكلماتِ وهي في التركيبِ معنىً خاص، هو صورةٌ لما يقومُ بأنفُسِنا من المعاني التي نريدُ إفهامَها المُخَاطبين، كذلك لكلِّ لغةٍ قوانينُ خاصة في أساليبها تجرى على سُنَنِه، ولا تُفْهمُ العبارة حتى تجري على نهْج، وتكونُ وفقًا له، وذلك القانونُ هو الذي كشفه العلماء في صدرِ الإسلامِ، ودوَّنُوه وبسَطُوا أصولَه وفروعَه وسمّوه (علم النحو).

وليس هذا التحليلُ منا لهذا الاسمِ حدثًا جديدًا، بل نصَّ عليه الأئمةُ من قبل، وأفاضُوا في شرْحِه وبيانِه.

قال أبو سَعيد الحسَنُ بن عبدِ الله المَرْزُبَاني، النَّحْوي المعروف بالسِّيرافِي؛ شارح الكتاب المتوفى سنة 368 (أثناء مناظرةٍ جرتْ بينه وبين متَّى بن يُونُس القِنَائِي؛ الفيلسوف في مجلس الوزيرِ أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات- ادَّعَى فيه الفيلسوفُ أن النحوَ وغيره من العلوم في حاجة إلى المنطِق، ولكن المنطقَ ليس في حاجةٍ إلى شيءٍ منها، وما زال أبو سعيد به حتى ألزمَهُ الحُجَّةَ، وأبانَ له خطَلَ رأيه،

وأثبت أن المنطقِيَّ هو المحتاجُ إلى النحوِ، وليس النحـويُّ بحاجـةٍ إلى المنطـقِ وهـي مناظرةٌ ممتعةٌ أثبتها ياقوتُ الحمويُّ في معجم الأدباء في ترجمة أبي سعيد من صـفحة 190– 227 من الجزء الثامن).

معاني النحوِ منقسمةٌ بين حركاتِ اللفظِ وسكناتِه، وبـين وضْـعِ الحـروفِ في مواضِعِها المقتضِيَةِ لها، وبين تأليفِ الكلامِ بالتقديمِ والتأخيرِ، وتوخِّي الصَّـوَاب في ذلك، وتجنُّب الخَطأ؛ وإنْ زاغَ شيءٌ عن النعْـتِ فإنـه لا يَخْلُـو مـن أن يكـونَ سـائغًا بالاستعمالِ النادرِ، والتأويلِ البعيدِ، أو مردودًا لخروجِهِ عن عادةِ القوم الجاريةِ عـلى فطْرَتِهم.

وقال أبو الفتح عثمان بن جنـي؛ المتـوفى سـنة 392 في كتـاب الخصـائص في الصفحة 32 من الجزء الأول: النحو – هو انْتِحَاءُ سَمْتِ كلامِ العرَب في تصرُّفِهِ من إعرابٍ وغيره؛ كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافةِ والنسبِ والتراكيـبِ وغير ذلك، ليلحقَ من ليس من أهلِ اللغة العربية بأهلِهَا في الفَصَـاحَةِ، فينطـقُ بهـا وإنْ لم يكنْ منهم، أو إن شذَّ عنها بعضهم ردَّ به إليها، وهو في الأصلِ مصدرٌ شائعٌ، أيْ نحوْتُ نحْوًا، كقولك قصدتُ قَصْدًا، ثم خصَّ به انتِحَاءُ هذا القبيلِ من العلـمِ؛ كما أن الفقهَ في الأصل مصدرُ فقهْتَ الشيءَ؛ أي عرفْتُه، ثم خُصَّ به علمُ الشـريعةِ من التحليلِ والتحريمِ، وكما أن بيتَ الله خُصَّ به الكعبة، وإن كانت البيـوتُ كلَّهـا لله، وله نظائرُ في قصْرِ ما كانَ شائعًا في جَنْسِه على أحدِ أنواعِه.

وقال أبـو بكـر عبـدُ القـاهِرِ النحْـوي، المتـوفى سـنة 471 في كتابـه [دلائـل الإعجاز]:

" واعْلَمْ أن النظمَ لـيس إلا أن تضَـعَ كلامَـكَ الوضْـعَ الـذي يقتضِـيهِ علـمُ النحو، وتعملُ على قوانينِه وأصولِه، وتحفظُ الرسومَ التي رسمتْ لك فلا تخل بشيءٍ منها، فتنظرُ في الخبرِ إلى الوجوهِ التـي تـراهُ في قولـك زيـدٌ منطلـقٌ، وزيـد ينطلـقُ،

وينطلقُ زيدٌ، ومنطلقٌ زيد، وزيدٌ المنطلقُ، والمنطلقُ زيد، وزيدٌ هو المنطلقُ، وزيدٌ هو منطلِقٌ.

وفـي الشـرطِ والجزاءِ إلى الوجوهِ التي تراها في قولك: إنْ تخرجْ أخرجْ، وإن خرجتَ خرجتُ، وإن تخرجْ فأنا خارجٌ، وأنا خارجٌ إن خرجـتَ، وأنـا إنْ خرجتَ خارجٌ؛ وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولـك جـاءني زيـدٌ مسـرعًا، وجـاءني يسرعُ، وجاءنى وهو مُسْرعٌ، وجاءني وقد أسرعَ، فيعرفُ لكلٍّ مواضِـعَه، ويجـئُ بـه حيث ينبغِي له[1].

ثم قال هذا هو السبيلُ؛ فلستَ بواجـدٍ شـيئًا يرجـعُ صـوابُه إن كـان صـوابًا وخَطؤُهُ إن كان خَطأً- إلى النَّظْمِ، ويدخلُ تحتَ هذا الاسم ألا وهو معنًى من معانِي النحْو قد أصيبَ به موْضِعُه، أو عُومِل بخلافِ هذه المعامَلـة فأزيـلَ عـن موضِـعِه، واستُعْمِل في غير ما ينبْغِي له، فلا ترى كلامًا قد وُصِف بصِحَّةِ نظْمِهِ أو فسـادِهِ، إلا وأنتَ تجدُ مرجعَ الصّحّة، أو ذلك الفساد إلى معانِي النّحْوِ وأحكامِه[2].

وقال في أسرار البلاغة: إنه إذا عَدَل بالكلامِ عن سُنَنِ الـنظْمِ الـذي يقتضـيه المعْنَى لم يكن مُفْهِمًا، ولا دالاً على المرادِ منه، **انظرْ إلى قولِ امرئ القيس:**

قِفَا نَبْكِ منْ ذكرَي حبيبٍ ومنزلِ

لو أنك خالفتَ فيه النظم، وعَدَلْتَ عن سُنَنِه، **وقلت:**

نبك قفا حبيب من ومنزل ذكري

لكان لغوًا من الكلامِ وعبثًا[3].

وقال في الدلائل: أترى أنـه يتصـوّر أنّـه يجـبُ في ألفـاظِ الكلِـم التـي تراهـا في قولِه (قِفَانَبْكِ مـن ذكْـرَي حبيـبٍ ومنـزلِ) هـذا الترتيـب مـن غـيرِ أن يتـوخّى

(1) 64.
(2) 65.
(3) الصفحة الثانية.

في معانِيها ما تعلمُ أن امْرأ القـيسِ توخّـاه، مـن كـوْنِ نبْـكِ جوابًـا للأمْـر، وكـون من مُعَدِّيَة له إلى ذكْرَى، وكوْن ذِكرى مُضَافة إلى حبيب، وكونُ منزلِ معْطوفًـا عـلى حبيب، أمْ ذلك مُحَال، فإن شَكَكْتَ في استحالته له تكلم[1].

من هذا يستبينُ لنا – أن النَّحْو كما يتَّجِه همُّهُ إلى ضـبْطِ أواخِـرِ الكلـم، يعنـى أيضًا بتأليفِ الجُمَل؛ وجعْلِها وفقًا للنهْج الذي سَنَّتْه العربُ لكلامِها.

أما المتأخِّرُون من النَّحْويين فقد عَرَفُوه: بأنهُ علـمٌ يُعْـرفُ بـه أحـوال أواخِـرِ الكلمِ إعرابًا أو بنَاء[2]؛ فغايةُ النحو إذًا بيانُ الإعـرابِ وتفصـيلُ أحكامِـه، وفي هـذا التحديدِ تضييقٌ لدائرة البحثِ النحوي، وقصرٌ له على بعضِ أغراضِه، وهم بـذلك أساءُوا إلى النحْو من جهاتٍ عدة:

1. أن بحوثَه صارتْ لفظيَّةً تبينُ الأحوالُ المختلفة للفظِ من رفْعٍ ونصـبٍ، دون النظرِ إلى ما يتبعُ ذلك من آثارٍ في المعاني التي قصدَ التعبيرَ عنها.
2. أن أسرارَ التراكيبِ بعُدَتْ عـنهم، ودقـائقَ تصـوير الكـلام خفيَـتْ علـيهم، وأصبحتْ دلالاتُ التراكيبِ غامضةً عليهم؛ لا يسـتطيعونَ كشْـفَ قناعِهـا، ولا النظرَ إلى جمالِها، فقد غُطِّيَتْ عنهم بغطـاءٍ كثيـفٍ حَجَـبَ مـا وراءَهُ مـن المحاسِنِ والمناظِرِ الخلّابَةِ.
3. أنهم أخذُوا القشورَ وتركوا اللُّبَّ، أو تركوا الجوْهَرَ وتشبثوا بالعرَضِ، وليتهم أخذُوا أحاسِنَ البحوثِ وأجْمَلَها، إنّهمْ لو فعَلُوا ذلكَ لكانَ في هذا سـلْوَةً عـن الباقِي؛ بيدَ أنَّا نظُنُّ أن الذي جعلهُم يهتمُّون بضـبْطِ أواخِـرِ الكَلِـم، ويلقـونَ وراءَهُم ظهْرِيًا ما هو أهمُّ في النحْوِ؛ **وهو تأليفُ الجُمَل أمران:**

- أن أسرارَ التراكيبِ كانتْ معروفةً بالسليقةِ لهم؛ لا يحتاجُون إلى تعرُّفِها، ولم يكنْ قد طرأَ ما يُشَوِّهُهَا.

---

(1) 278.
(2) حاشية الصبان على الأشموني عند تعريف النحو، وكتاب الحدود في النحو للفاكهي.

- أنهم رأَوْا العرَبَ في صدْر الإسلامِ؛ كانوا يَعْنُون أيّما عنايةٍ بالإعْرَاب ويعدُّونَه عُنوانًا للأدبِ والثقافةِ العاليةِ، والتهذيبِ الكامل، حتى قالوا: اللحنُ هُجْنَةٌ على الشّرِيفِ، وكان الرَّجلُ منهم إذا تكلمَ فلَحَنَ سقطتْ منزلتُهُ من أعْينِهم، وقد قال مرة بلال بن أبي بُردة؛ والي العراق لخالدِ بن صفوان أحدِ البلغاءِ اللحَّانِين، كما يقول الجاحظ: تحدّثُني حديثَ الخلفاءِ، وتلْحَنُ لحْنَ السّقاءَات، وكان الخليفةُ أو الأميرُ إذا رَقَي المنبر؛ حَرَصَ كل الحرصِ أن لايخطئَ، ويتعمدَ الإعرابَ جهْدَ الطاقةِ؛ ويُؤثرون عن الخليفةِ الأمويِّ عبدِ الملكِ بن مروان أنهُ قال: شَيَّبَنِي ارتقاءُ المنابرِ، وتوقُّعِ اللّحْنِ، ويرْوُون عن الحجّاجِ وهو ماهِرٌ فصَاحَةً ولسنًا، أنَّه كانَ يسألُ المرَّةَ بعدَ المرَّةِ يحي بن يعمر النحوي هل تسمعُ منّي لحنًا في كلامِي؟ ويذكرونَ أنّ أبا الأسودِ الدُّؤَلِي ظالمَ بن عمْرٍو كان يقولُ: إني لأجدُ للحْنِ غَمَرًا كغَمَرِ اللحْمِ؛ والنحْو بالمعْنى الذي عَناهُ المتقدمُون، هو الذي عنَي مثله أبو عبيدة معمر بن المثنى بالمجازِ عندما سمّى كتابَه: [المجاز في القرآن]، وهو طريقُ العربِ في التعبيرِ عن مقاصدِهم وأغراضِهم، وبيانِ ما قد يطرأُ على الجملةِ العربيةِ من تقديمٍ أو تأخيرٍ أو حذفٍ إلى نحوِ ذلك، وهو ما سمّاهُ الثَّعَالبِي آخِرَ كتابَه فقه اللغة [سرّ العربيّة]. فمما جاء في مقدمة كتابِ المجازِ قوله:

ومن مجازِ ما خُبِر عن اثنيْنِ مُشْتركَيْنِ أو أكثر من ذلك، وجعل الخَبَر لبعضٍ دونَ بعض، وكَفَى عن خَبَر الباقِي قوله تعالى: ﴿..وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴾ [سورة التوبة: الآية 34] (1).ومن مجاز ما جعل في هذا البابِ الخبر للأولِ منهما أو منهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا..﴾ [سورة الجمعة: الآية 11](2).ومن مجازِ ما جاءَ خبرًا عن غائبٍ، ثم خُوطِب

(1) سورة التوبة: 34.
(2) سورة الجمعة: 11.

الشَّاهِد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [سورة القيامة: الآية 33][1]. ومن مجاز المُكَرَّرِ للتأكيدِ قوله تعالى: ﴿..إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [سورة يوسف: الآية 4][2]. فقد أعادَ فيها الرُّؤية.

ومن مجاز المُقَدّم والمؤخّر قوله تعالى: ﴿..فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ..﴾ [سورة الحج: الآية 5][3]. أراد ربتْ واهتزَّتْ. ومن مجازِ ما يُحَوَّلُ خبرُه إلى شيءٍ من سببِه ويُتْرَك خبَرُه؛ قوله تعالى: ﴿..فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية 4][4]. حوّلَ الخبرَ إلى الكنايةِ التي في آخر الأعناق.

وكلُّ هذه بحوثٌ تتعلقُ بتأليفِ الكلامِ ونظْمِه، وبيانِ صورٍ من الأساليبِ العربيةِ، يجملُ بدارسِي كلامِ العربِ أن يتأمَّلُوهَا ويتأسَّوْا بها في صَوْغِ أساليبِهم. بعدَ كلّ ما تقدّم نأتِي لك بمثلٍ من كتابِ سيبويْه، تبيَّنَ لك كيفَ إنَّهُ عُنِي بتأليفِ الجُمَل، كما عُنِي بضبْطِ أواخِرِ الكَلِم.

1. قال في الصفحةِ الثامنةِ من الجزءِ الأولِ: هذا بابُ الاستقامةِ من الكلامِ والإحالةِ، فمنهُ مستقيمٌ حسَنٌ، ومحالٌ، ومستقيمٌ كذِبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو محالٌ كذبٌ؛ فأما المستقيمُ الحسنُ فقولك: أتيتُكَ أمسُ، وسآتيكَ غدًا؛ وأما المُحَال فأن تنقضَ أولَ كلامِك بآخره؛ فتقول: أتيتكَ غدًا، وسأتيك أمس؛ وأما المستقيمُ الكذِبُ؛ فقولك حملتُ الجبلَ وشربتُ ماءَ البحْرِ ونحوه؛ وأما المستقيمُ القبيحُ فأن تضع اللفظ في غير موضِعِه، نحو قولك: قدْ زيدًا رأيت، وكيْ زيدٌ يأتيك، أشباه هذا.

وأما المحالُ الكذِب فأن تقولَ: سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمس، وقد نَقَل هذا البحثَ أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين في الصفحة الحادية والخمسين.

---

(1) سورة القيامة: 33.
(2) سورة يوسف: 4.
(3) سورة الحج: الأية 5.
(4) سورة الشعراء: 4.

2. وفي الصفحة عينها: اعلمْ أنه يجـوزُ في الشـعرِ مـا لا يجـوزُ في الكـلامِ مـن صرْفِ ما لا ينصرفُ، يشبِّهُونَه بما ينصرفُ من الأسماء، لأنها أسماء كما أنها أسماء، وحذف ما لا يحذف؛ يشبهونه بما قد حُذِف، واستعمل محـذوفًا كـما قال العجاج:

قواطنًا مكة من وُرْقِ الحمَى[1]

يريدُ الحَمام، وكما قال النجاشي:

فلســتُ بآتِيــهِ ولا أسْــتطِيعُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ ولاك اسْقِني إن كان ماؤك ذَا فَضْـلِ

وقد يبلغون بالمعتَلِّ الأصل، فيقولون رادد في رادّ، وضننوا في ضنُّوا، ومررت بجواريَ قبل. **قال قَعْنب بن أم صاحب:**

مهلاً أعاذلُ قد جربتِ من خُلُقِي ‏ ‏ ‏ ‏ إنِّي أجـودُ لأقـوامٍ وإن ضَـنَنُوا

(وقد حظرَ متأخرو علماءِ البلاغـةِ هـذا الجـنْس مـن الضــروراتِ في النثـر والنظيمِ، وسمّوه مخالفة القياس، وجعلوه مُخِلاً بالفصاحَة؛ وهأنتَ ذا تـرى سـيبويه يجيزُه شعرًا ولا يجيزُه نثرًا).

3. وقال في الصفحةِ الرابعة عشرة: في بـاب الفاعـل الـذي يتعـدى فعلُـه إلى مفعول، وذلك قولك ضربَ عبدُ الله زيدًا، فعبدُ الله ارتفعَ وشغلت ضرب به، وانتصب زيدٌ لأنه مفعولٌ بـه تعـدَّى إليـه فعـلُ الفاعـل، وإن قـدمتَ المفعولَ وأخرْت الفاعلَ جرى اللفظُ كما جـرى في الأول، وذلـك قولـك ضربَ زيدًا عبدُ الله؛ لأنك إنما أردتَ به مؤخرًا ما أردتَ به مقدمًا، ولم تُرِد أن تشغَل الفعلَ بأول منه؛ وإن كانَ مؤخرًا في اللفظ، فمـن ثـمَّ كـان حـدُّ

---

(1) قال الأعلم: وفي ذلك أوجُه أحسنُها عندي وأشبهُها بالمستعمَل من كلامِ العرب، أن يكون اقتطع بعض الكلمةِ للضرورة وأبقى بعضَها لدلالةِ المُبقي على المحذوف منها، وبناها بناءً يدوم وجَبَرها بالإضافة، وألحقَها الياء في اللفظ لوصْل القافية؛ ووجْهٌ آخر أن يكون حذْف الألف من زيادتها فبقي الحمم وأبدل من الميم الثانية ياءً استثقالاً للتضْعِيف، كما قالوا تظنيتُ في تظنَّنْتُ، ثم كسر ما قبل الياء لنسلم من الانقلاب إلى الألف فقال الحمى.

اللفظِ فيه أن يكون الفاعلُ مقدمًا وهو عربيٌّ جيدٌ كثيرٌ، كأنهم إنما يقـدمُون الذي بيانُه أهمُّ لهم، وهم بِبَيَانِه أَعْنى، وإن كانا جميعًا يهمَّانِهم ويعْنِيَانِهم.

وقد نقل هذه الفقرة الإمامُ عبد القاهر في الدلائلِ في باب التقـديم وشرحَهـا بمثل: قال شُرَّاح الكتاب.

4. وقال في الصفحة الثانية والعشرين: واعلم أنه إذا وقَع في هذا الباب (باب كان) نكرةٌ ومعرفةٌ، فالذي تشغلُ به كان المعرفَة لأنـهُ حـدُّ الكـلام، لأنـه شيءٌ واحدٌ، وليس بمنزلةِ قولك ضربَ رجلٌ زيدًا، لأنهما شيئان مختلفان، وهما في كان بمنزلتِهما في الابتداءِ إذا قلت: عبد الله منطلقٌ تبتدئُ بالأَعْرفِ ثم تذكرُ الخبرَ، وذلك قولك كان زيدٌ حليمًا، وكان حلـيمًا زيـدٌ، لا عليـكَ قدمتَ أم أَخَّرْت إلا أنه على ما وصفتُ لك في قولك ضربَ زيدًا عبدُ الله، فإذا قلت كان زيدٌ فقد ابتدأتَ بما هو معروفٌ عندَه مثله عندك، فإنما يُنْتظرُ منكَ الخبرُ، فإذا قلتَ حليمًا فقد أعلَمْتَه مثـلَ مـا علمْـت، وإذا قلـتَ كـان حليمًا فإنما يُنتظر أن تعْرِفَه صاحب الصفة، فهو مبدوءٌ به في الفعل وإن كان مؤخرًا في اللفظ، فإن قلتَ كان حلـيمٌ أو رجـلٌ؛ فقـد بـدأت بنكِـرَة؛ ولا يستقيمُ أن تخبرَ المخاطبَ عن المنْكُور.

(وقد اسْتُفِيدَ من عبارتِه أولاً: أنـه يصـحُّ أن يكـون الفاعـلُ نكـرةً ومفعولُـه معرفةً، ولا يصحُّ أن يكون المبتدأُ ولا اسم كان منكُورَيْن؛ لأنه لا يخبرُ عن المنْكـور. ثانيًا: أنه يصحُّ تقديم خبر كان على اسْمِها، ويصح تأخيرُهُ بحسب المعنى الذي يريدُ المتكلم إخبارَ السامعِ به، كما يصح ذلك في الفاعلِ والمفعولِ كما تقدم).

5. وفي الصفحة نفسه يقولُ في قول عمرو بن شاس:

بَنِي أَسَدٍ هل تعلمون بلاءَنا　　　إذا كان يومًا ذا كواكب أَشْنَعَا

أضمر (يريد إضمار اسم كان) لعلْمِ المخاطبِ بما يعني وهو اليوم، وهـذا هـو ما قاله علماءُ البلاغة في باب الإيجازِ والإطناب، من جواز حذْفِ المسندِ إليـه للعلـم بـه، ومَثَّلـوا لـه بقولـه تعـالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [سـورة القيامـة: الآيـة 26]* أي الروح.

6. وفي الصفحةِ السادسةِ والعشرين: هذا بابٌ نخبرُ فيه بالنكرةِ عن النكـرة، وذلك قولكَ ما كان أحدٌ مثلك، وليس أحدٌ خيرًا منـك، ومـا كـان أحـدٌ مجترئًا عليك، وإنما حُسْن الإخبارِ هاهنا عن النَّكرة؛ حيثُ أردتُ أن تنْفِـي أن يكون في مثل حاله شيءٌ أو فوقه، لأن المخاطبَ قد يحتاجُ إلى أن تُعْلِمـه مثل ذلك؛ وإذا قلت كان رجلٌ ذاهبًا فليس في هذا شيء تَعْلمه كان جَهِلَه، ولو قلت كان رجلٌ في قومًا فارسًا لم يحْسُن، لأنـه لا يسـتنكر أن يكـونَ في الدنيا فارسٌ، وأن يكون من قومٍ، ولو قلت كان رجلٌ من آل فلانٍ فارسًـا حَسُن، لأنه قد يحتاجُ إلى أن تُعْلمه أن ذلك في آلِ فلان وقـد يَجْهَلـه، فعـلى هذا النحو يَحْسُن ويَقْبُح).

(فانظرْ - رَعَاك الله - إلى لُطْف تعليلِه لحُسْن بعض التراكيب، وقُبْح بعضـها الآخر، وبيانِ أن مدارَ الأمرِ في ذلك كله هو حاجةُ المخَاطَب إلى أن تُعْلِمه جديدًا هو في حاجَةٍ إلى علْمِه أو عدم إفادتِهِ شيئًا بإخباره إياه).

7. وقال في الصفحة الحادية والأربعين بعد المائة: هذا بابٌ يُحْذَف منـه الفعـلُ لكثرَتهِ في كلامِهم حتى صار ذلك بمنزلةِ المَثَـلِ، وذلـك قولـك هـذا ولا زَعماتك: أي ولا أتوَهَّمُ زعماتك، ومن ذلك قول ذي الرمة وذكْـر المنـازل والديار:

يــا دارَ مَيَّــةَ إذْ مَــيّ مسُــاعِفة   ولا يَرَى مثلها عُجْمٌ ولا عَـرَبُ

---

* سورة القيامة: 26.

كأنه قال: اذكر ديار مية، ولكنه لا يذكر، اذكر لكثرة ذلك في كلامِهم واستعمَالِهم إيَّاهُ؛ ومن العرب من يرفعُ الديارَ كأنهُ قال: تلك ديارُ ميّة، وقال الشاعر:

اعتادَ قلبَكَ من سَلْمى عوائدُهُ — وهاجَ أهواءَك المكنونَةَ الطّلَلُ

ربْعٌ قَواءٌ أذاعَ المُعْصِرات به — وكان حيرانَ سارٍ ماؤُهُ خَضِلُ

كأنه أرادَ ذاكَ ربْعٌ، أو هو ربْعٌ رفَعَه على ذا وما أشبَهَه، سمعناه ممّنْ يَرْويه عن العرب.

(وقد نَقل هذا عبدُ القاهر في الدلائل، ثم قال: قال شيخُنا ولم يحمل البيت الثاني على أن الرَّبْع بدلٌ من الطللِ، لأن الرَّبْعَ أكثرُ من الطلل، والشيءُ يبَدَّلُ مما هو مثله أو أكثر منه، فأما الشيءُ من أقل منه ففاسدٌ لا يتصور).

8. وجاء في الصفحة التاسعة والستين بعد المائة: في شرْحِ قولِ الخنساء:

تَرْعَى إذا نسيَتْ حتى إذا ادّكَرَتْ — فإنما هي إقْبَالٌ وإدْبَارُ

فجعلها الإقبالُ والإدبارُ مجازًا على سعةِ الكلام، كقولك نهارُك صائمٌ وليلُك قائمٌ.

(وهذا هو الذي ذكرهُ المتأخرُون من علماءِ البيان في باب المجازِ العقلي. وقال أبو سعيدُ السيرافي في شرحِه للكتاب: يقدِّرُون مثل هذا على تقديرين: أحدُهما أن يقدِّروا مُضافًا إلى المصدرِ ويحذفونه كما يحذِفُون في اسألِ القرية، والوجْه الثاني أن يكون المصدرُ في موضعِ اسم الفاعل، وكان الزجّاجُ يأبى إلا الوجْهَ الأول؛ ومما يقوِّي الثاني أنك تقولُ رجلٌ ضخمٌ وعبْلٌ فتجعلهُما في موضعِ اسم الفاعل وليسا بمصدريْن لضخم وعبل)، وعلى كلامه؛ فالمجازُ مجازُ حذفٍ أو مجازٌ مرسلٌ علاقَته التعلّق الاشْتقاقِي، لكن عبدَ القاهِر في الدلائِل اختارَ أن يكون مثل هذا من المجازِ الحكْمِي أي المجاز العقلي انظر صفحة 233).

9. وقال في الصفحةِ الثالثةِ والثمانين والمائتين: هذا بابُ ما يَحْسُنُ عليه السكوتُ في هذه الأحرفِ الخمسة، لإضمارِك ما يكونُ مستقرًا لها وموضعًا لو أظهرَتْه، وليس هذا المُضْمَر بنفسِ المظهَرِ، وذلك إن مالاً وإن ولدًا وإن عددًا: أي إن لهم مالاً؛ فالذي أضمرْتَ (لهم) ويقول الرجلُ للرجلِ هل لكمْ أحدٌ إن الناس ألْبٌ عليكم، فيقول: إن زيدًا وإن عمرًا، أي إن لنا، وقال الأعشى:

إن محـــلاً وإن مُـــرْتحلاً وإن في السَّفْر إذْ مَضَوْا مَهَلا

(قال عبدُ القاهر في صفحةِ سبع وأربعين ومائتين من الدلائل: ومن تأثيرِ إنَّ في الجُمْلة أنها تُغْني إذا كانتْ فيها عن الخبرِ في بعْض الكلام، ووضَعَ صاحبُ الكتاب في ذلك بابًا، فقال هذا بابُ ما يحسُنُ عليه السكوتُ إلى آخر الفقرة السالفة).

10. وجاء في صفحةِ ثلثمائة: هذا بابُ ما لا يعملُ في المعروف إلا مُضْمرًا، وذلك لأنهم بدءُوا بالإضْمار لأنهم شرَطُوا التفسير، وذلك نووا فجَرَى ذلك في كلامِهم هكذا، وذلك قولُهم: نعمَ رجُلاً عبدالله، كأنك قلت حسْبُك به رجلاً عبد الله لأن المعنى واحد، ومثل ذلك رُبّه رجلاً، كأنك قلت ويْحَه رجلاً في أنه عملَ فيما بعده، كما عمل ويحه فيما بعده لا في المعْنى، وحسبُك به رجلاً مثل نعم رجلاً في المعنى وفي العمل، وذلك لأنهما ثناءٌ في استحبابِهما المنزلةَ الرفيعةَ.

(فانظر حفظك اللهُ إلى حسْن بيانِه وبديعِ تعليله، لأن المحذوفَ في باب نعم لابدّ أن يكونَ ضميرًا إذا فُسّر بتمييز، لأنهم قصدُوا الإبهامَ ثم التفسير ليكون أوْكدُ في النفس وأثبتُ في الذهن، كما قصدُوا نحو هذا في باب رُبّ وحسْب).

11. وقال في الصفحةِ الثامنة عشرة بعد الثلثمائـة: في قـول مهلهـل بـن ربيعـة التغلبي:

يــا لبكــرٍ انشـــرُوا لي كُلَيْبًــا   يـا لبكـرٍ أيـنَ أيـنَ الفِـرَارُ؟

فاستغاثَ بهم لأن ينشروا له كليبًا، وهذا منه وعيدٌ وتهديدٌ، وأما قوله يا لبكرٍ أين أين الفرارُ، فإنما استغاثَ بهم لهُم، أي لم تفرونه استطالةً عليهم ووعيدًا.

(يشير بهذا إلى المعنى يا لبكر أدعوكُم لأنفسكم مطالبًا لكـم في إنْشَـار كليـبٍ وإحيائِه، وهذا منه استطالةٌ ووعيدٌ، وكانوا قتلوا كليبًا أخاه في أمرِ البسوسِ وخبرُها مشهورٌ، ومن هذا تعلمُ أن الاستغاثةَ في هـذا المقـامِ اسـتعملتْ للتهديـدِ والوعيـدِ والاستطالةِ عليهم؛ كما أن الاستفهامَ بعده استعمِل في مثلِ هذا المعْنـى، وقـد أخـذَ علماءُ البلاغةِ البيتَ، واستشهدوا به على مثلِ ما استشهدَ به صاحبُ الكتاب).

هذا قُلٌّ من كُثْرٍ، ولمعةٌ يَسيرةٌ مما ذكرهُ صاحبُ الكتاب في بيان أسرارِ الـنظمِ، ولولا خوف الإطالةِ لنقلتُ لك كثيرًا من تلك الدُّرَرِ الغوالي التـي نثرهـا في كتابـه، وجعلها حيلةً لمباحِثِه، فرحِمَ الله ذلك العقلَ الجبَّارَ الذي أُلْهِم ما لم يُلْهَمْهُ غيرُه ممـن كتبُوا في هذا العلْمِ؛ وفي الحقِّ أنه لم يَفْهَم الكتابَ حقَّ الفهمِ أحدٌ ممن جاءَ بعـدَه، ولم يتدبّرْه حقَّ التدبّر، ولم يستنبطْ منه العلمَ الغزيرَ إلا عبدُ القاهِر، فقد فرّعَ منه أمهاتُ المسائلِ المبثوثةِ في الدلائل والأسرار وغيرهما من كتبهِ العظيمة الفوائد؛ التي اعتبرها العلماءُ إمامًا يقتدون به في وضْع هذه المباحِث، وطريـق شرْحهـا وبيانهِـا، وأخـذُوا الأمثلةَ والشواهدَ التي ذكرها في كتبه ولم يحيدُوا عنها، حتى قيل- وبحقّ ما قيـل-: إن من جاءَ بعده عِيَالٌ عليه اغترفُوا من بحرِه ونهلُوا من معينِه.

فإن قلتَ إذا كان أمرُ النحو كما ذكرتَ، فلِمَ لم تقـلْ إن واضـعَ علمَـيْ البيـانِ والمعاني، أبو الأسودُ الدؤلي أو يحيى بـن يعْمُـر أو عنبَـة الفيـل أو عيسـى بـن عمـر الثقفي؟ أجبْنَاك بأنه لم يصلْ إلينا شيءٌ من تـأليفِ هـؤلاءِ الأئمـة، ولم نعلـمْ الـنهجَ

الذي اتَبعُوه، ولا الطريـقَ الـذي سـلكُوه حتـى نحكُـمَ عـن علـم، فقـد يكـون في مؤلفاتهم إشارةٌ إلى مثل هذه المباحِثِ، فننْسبُ الفضلَ إلى من ابتكَرَ؛ ونُشِيدُ بمن بدأ وشيَدَ وزخْرَفَ ونَجَدَ*.

لكنه لم يصلْ إلينا شيء من ذلك، ولو كان قد وصلَ إلينـا لوصـلَ إلينـا خـيرٌ كثيرٌ.

فوجبَ نسبةُ الفضل إلى فاعلِه اقتداءً بالحديثِ الشريف "لا يشكرُ الله مـن لا يشكرَ الناسَ"*، ولعلك بعد أن سمعتَ ما قصَصْنا عليك؛ علمتَ علمَ اليقينِ صحةَ ما ادّعيْنا، وآمنتَ بصدقِ ما قلنا، ولله الحمدُ في الآخرةِ والأولى.

---

* نَجَد: زيّنَ وزخْرَف.
* الحديث رواه أبو هريرة (رضي الله عنه). وورد في "عون المعبود شرح سنن أبي داود" تحت رقم 4811 (باب في شكر المعروف)، وذكره صاحب "فتح الباري شرح صحيح البخاري" في كتاب الإيمان- كفر دون كفر- ص105.

التعريف بعلماء البلاغة
مع ترتيبهم بحسب ترتيبهم الزمني
أبو بِشْر عمْرو سيبويْه المتوفّى سنة 180هـ

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبَر، الإمامُ الثَّبْتُ الحُجَّة الذي خلَّد التاريخُ ذكرَه، وذاعَ في الخافِقَيْنِ صيتُه، وكفاهُ فخرًا أنه صاحبُ (الكتاب) الملقّب بسيبويه، ومعناهُ باللغة الفارسية (رائحةُ التفاحِ)، ولقّب به لأن وجنتيْه كانتا كأنَّهُما تُفاحتان لجمالِهما وحُسْن شكْلِهما، أو لأن كل من كان يلقاه يشتمُّ منه رائحةَ التفاح، وكان مولىً من موالي بني الحارثِ بن كعب، في لسانِهِ حُبْسَة.

مولده ونشأته:

وُلِد بالبيضاءِ بفارس، حوالي سنة 140هـ، ونشأ بالبصرة، وأخذ النحوَ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبي الخطاب الأخْفَش، ويونس، وعيسى بن عمر الثقفي، والحديثَ عن حماد بن سلمة.

سبب تعلمه النحو:

كان سبب تعلمه النحو، أنه كان يومًا يستمْلِي على حمَّاد قوله عليه الصلاة والسلام: "ما من أحدٍ من أصْحابي إلا وقد أخذتُ عليه، ليس أبا الدَّرْدَاء"* فقال سيبويه: ليس أبو الدَّرْدّاء، فقال حماد: لحنْتَ يا سيبويه، فقال: لا جرَمَ لأطلبَنَّ عِلمًا لا تلْحنني فيهِ أبدًا، ثم لَزِم الخليل.

* ظن سيبويه أن " ليس " من أخوات كان ؛ ترفع الاسم وتنصب الخبر ، فنصب أبا الدرداء خطأ ، بينما هي في الحقيقة أداة استثناء بمعنى إلّا ، فيكون معنى الحديث "ما من أحدٍ من أصْحابي إلا وقد أخذتُ عليه، إلّا أبو الدَّرْدَاء" .

آراء الأئمة فيه:

قال الأزهريُّ اللغويُّ: كان سيبويه علاَّمَةً حَسَـن التصْـنيف، جايـل الخليـلَ وأخذَ عنه، وما علمتُ أحدًا سمعَ منه كتابَه لأنه احْتُضِر شابًا، وقد نظرتُ في كتابِـه فرأيتُ فيه علمًا جمًا. وقال بعضُ العلماء: كنت عند الخليلِ بن أحمد، فأقبـلَ سـيبويه، فقال الخليلُ: مرحبًا بزائرٍ لا يُمَلَ، وقال جارُ الله الزمخشري يمدحه:

ألا صلَّى الإلهُ صـلاةَ صِـدْقٍ　　على عمْرِو بن عـثمانِ بـن قُنْـبرِ

فـإن كتابــه لمْ يَغــنَ عنْــهُ　　بنــو قَلَــمٍ ولا أبنــاءُ مِنْــبَرِ

وصف الكتاب:

قيل ليونُس إن سيبويه قد ألّف كتابًا في ألفِ ورقـة مـن علْـمِ الخليـل، فقـال يونس: ومتى سمعَ سيبويه هذا كلّه من الخليل؟ جِيئُوني بكتابه، فلـما نظـرَ فيـه رأى كلَّ ما حَكي، فقال. يجبُ أن يكونَ هذا الرجلُ قد صـدَقَ عـن الخليـل في جميـعِ مـا حَكاهُ، كما صدَقَ فيما حكاه عنِّي، وكان المبرِّد يقول لمن يريدُ أن يقرأَ عليـه الكتـابَ: أرَكِبتَ البحرَ؟ تعظيمًا واستصْعابًا. وقال المازني: مـن أرادَ أن يعمـلَ كتابًـا كبـيرًا في النحوِ بعد كتابِ سيبويه فليستحي. وقال الجرمي: في كتابِ سيبويه ألفٌ وخمسـون بيتًا سألت عنها، فعُرِف ألفٌ، ولم يُعْرفْ خمسون. وقال ابـن النـديم في الفهرسـت: قرأتُ بخطِّ أبي العباس ثعلب: اجتمعَ على صـنعةِ كتـابِ سـيبويه؛ أربعـون إنسـانًا منْهُم سيبويه، والأصولُ والمسائلُ للخليل. وحدَّثَ بنُ سلَّامٍ عن الأخْفَش قال: إنه قرأ كتابَ سيبويه على ألكسـائي في جُمْعـة فوهـبَ لـه سـبعين دينـارًا. قـال: وكـان ألكسائي يقولُ لي. وهذا الحرْفُ لم أسْمَعْهُ فاكتبه لي فأَفْعَلُ. وحدّث هرون بن محمـد بن عبد الملك الزيات. قال: دخلَ الجاحظُ على أبي وقـد اقتصَـدَ. فقـال لـه: أدامَ الله صحَّتَك، ووصلَ غِبْطَتَك، ولا سَلَبَك نعْمَتَك، قال: ما أهـديتَ لي يـا أبَـا عـثمان؟

قال: أظْرَفُ شيءٍ، كتابُ سيبويه بخطّ الكِسَائي وعَرْضِ الفَرَّاء، وهذا كتابٌ اشتريته من ميراثِ الفرّاء. قال: واللهِ ما أهديتَ إليَّ شيئًا أحبَّ منه.

وقال صاعِدُ الجَيَّانِي الأندلُسِي: لا أعرِفُ كتابًا أُلِّفَ في علم من العلوم قديمِها وحديثِها، فاشتملَ على جميع ذلك العِلْم، وأحاطَ بأجزاءِ ذلك الفن؛ غير ثلاثةِ كُتُب: أحدُها المِجَسْطَي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك. والثاني كتابُ أرسطاطاليس في علمِ المنطِق. الثالث كتابُ سيبويه البصْرِي النَحْوِي، فإنَّ كلَّ واحدٍ من هذه لم يشذّ عنّي شيءٌ، من أصولِ فنِّه إلَّا ما لا خطرَ له. وقال أبو الطيّب الُّلغَوي: قال ثعلبُ يومًا في مجلسِه: ماتَ الفَرَّاءُ وتحتَ رأسِهِ كتابُ سيبويه.

مناظرةٌ بينَ سيبويهْ والكسائي

قَدِمَ سيبويه بغدادَ أيامَ هرون الرشيد، وكانتْ سنُّهُ إذ ذاكَ ثنتين وثلاثين سنة قاصدًا الوزيرَ يحيي بن خالدٍ البرمكيّ، لينالَ جوائزَهُ وصِلاتَه، فعزم يحيي أن يجمعَ بين عالِمَيْ البصرة والكوفة، وحَدَّد لذلك يومًا اجتمعَ فيه الجمُّ الغفيرُ من أساطينِ العلماء، وحضرَ سيبويه المجلسَ قبْلَ الكِسائِي، فتقدَّمَ إليه صاحِبا الكسائي؛ الفرَّاءُ والأحمرُ عبد الله بن المبارك، وعرَّفَاه بأنْفُسِهما؛ ثم سألهُ الأحمرُ عن مسألةٍ فأجابَهُ. فقال له: أخطأتَ، ثم سأله ثانيةً وثالثةً وهو يُجِيبُه ويقول له: أخطأتَ. فقال له سيبويه: هذا سوءُ أدبٍ منك. فقال له الفرَّاء: إن في هذا الرجلِ حدَّةٌ وعجَلَةٌ، ولكن ما تقول فيمنْ قال هؤلاء أَبُون، ومرَرْتُ بأَبِين، كيف تقول على مثال ذلك من رأيتُ، أو أويْتُ؟ فأجابه، فقال أعِدْ النظرَ. فقال لا أكلِّمُكُما حتى يحضرَ صاحبُكما، فلما حضر الكسائي قال له: تسألُني أو أسألَك؟ فقال سيبويه: سلْ أنتَ، فقال له كيفَ تقولُ: قد كنتُ أظن أن العقربَ أشدُّ لسعةً من الزُّنْبُور فإذا هو هي، أو هو إياها، فقال سيبويه: فإذا هُو هِي ولا يجوز النصب، ثم جعل يورِدُ عليه أمثلة نحو ذلك، نحو خرجتُ فإذا عبدُ الله القائمُ أو القائمَ، فقال له كلُّ ذلك بالرفعِ، فقال

الكسائي: العربُ ترفعُ كل ذلك وتنصبُه، فقال يحيي: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديْكما، فمن يحكمُ بينكما؟ فقال الكسائي: هذه العربُ ببابك قد وَفَدُوا عليكَ وهم فُصَحَاءُ الناسِ فاسألهم، فقال يحيي: أنصفْتَ، فجيءَ بأبي فقْعَس وأبي دثار وأبي الجراح وأبي ثرْوان، فوافقُوا الكسائي؛ فاستكانَ سيبويه، وقال: أيها الوزيرُ سألتُكُ إلا ما أمرتَهُم أن ينطقُوا بذلك، فإن ألسنَتَهم لا تجْرِي عليه، وكانوا إنما قالوا: الصوابُ ما قاله الكسائي، وبعدئذٍ قال الكسائي ليحيي: أصلَحَ اللهُ الوزيرَ، إنه قد وَفَدَ إليك من بلدِه مؤمّلا، فإن رأيتَ ألا تردَّهُ خائبًا، فأمر له بعشرَةِ آلافِ درهم، فخرجَ إلى فارس ولم يعد للبصرة بعدئذ. قال ابن هشام في مُغْنِي اللبيب: وجوابُ سؤال الفراء: أن أبون جمعُ أب، وأب فعل بفتحتين، وأصله أبو، فإذا بنينا مثله من أوى أو من وأى قلنا أوى كهوى أو قلنا وأي كهوى أيضًا، ثم تجمعه بالواو والنون فتحذف الألف كما تحذف ألف مصطفى، وتبقى الفتحة دليلاً عليها، فتقول أَوَوْنَ، أو وَئَوْن رفعًا، وأوين أو وئين جرًا ونصبًا، كما تقول في جمع عصا (اسم رجل) عصَوْن وعصَيْن، وليس هذا مما يخْفَى على سيبويه ولا على أصَاغِر الطلبة، لكنه كما قال أبو عثمان المازني: دخلتُ بغداد فأُلقيتْ عليَّ مسائل، فكنتُ أجيبُ فيها على مذْهبي، ويُخَطِّئُونني على مذاهبهم ا.هـ، وهكذا اتفق لسيبويه رحمه الله.

وجوابُ سؤالِ الكسائي ما قالَهُ سيبويه، وهو: فإذا هو هي، هذا هو وجه الكلام، مثل ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [سورة طه: الآية 20][1]، وأما فإذا هو إياها؛ إن ثبت فخارجٌ عن القياس، واستعمالِ الفصحاء كالجزْمِ بلَنْ، والنصب بلَمْ، والجر بلعلَّ، وسيبويه وأصحابه لا يلتفتُون لمثل ذلك وإن تكلَّمَ به بعضُ العرَبِ، وفي توجيهِهِ أمورٌ، أشهرُها ما قالهُ ابن مالك أن ضميرَ النّصْبِ اسْتُعِيرَ في مكانِ ضميرِ الرفعِ، ويشهدُ له قراءةُ الحَسَن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة: الآية 5][2] ببناء الفعل

---

(1) سورة طه: 20.

(2) سورة الفاتحة: 5. والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

للمفعول، وأما النصبُ في قولك: فإذا زيدٌ القائمَ بالنصب، فعلى أنه نعتٌ مقطـوعٌ، أو حالٌ بزيادةِ أل، وليس ذلك مما يَنْقَاس- هذا كلامه باختصار.

مَرَضُـه:

لما مرض سيبويه، وضع رأسَه في حجر أخيـه، فبكَـى أخُـوه لمـا رأى مـا بـه، فقطرتْ من عينه قطْرَةٌ على وجه سيبويه؛ ففتح عينَه رآهُ يبْكي. فقال:

أُخَيَّـيْنِ كنَّـا، فـرَّقَ الـدهرُ بيننَـا إلى الأمدِ الأقْصَى، ومن يـأمَنُ الـدَّهْرَا؟

ولما اشتدت به العلّةُ جعلَ يجودُ بنفسه ويقول:

يُؤَمِّـلُ دنيـا لتبْقَـى لَـهُ فـماتَ المؤَمِّـلُ قبـلَ الأمَـلْ

حثيثًـا يُـرْوى أصُـولُ النَّخِيـلِ فعـاشَ الفَسِـيلُ ومـاتَ الرّجُـلْ

ودخَلَ النَّظَّامُ على سيبويه وهو في مرضِه فقال له: كيف تجدُك ياأبا بِشْر؟ قال: أجدُني ترحلُ العافيةُ عني بانتقال، وأجد الدواءَ يخامِرُني بحلـول، غـير أني وجـدتُ الراحةَ منذ البارحةِ، قلت: فما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أشتهي، فلما كـان مـن بعـد ذلك اليوم دخلت إليه وأخوه يبكي، وقد قطرتْ من دموعِه قطرةٌ على خدِّه، فقلتُ: كيف تجدُك؟ فقال:

يَسُرُّ الفتَى ما كانَ قدَّمَ من تُقى إذا عرَفَ الدّاءَ الذي هُو قاتِلُـه

ثم مات من يومه:

وفاتـه:

قال ثعلبُ في أماليه: قدِمَ سـيبويه العـراقَ في أيـامِ الرشـيد؛ وهـو ابـن نيـفٍ وثلاثين سنَة، وتوفي وعمره نيِّفٌ وأربعون سنةً بفارس. قال الأصمعي: قرأتُ عـلى قبر سيبويه بشيراز هذه الأبيات، وهي لسليمان ابن يزيد العدوي:

ذهبَ الأحبّةُ بعدَ طولِ تزْوارٍ ونأَى المزارُ فأسلمُوكَ وأقشَعُوا
تركُوكَ أوْحشَ ما تكونُ بقفرةٍ لم يُؤْنِسُوك وكُرْبَةٍ لم يدْفَعُوا
قُضِي القضاءُ وصرتَ صاحبَ حُفْرةٍ عنكَ الأحبةُ أعْرَضُوا وتصَدَّعُوا

وقال المَرْزبَانِي: ماتَ بشيراز سنة ثمانين ومائة هجرية.

أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى
المتوفّى سنة 208هـ

هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى البصري؛ العليمُ باللغةِ والأنسابِ والأخبارِ مولى بني تيم، تيم قريش لا تيم الرّبَاب.

مولده ونشأته:

ولد بباجَرْوَان من أعمالِ بلخ بفارس، من أبٍ يهوديٍّ، ثم تلقَّى العلمَ عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء، وأخذَ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو عثمان المازني وأبو حاتم السجستاني.

آراءُ الأئِمَّةِ فيه:

قال الجاحظ: لم يكن في الأرضِ خارجيٌّ ولا جماعيٌّ أعلمُ بجميع العلوم من أبي عبيدة. وقال يزيدُ بن مُرَّة: كان أبو عبيدة ما يفتِّشُ عن علم إلا من كان يفتشُه عنه يظنُّ أنه لا يُحْسِنُ غيره، ولا يجودُ بشيءٍ أجْوَدَ من قيامِهِ به.

وقال ابنُ قتيْبَة: كان الغريبُ أغلبَ عليه، وأيام العرب وأخبارها. وقال أبو حاتم: وكان مع علْمِهِ إذا قرأ البيتَ لم يُقِمْ إعرابَه، وينشِده مختلفَ العَرُوض.

مُوازنةٌ بينَهُ وبينَ الأصْمَعِي وأبي زَيْدٍ الأنصاري

قال المبرِّد: كان أبو عبيدة عالمًا بالشعر، والغريبِ، والأخبارِ، والأنسابِ. وكان الأصمعي أعلمَ بالنحو، وكان أعلمَ من الأصمعي وأبي زيد بالأنساب. وكان أبو نواس يتعلمُ منه ويمدَحُه ويذمُّ الأصمعي؛ وقد سُئل عن الأصمعي فقال: بلبلٌ في قفَصٍ؛ وعن أبي عبيدة فقال: أديمٌ طُوِي على علم. وقال بعضُ العلماء: كان الطلابُ إذا أتوا مجلسَ الأصمعي؛ اشتروا البعْر في سوقِ الدرِّ، وإذا أتوا مجلسَ أبي عبيدة اشتروا الدرَّ في سوقِ البعْرِ، لأن الأصمَعي كان حَسَنَ الإنشاءِ؛ والزخرفةِ، قليلَ الفائدةِ، وأبو عبيدة بضدِّ ذلك ألثَغُ فاحشُ اللَّثْغَةِ.

سبَبُ قدُومِهِ إلى بغداد:

حدث أبو عبيدة أنَّ الفضلَ بنَ الربيعِ، وزير الرشيد؛ أنفذَ إليه مالاً جزيلاً، واستقدمَهُ إلى بغداد سنة 188، فلما قدِمَ إلى بغداد استأذنَ في الدخولِ عليه، فأذنَ له وأكْرَمَ وِفَادتَه، وأدناهُ منه وتبسَّطَ معهُ في الحديث، ثم سألهُ الإنشادَ فأنشدَه فطرِب وضَحِك، ثم دخلَ عليه إبراهيم ابن إسماعيل الكاتب، فأجْلَسَهُ إلى جانِبِه، وقال له: أتعرفُ مَنْ هذا؟ قال: لا، قال: هذا أبو عُبَيْدة، علّامةُ أهل البصرة، أقدمناهُ لنستفيدَ من علْمِه، فدَعا للوزير، وقرَّظَه لِفعْلِه، وقال إنّي كنتُ إليك مُشْتاقًا، وقد سُئلتُ عن مسألةٍ، أفتأذَنُ لي أن أُعَرِّفَك إيَّاها، فقلتُ: هات، قال: قال الله عزوجل: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾*، وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عُرِف مثله، وهذا لم يُعْرف، فقلتُ: إنما كلّمَ اللهُ تعالى العربَ على قدرِ كلامِهم، أما سمعتَ قولَ امرئِ القيس:

أيقْتُلُنِي والمشرفيُّ مُضَاجِعِي ... ومَسْنُونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغْوالِ

* سور الصافات: 56.

وهم لم يرَوْا الغولَ قط، ولكنهم لما كان أمرُ الغولِ يهُولهُم أوعَدوا عدوًا به، فاستحسنَ الفضْلُ ذلك، واستحسَنهُ السائِل، وعزمْتُ من ذلك اليوم أن أضَعَ كتابًا في مثلِ هذا وأشباهه وما يحتاجُ إليه من علْمِه، فلما رجَعْتُ إلى البصْرَةِ عملْتُ كتابِي الذي سمَّيْتُهُ [المَجَاز في القرآن].

أبو عبيدة والأصمعي في مجلس الرشيد:

قال المازنيُّ: سمعتُ أبا عُبَيْدة يقُولُ: أُدْخِلتُ على الرشيد، فقال يامَعْمَر؛ بلغنِي أن عنْدَك كتابًا حَسَنًا في صِفَةِ الخيل، أحبُّ أن أسْمعَهُ منك، فقال الأصمعي: وما تصنعُ بالكتاب؟ يحضَرُ فرسٌ ونضعُ أيدينا على عضوٍ ونسمِّيه ونذكُرُ ما فيه، فقال الرشيد، يا غُلام أحضِرْ فرسِي، فقام الأصمعيُّ فوضعَ يدَهُ على عضوٍ عضو، وجعل يقولُ هذا كذا، قال الشاعرُ فيه كذا حتى انقضَى قوله، فقال لي الرشيدُ: ما تقولُ فيما قال؟ فقلتُ له: قد أصابَ في بعضٍ وأخطأَ في بعض، والذي أصابَ فيه شيءٌ نعلمُه، والذي أخطأ فيه لا أدْري من أينَ أتى بهِ.

مؤلفاته:

له من التواليف ما يقرب من مائتي مُصَنَّف؛ منها "مجاز القرآن". و"غريب القرآن". و"معاني القرآن". و"غريبُ الحديث". و"الديباج". و"التاج". و"الخيل". و"البازيّ". و"المثالِب". و"خلق الإنسان". و"الدلو". و"البكرة". و"بيوتات العرب". و"اللغات". و"قُضَاة البصرة". و"لُصُوص العرب". و"أخبار الحجّاج". و"قصّة الكعبة". و"ما تلْحَن فيه العامّة". و"الأوس والخزرج". و"الأيّام". "السِّرج واللجَام". و"الجمل وصفين". "الأضْداد".

أخلاقُـه:

كان وَسِخًا مدْخُول الدِّين، ميَّـالاً إلى مـذهَب الخـوارج، طعّانًـا في أعـراضِ النَّاس وأنسَابهم؛ ولم يكنْ بالبصرة أحدٌ إلا يُدَاجِيه ويتَّقيه على عِرْضِـه؛ ومـن ثـمَّ لم تُقْبل لهُ شهادةٌ لدَى حاكِم.

وفاتـه:

توفي سنة ثمان ومائتين. وقال الصُّولي سنة 207؛ وقال المظفّر ابن يحيـي سـنة 209، ولم يحضرْ جنازَته أحدٌ، لأنه لم يسلمْ من لسانِهِ لا شريفٌ ولا وضيعٌ بالبصرة.

أبُو عُثْمَان الجَاحِظ
المتوفّى سنة 255

هو أبو عثمان عَمْرو بن بحْـرِ بـن محبُْـوب، الكنـانِي ولاءً، الملقّـب بالجـاحظ والحَدَقي لجُحُوظِ عينيْه وكِبَرِ حَدَقته.

مولدُهُ ونشأتُه:

ولدَ بالبَصْرة سنة مائة وخمسين هجرية، كما حدّثَ بـذلك عـن نفسِـه، ونشـأَ ببغداد؛ وتعلّم على مشيخةِ البلديْن (البصرة والكوفة)؛ كأبي عبيدة والأصمعِي وأبي زيْد الأنصارِي، وأساطينِ أهلِ الكلامِ فيهما؛ وتخـرَّج في مـذهبِ الاعتـزالِ عـلى أبي إسحق إبراهيم بن سَيّار النظَّام؛ وفي الحـديث عـلى يزيـد بـن هـرُون، وأبي يوسُـف القاضي، والحجّاج بن محمد ابن سلمة. وتخرّج على يديه أبو بكـر عبـد الله بـن داود السِّجْسِتَاني، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد، ويَمُوتُ بن المِزَرَّع (والجـاحظُ خـالُ أمِّه).

طريقَتُه في الترَسُّل:

للجاحظ طريقةٌ في الترسُّل اختُصَّ بها من بين الكُتَّاب، ونُسِبَت إليـه، فقيـل: (الطريقة الجاحظية)؛ عجزَ كتّـابُ العربيـة وجهابِـذَتِهم عـن مُحَاكاتهـا؛ فهـو شـيخُ الأدباء، والإمامُ في الفَصَاحة والبيان، وسَيَّد الكُتّاب في العربيّة.

سَعَةُ اطّلاعِه:

له القِدْحُ المُعَلَّى في كثير من الفنون؛ فقد قرأ كثيرًا من كتبِ الحكمَة، والفلسفةِ لليونان والفرس والهند؛ فما نُقِلَ كتابٌ منها إلى العربيّـةِ في مختلـفِ الفنـون إلا قـرأهُ قراءةَ تفحُّصٍ واستبصارٍ، مع ماله من حافِظَـةٍ مطاوعَـةٍ، وروايـةٍ واسـعةٍ، وحجـةٍ قويةٍ، وبرهانٍ ناصعٍ، وقد ملأتْ تواليفُه سمعَ الـدنيا وبصَـرَها، وانتفـعَ بهـا الجـمُّ الغفيرُ من الناس، حتى لقد قال أحدُ الكتَّابِ من الصابِئَة، ما أحْسُـدُ الأمـة العربيـة إلا على ثلاثةِ أنْفُس: عمر بن الخطاب في سياستِه وحذرِه ودينِه ويقينِه، والحسَن بـن أبي الحسن البصْريّ في ورعِهِ وعفَّتِه، وفقهِهِ ومعرفتِه، وفصاحتِه ونصاعةِ مواعظِـه. وأبي عـثمان الجـاحظ خطيـبِ المسـلمين، وشـيخ المتكلّمـين، ومِـدْره المتقَـدِّمين والمتأخِّرين، إن تكلّمَ حكَى سَحْبَانَ بلاغَةً، وإن ناظَرَ ضارعَ النَّظَّامَ جَدَلاً.

نِحْلَتُه:

تفـرَّد بنحْلَـةٍ خاصَّـةٍ في الكـلام، وصـارَ رئـيسَ فرْقـةٍ مـن المعتزلَـةِ تُسَـمَّى "الجاحظية"، من قواعِدِها أن أفعالَ العبادِ تقعُ منهم طباعًا، وأنهـا تجـبُ بـإرادتهم، وأن معرفةَ الله واجبةٌ على الإنسانِ من حين البلوغ؛ وحدَّث الجاحظُ عن نفسه قال: قلت لأبي يعقوب الخزَيْمِي، من خَلَقَ المعَاصِي؟ قال الله. قلت فمن عـذب عليهـا؟ قال الله. قلتُ فلِمَ؟ قال: لاأدري والله.

مناظراته:

كان بين يديْ الجاحظِ ومخالفيه مـن أربـاب النِّحَـل والمـذاهبِ مـن ملاحِـدة ومُرجِئة ورافِضَة، مصاولاتٌ ومحاولاتٌ عنيفةٌ، كُتِبَ له فيها النصرُ والفَلَجُ علـيهم والظَّفَرُ بهم.

آراءُ العلماءِ فيه:

اختلفتْ آراءُ العلماءِ فيه؛ فمن قادحٍ له يتَّهِمُه بالكذِب، ويرميه بكل شنيعٍ من القولِ. فابنُ قتيبة يقول: إنـه مـن أكـذَبِ الأمـة وأوْضَـعِهم للحـديث، وأنْصَرِـهم للباطل؛ والأزهري اللغوي يقول: إن الجاحظ روى عـن الثِّقـات مـا لـيس في كلامهم، وقد أُوتِي بسْطَةً في لسانِه، وبيانًا في خطابِـه، غـير أن أهـل العلـم والمعرفـة ذمُّوه، وعن الصدق دفَعُوه؛ والبديعُ يقول في المقامة الجاحظية: إن الجاحظَ في أحـدِ شقَّي البلاغةِ يقطُفُ، وفي الآخر يقِفُ، والبليغ من لم يقصّـر نظْمُه عن نثْرِه، ولم يُزْرِ كلامُه بشعْرِه؛ فهل ترون للجاحظ شعرًا رائقًا؟ قلنا لا، قال: فهلُمُّوا إلى كلامِه، فهو بعيـد الإشـاراتِ، قريـبُ العبـارات، قليـلُ الاسـتعاراتِ، منقـادٌ لعرْيَـان الكـلامِ يستعملُهُ، نفُورٌ من مُعْتَاصٍ يهْمُلُـه؛ والمسـعودي يقـول: وزعـم الجـاحظُ في كتابـه الأمصار: أن نهر السِّنْد من النيل، بدليل وجود التماسيح فيه، والكتاب كله غايـة في الغثَاثَة، وهو فيه حاطِبُ ليلٍ، ينقلُ من كتبِ الوراقين، إذْ هو لم يسْـلُك البحـارَ، ولم يتعرَّف الأقطارَ والأمصارَ. ومن مادحٍ له يقدِّره قدْرَه، ويشيدُ بفضائلِهِ؛ ومن أولئك أبو العباس محمد بن يزيد المبرَّد. قـال: مـا رأيـت أحـرصَ عـلى العلـمِ مـن ثلاثـة: الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي. فأمـا الجـاحظ، فإنـه لم يقعْ بيدِهِ كتابٌ قطُّ إلا استوْفَى قراءَتَه كائنًا ما كان. وأما الفتْحُ بن خاقان، فإنـه كـان يحضَرُ لمجالَسَةِ المتوكل، فإذا أرادَ القيام لحاجةٍ أخرجَ كتابًا من كمِّهِ أو خُفِّه وقرأَهُ إلى حين عوْدَتِهِ. وأما إسماعيلُ فإني ما دخلتُ عليه إلا رأيتُهُ ينظـرُ في كتـابٍ، أو يقلِّـبُ

كُتبًا، أو ينفُضُها[1]. والرئيس أبو الفضلِ بـن العميـدِ، فقـد كـان مـن المعجَبِـين بـه، المتوفَّرين على قراءةِ كتبهِ ومصنَّفاتِه، المغترِفِين من بحار علومِه وآدابِه، المتَّبِعِين مذهبَه في الكتابة، حتى لقد لُقِّبَ بالجاحظ الثاني. ومما أُثِر عنه أنه قال: كتب الجاحظ تعلِّـم العقـلَ أولاً، والأدبَ ثانيًـا. والقـاضي ابـن خلكـان إذ يقـول: الجـاحظُ صـاحبُ التصانيفِ في كل فنّ، وله مقالةٌ في أصولِ الدين. ومـن أحسـنِ تصـانيفه؛ وأمتعهـا كتاب الحيوانِ، فقد جمع فيه كل غريبهِ، وكذلك البيانُ والتبيين.

نـوادره:

كان الجاحظ على جلالةِ قدْرِه، وسمُوَّ منزلتِهِ، وشـديدِ لـدَدِه، وقـوةِ حُجَّتِـهِ، وعظيمِ بيانِهِ، حُلْوَ الدُّعابَةِ، ظريفَ الفكاهةِ، ميالاً إلى اللطائفِ والملحِ، كثير التنـدُّرِ والسخريةِ، لا يكترثُ بروايةِ النادرةِ وتدوينِها، وإن كان فيهـا مـا يحـطُّ مـن قَـدْرِه، ويُزْرِي بِحلى وقارِه؛ فمن ذلك ما حدَّث به عن نفسه: قال: ذُكِـرتُ للمتوكـل عـلى الله لأكونَ مؤدبًا لبعضِ ولدِه، فحين رآني استبشع منظَـرِي، وأمـرَ لي بعشْرَـة آلافِ درهم وصَرَفني. وقال مـرة: مـا أخْجلنـي أحـدٌ مثـل امـرأتيْن، رأيـتُ إحـداهُما في العسكر، وكانت طويلةً القامة، وكنتُ على طعام، فأردتُ أن أمازِحَها، فقلتُ: انزلي كُلِي معنا، فقالت: اصعد أنتَ حتى ترى الدُّنيا. وجاءت الأخرى وأنا على بابِ داري فقالتْ لي: إليك حاجة؟ وأريدُ أن تمْشـي معي، فقمـتُ معهـا إلى أن أتـتْ إلى صائغٍ يهوديٍّ، وقالت له مثل هذا وانصرفتْ. فسألتُ الصائغَ عن قولِها؟ فقال: إنها أتتْ إليَّ بفصٍّ وأمرتْني أن أنقُشَ لها عليه صورةَ شيطانٍ. فقلتُ لها: يا ستّي ما رأيتُ الشيطانَ، فأتتْ بك وقالتْ ما سمعت. وقال وقفتُ يَوْمًا على قاضٍ فـأردتُ الولَـعَ به، فقلتُ لمنْ حوله: إنه رجلٌ صالحٍ لا يحبُّ الشُّهْرة، فتفرَّقُوا عنه، فنظـرَ إلي وقـال حسْبُك الله وقال: أتاني بعضُ الثُّقَلاء، فقال: سمعتُ أن لك ألفَ جوابٍ مُسْـكِت ،

(1) نفض فلان المكان: نظر جميع ما فيه ليعرفه.

فعلَّمْني منها، فقلتُ نعَمْ . فقال : إذا قال لي شخصٌ يا زوجَ القحْبَة، يا ثقيلَ الرُّوح، أي شيءٍ أقولُ لك؟ قلتُ: قل له صدَقْت.

رسائِلُهُ:

منها ما كتبَ به إلى قُلَيْب المغْربي قال:

والله يا قُليب، لولا أن كبـدي في هـواكَ مقروحَـةٌ، ورُوحِـي بـك مجْرُوحَـةٌ، لساجلْتُك هذه القطيعة، وبادَلْتُك حبلَ المُصَارَمة، وأرجو أن الله يُدِيل صـبْرِي مـن جفائِكَ، فيردَّك إلى مودَّتِي وأنف القِلَى راغِم، فقد طالَ العهدُ بالاجتماع، حتى كـدْنا نتذاكَرُ عندَ الالتقَاء.

ومن كلامه:

ينبغي للكاتبِ أن يكونَ رقيقَ حواشِي اللسان، عذبَ البيان، إذا حاورَ سـدّدَ سهْمَ الصوابِ إلى غرضِ المعْنى، لا يكلِّم العامَّة بكلامِ الخاصَّة، ولا الخاصَّة بكلامِ العامة.

شَذَرَاتٌ من شِعره:

شعرُ الجاحِظِ إذا وُزِن بنثْره كانَ في المرتبةِ الدُّنيا، وقد علمتَ رأيَ البديعِ فيه، وقلَّ من يجيدُ الشعْرَ والنثرَ معًا، فمن ذلك قوله:

يطيـبُ العـيشَ أن تلْقَـى حكـيمًا غــذاهُ العلــمُ والفهــمُ المصــيبُ

فيكشـفُ عنـكَ حـيرة كـلَّ جهْـلٍ وفضْــلُ العلــمِ يعرفُــهُ اللبيــبُ

ســقامُ الحـرصِ لـيسَ لـه شـفاءٌ وداءُ الجهــلِ لــيسَ لــهُ طبيــبُ

وقوله:

إنْ حالَ لونُ الرأسِ عن لونِهِ ... ففِي خضَابِ المرءِ مستَمْتَعُ
هبْ منْ لهُ شيبٌ لهُ حيلةٌ ... فمَا الذي يحتالُه الأصْلَعُ

وكثيرًا ما كان ينشد:

أترجُو أن تكونَ وأنتَ شيخٌ ... كما قد كنتَ أيامَ الشبابِ؟
كذَّبتْكَ نفْسُك؛ ليس ثوبٌ ... دَرِيسٌ كالجديدِ من الثيابِ!

مؤلفاته:

له من المؤلّفات ما نيّف على الخمسين؛ بين كتبٍ ورسائل، وقد ذاع صيت اثنين منها وهما: كتاب "الحيوان"؛ وقد جمع فيه من اللطائفِ والنوادرِ ما يدهشُ اللبَّ، ويحارُ فيه العقل؛ وقد صدَقَ القاضي بن خلكان في قوله فيه: إنه جمعَ كلَّ غريبةٍ. وكتاب "البيان والتبيين"؛ وقد أكثر فيه من مختار كلام العرب نثرِه ونظيمِه، فقد تكلّم فيه على السَّلاطة والهذر، والعَيِّ والحصْرِ، وعلى الضيافَةِ وآدابِها عندَ العرَبِ، وعلى خُطباء الأمْصَارِ وشعرائِهم، وعلى البلاغَةِ والبلغاءِ، وعلى المخَاصِر والعِصِيَ، وشيءٍ من نوادِر الأعرَاب، وكتابِ العصا، وكتابِ الزهِد، وأخلاطٍ من شعرٍ وأحاديث ونوادر، وآدابِ الملوك.

جوائزه على بعض كتبه:

قال ميمون بن هرون الكاتب: قلتُ للجاحظ: ألك بالبصْرة ضَيْعَة؟ فتبسَّم وقال: إنما أنا وجاريَةٌ وجاريةٌ تخدمها وخادمٌ وحمارٌ؛ أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فأعطاني خمسةَ آلافِ دينار؛ وأهديت كتابَ البيان والتبيين إلى ابن أبي دؤاد، فأعطاني خمسةَ آلاف دينار، وأهديتُ كتاب الزرْع والنخلِ إلى إبراهيم

بن العباس الصُّولي، فأعطاني خمسةَ آلاف دينار، فانصرفتُ إلى البصرة، ومعي ضيعةٌ لا تحتاجُ إلى تجديدٍ ولا تسْميد.

مَرَضُه:

قال أبو العباسِ المبرّد: عدتُ الجاحظَ فسمعتُه يقول: أنا من جانِبي الأيسر-مفْلُوج[1] فلو قُرِض بالمقارِيض ما علمتُ، ومن جانبي الأيمن مُنَقْرَس[2] فلو مر بي الذباب لألِمْتُ، وبي حصاةٌ لا ينْسَرِحُ لِي البولُ معها وأشدُّ ما عليَّ ستٌّ وتسعون. وقال يَمُوت بن المزْرَع: وجّه المتوكلُ في السنة التي قُتل فيها وهي سنة 247 أن يُحْمَل إليه الجاحِظ من البصرة بطلبٍ من وزيرِه الفتْح بن خاقان، فقال الجاحظُ لمن أرادَ حمْلَه: ما يصنع بامرئٍ ليس بطائِلٍ، ذي شقٍّ مائلٍ، ولعابٍ سائلٍ، وفرج بائلٍ، وحقلٍ زائل، ولونٍ حائلٍ؟

وقال أبو طاهر: صرتُ إلى الجاحظِ ومعي جماعةٌ، وقد أسنَّ واعتلَّ في آخرِ عمْرِه، وهو في منظرةٍ له وعندَهُ ابن خاقان جاره، فقرَعْنا البابَ فلم يفتحْ لنا، وأشرفَ من المنظرةِ، وقال ألا: إنّي قد حَوْقَلْتُ، وحملتُ رُمَيْحَ أبي سعد[3]، وسُقْتُ الغَنَم[4] فما تصنعُون بي، سَلِّمُوا سلامَ الودَاع؛ فسلمنا وانصرفنا.

وشكا يومًا لطبيبه علَّتَه، فقال: قد اصطلحَت الأضدادُ على جسَدي؛ إن أكلتُ باردًا أخذ برِجْلي، وإن أكلتُ حارًا أخذ برأسِي.

وما زالت العلة تزدادُ به حتى سقطتْ عليه مجلداتُ الكتبِ، فمات في سنة خمس وخمسين ومائتين هجرية.

(1) الفالج: داء يحدث في أحد شقي البدَن طولاً فيبطلُ إحساسُه وحركته.
(2) مصابٌ بالنقرس: وهو ورَم ووجَعٌ في مفاصِل الكعْبين وأصابع الرجلين وفي إبهامِها أكثر.
(3) أبو سعد رجل من العرب أسنَّ فاستعانَ بالعصا، فقيل لكل من شاخ وكبر: أخذ رميح أبي سعد.
(4) كناية عن الهرم، لأن سائق الغنم يُطأطِئ من رأسه.

محمد بن يزيد المبرد
المتوفى سنة 285هـ

اسمه ونسبه:

هو أبو العباس محمَّد بن يزِيد بن عبد الأكْبر الثّمالي الأزدي البصْري؛ النحْوي اللغويُّ الأديبُ، الفصيحُ البليغُ، الكثيرُ النوادر والملح، الثقةُ الثَّبْتُ.

لقبُـه:

يلقب بالمبرِّد، وقد لقبه به أستاذُه المازِنِيّ، ذلك أنّه حين صنّف كتابه [الألف واللام] سأله عن دقيقِهِ وعويصِهِ؟ فأجابه بأحسَن جواب، قال له: قمْ فأنتَ المبَرِّدُ أي المثبِّتُ للحق، فحرَّفه الكوفيون وفتحُوا الراء زِراية به.

مولده ونشأته:

ولد بالبصرة يوم الاثنين؛ غداة عيدِ الأضحى سنة عشرة ومائتين، وقد تلقَّى العلمَ على أبي عمْرو الجرميّ، وأبي عثمان المازِني، وقرأ عليهما كتاب سيبويه، وعلى أبي حاتم السِّجْستاني؛ وأخذَ عنْهُ أبو بكر الصُّولي ونفْطَوَيْه.

آراء الأئمة فيه:

قال السيرافي: سمعتُ أبا بكرٍ بن مجاهدٍ يقولُ: ما رأيتُ أحسن جوابًا من المبرّد في معاني القرآن فيما ليس فيه قولٌ لمتقدّم، وقال سمعت نفطويْه يقولُ: ما رأيتُ أحفظ للأخبار بغير أسانيد؛ من المبرد وأبي العباس بن الفُرات، ومن كان يُتَّهمُ بالوضْعِ لكثرةِ حفظِه للغةِ وغريبها.

المنافَرَةُ بينَهُ وبينَ ثعْلب:

كان بينهُ وبين أبي العباس ثعلب ما يكونُ بين المعاصرين من المنافرة؛ وقد اشتهرَ ذلك بين الأدباء، حتى قال بعض الشعراء:

كفَــى حزنًــا أنَّــا جميعًــا ببلــدةٍ ويجمعُنَــا في أرضِــها شرُّ مشْــهَدِ
وكــلٌّ لكــلٍّ مخلــصُ الــودِّ وامــقٌ ولكنَّــه في جانــبٍ عنْــهُ مُفْــرَدِ
نــروحُ ونغــدُو ولا تَــزَاوُرَ بينَنَــا ولــيس بمضْــرُوبٍ لنا يــومُ موعــدِ
فأبْــدَانُنَا في بلــدةٍ والتقاؤُنَــا عســيرٌ كلُقيَــا ثعْلَــبٍ والمــبردِ

وكان المبردُ يحب الاجتماعَ بأبي العباس ثعلب للمناظَرةِ، وثعلب يكرهُ ذلـك، لأن المبرد كان حَسَن العبارة، حلوَ الإشارةِ، فصيحَ اللسانِ، ظـاهرَ البيـانِ؛ وثعلـبٌ دونه في ذلك؛ فإذا اجتمعا في محْفلٍ، حكمَ المبرد على الظاهرِ إلى أن يُعْرَف الباطن.

مناظرةٌ بينه وبينَ الزجّاج:

لما قدم المبرَّد بغدادَ عزم الزجَّاجُ على مناظرَتِهِ، وكان تلميذَ ثعلب، فلما باحثَـهُ أَلجَمَهُ المبرّد بالحُجّة، وألزمَهُ إلزاماتٍ لم يهتـدِ إليهـا، فـأقرَّ لــه بالفضـلِ، ورجاحـةِ العقل، وأخذ يلازمُه ويستفيدُ من علمه وأدبه.

مديحُ الشعراءِ له:

قال أحمد بن عبد السلام بن رُغبان "ديك الجن" يمدحُه:

رأيــتُ محمــد بــن يزيــد يسْــمُو إلى الخــيراتِ في جــاهٍ وقَــدْرِ
جلــيسُ خلائِــفٍ وغــذىّ مَلْــكٍ وأعلــمُ مــن رأيــتُ بكــلِّ أمــرِ
وقــالوا ثعلــبُ رجــلٌ علــيمٌ وأيــن الـنجمُ مـن شـمسٍ وبـدْرِ؟
وقــالوا ثعلــبُ يُفْتِــي ويُمْــلِي وأيــنَ الثعلبَــانِ مــنَ الهِزْبَــرِ؟

وقال بعضُهم في مدحِ المبرد وثعلب:

أيــا طالـــبَ العلـــمِ لا تجهَلَـــنْ **وَعُـــذْ بـــالمبرّدِ أو ثعلـــبِ**

علـــومُ الخلائِـــقِ مقرونَـــةٌ **بهـــذينِ في المشـــرقِ والمغـــربِ**

أهاجِي الشعراءِ له:

قال عبد الصَّمّد بن المعذّل:

ســألنا عَــن ثُمَالــةِ كــلِّ حــيٍّ **فقــالَ القــائلونَ: ومــن ثمالــهْ؟**

فقلتُ: محمـد بـن يزيـد مـنْهُم **فقــالوا: زدْتَنَــا بِهِــمْ جَهَالــهْ؟**

وقال آخر:

وفتًـــى مـــن مـــازنٍ **أســـتاذُ أهْـــلُ البصـــرْهْ**

أمُّـــــهُ معرِفَـــــةٌ **وأَبُـــــوهُ نكِـــــرَهْ**

ومن شعْرِه قولُه:

حبَّـــذَا مـــاءُ العنَاقِيـــــ **ـــدِ بريـــقِ الغانيـــاتِ**

بهـــمَا ينبُـــتُ لَحْمِـــي **ودَمِـــــي أيَّ نبـــاتِ**

أيهَـــا الطالـــبُ أشْـــهى **مـــنْ لذيـــذِ الشَّـــهَوَاتِ**

كـــلُّ بـــماءِ المُـــزْنِ تُفَّـــا **ح خُـــدُودِ الفتيـــاتِ**

وقوله وقد بلغه أن ثعلبًا نال منه:

رُبَّ مَـــنْ يعنيـــهِ حَـــالِي وهـــو لا يَجْـــري بِبَـــالِي

قلبُـــه مَـــلآنُ منِّـــي وفـــؤادِي مِنْـــهُ خَـــالِي

تواليفه:

له من المؤلفاتِ الشيءُ الكثير؛ فمن ذلك كتاب الكامـل في الأدب وهـو مـن أشهر كتبه، وقد تكلم فيه على فنون كثيرة من مباحث البلاغة، كـذكْرِ الضرـورياتِ القبيحة كبيت الفرزدق (وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكًـا)* وقـول خالـد بـن عبـد الله القسري: "أطعمُونِي مَاء"، وتكلّم على المجاز العقلي في قوله تعالى:

﴿..بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ..﴾ [سورة سبأ: الآية 33]** **وعلى التغليب في نحو قوله:**

قدْني من نصْرِ الخبيبيْن قدي

وعلى مباحث التشبيه مع ذكر ما قالته العرب فيـه، وتقسـيمه أربعـة أضرب: مفرطٌ، ومصيبٌ، ومقارِبٌ، وبعيدٌ يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسِه، وعلى الأمثالِ السائرة والأخبارِ المأثورة، وعلى مجازِ آيات مـن القـرآن الكـريم، ويريـدُ بمجازهـا تقديرُ تأويلِها؛ كما فعل أبو عبيدة في كتابه [مجاز القرآن]*.

"والمقتضب في النحو"وهو أكبر مصنفاته، وكتاب البلاغة (ولاندري الـنهجَ الذي سلكَه فيه)، وكتابُ الروضة، "والمدْخَل في كتاب سيبويه"، و"شرح شـواهِد سيبويه"، وكتاب "التصريف"، وكتاب "العَرُوض"، وكتاب "القـوافي"، وكتـاب

---

* هذا شطر بيت ينسب للفرزدق، ويضرب به المثل على التعقيد اللفظي الذي يظهر في الشطر الثاني :
وما مثله في الناس إلا مملكًا أبو أمّهِ حيّ أبوه يقاربُه
والأصل في التعبير: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكًا أبو أمه أبوه. والبيت في مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، خال هشام بن عبدالملك بن مروان.

** سورة سبأ: 33.

* انظر: المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة د. ت. 1/ 28، 3/ 32 وما بعدها.

"أدبُ الجليس"، وكتاب "طبقات النحْوِيين"، وكتاب "الرد على سيبويه"، وكتاب "معانِي القرآن"، ويعرف بالكتاب التام.

وفاته:

توفي في شوال سنة 285، في خلافة المعتضِد، وصلّى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي، ودُفن في دارٍ في مقابِر باب الكوفة، ورثاهُ ثعلب فقال:

ذهبَ المبردُ وانقضتْ أيامُهُ	وليذهبنَّ إثْرَ المبردِ ثعلبُ
بيتٌ من الآداب أضحى نصْفُهُ	خَرِبًا وباقي النِّصفِ منه سيُخْرَبُ
وتزوَّدُوا من ثعلبٍ فبكأس ما	شربَ المبردُ عن قريبٍ يشربُ

عبدُ اللهِ بن المُعْتزّ

المتوفى سنة 296

هو أبو العباس عبدُ الله بن المعتز بن المتوكِّل؛ الشاعرُ المطبوعُ، الحسنُ الإبدَاع للمعانِي، الجيِّدُ القريحَة، المَعْدُود في جملةِ الأدباءِ والعلماءِ، وقد كان شديدَ السُّمْرة مسنونَ الوجْه، يخضّب بالسّواد:

مولده ونشأته:

ولد سنة 247، وأخذ الأدبَ عن أبي العباس المبرّد، وعن أبي العباس ثعْلب وغيرهما.

مصنفاته:

له من التصانيفِ: كتاب "الزهْر والرياض"، وكتاب "مُكاتَبات الإخوان بالشعر"، وكتاب "الجوارح والصيد"، وكتاب "السّرِقات"، وكتاب "أشعار

الملوك"، وكتاب "طبقات الشعراء"، وكتاب "الجامع في الغناء"، وأرجوزة في ذَمِّ الصَّبُوح.

وكتاب "البديع" وهو أول كتاب أُلِّفَ في البديع، وهو اسمٌ أعمّ مما اصطلح عليه المتأخرون؛ فقد ذكر من أنواعه الاستعارة والتشبيه والكناية والتمثيل، وقال في أوله: وما جمع قبلي فنون البديع أحدٌ، ولاسبقني إلى تأليفه مؤلِّفٌ، وألفتُهُ سنة 274 فمن أحبَّ أن يقتدِي بنا، ويقتصرُ على هذه فليفعل، ومن أضافَ من هذه المحاسِن أو غيرها شيئًا إلى البديع، ورأى فيه غيرَ رأينا فلَهُ اختيارُه؛ وزاد معاصِرُه قُدَامة عشرين نوعًا اتفق معَهُ في سبعةٍ منها، فكان جملةُ ما زادَهُ ثلاثةَ عشر، فكمُل ما جمعه ثلاثون نوعًا، ثم أوصلها أبو هلالٍ العسكريّ في كتابه [الصناعتين] إلى خمسةٍ وثلاثين نوعًا، وجمعَ ابن رشيق في كتابه العُمْدة مثلها، وتلاهما شرفُ الدينِ الشاشي فبلغ بها السَّبْعين؛ وصنَّف ابن مُنْقذ كتابَهُ [التفريغ في البديع] فجمعَ فيه خمسةً وتسْعين نوعًا، وانتهت خاتمةُ المطافِ بالمدحةِ النبوية لصفي الدين الحلي المسماة: [الكافية البديعِيَّة] جمعَ فيها مائةً وأربعين نوْعًا.

نثْرُه:

من ذلك قوله: البلاغَةُ البلوغُ إلى المعنى، ولما يَطُلْ سفر الكلام؛ وكان يقول: لو قيل لي: أي شعرٍ أحسنُ ما تعرِفُه؟ فقلتُ قولَ العباسِ ابن الأحنف:

قد سحَبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا   وفرَّقَ الناسُ فينَا قولُهم فِرَقًا

فكاذبٌ رمَى بالظنَّ غيرَكُم   وصادقٌ ليس يدْرِي أنَّهُ صَدَقَا

شعره:

له الشعرُ الرائقُ المعْجِبُ والتشبيهاتُ الحسَنَة، فمِنْ ذلك قوله:

وجـاءنِي في قمـيصِ الليـل مُسْـترًا يستعجِلُ الخطْوَ من خوفٍ ومـن حَـذَرِ
فقمتُ أفرشُ خـدِّي في الطريـقِ لـه ذلاً وأسْـحَبُ أذْيَـالِي عـلى الأثـرِ
ولاحَ ضـوءُ قمـيرٍ كـادَ يفضَـحُنَا مثْـل القُلامَـةِ قـد قُـدَّتْ مـن الظَّفَـرِ
وكـانَ مـا كـانَ ممَّـا لسـتُ أذكُـرُهُ فظـنَّ خـيْرًا ولا تسـألْ عـن الخَـبَرِ

وقولُه في الخَمْر:

خليليَّ قـد طـابَ الشـرابُ المـورَّدُ وقد عدتُ بعد النُّسُكِ والعـوْدُ أحمـدُ
فهاتـا عَقـارًا في قمـيصِ زجاجَـةٍ كياقُوتَـــــةٍ في دُرَّةٍ تتوقَّـــــدُ

وفاته:

ماتَ رحِمَهُ اللهُ قتيلاً بيدِ مؤْنِس، خادمِ المقتدر سـنة سـت وتسـعين ومـائتين، ودُفن في خربة بإزاءِ دارهِ. وكان من حديثِ ذلك أن رؤساء الجندِ ووجوهِ الكتـاب؛ شغَبُوا على المقتدِر بالله وخلعُوه من الخلافـة، وبايَعُـوا عبْـدَ الله بـن المعتـزِّ ولقبـوه بالمرْتَضى بالله، وأقامَ على ذلك يومًا وليلـة، ثـم تجمـع أصـحابُ المقتـدر، وحـاربوا أنصارَ ابن المعتز وشتَّتُوا شَمْلهم، وأعادوا المقتَدِر إلى الدَّسْت، واختفى ابن المعتز في دارِ أبي عبد الله الحسين الجصَّاصِ الجوهري، فقبضَ عليه وقُتل يوم الخميس في شهر ربيع الأول من تلك السنة، ورثاه على بن محمد بن بسّام قال:

لله درُّك مِــنْ ميْــتٍ بمضــيعةٍ ناهيكَ في العلـمِ والآدابِ والحسَـبِ
مــا فيــه لــوْ ولاليــتَ فتنقضُــهُ وإنـــما أدركتْـــه حرفَـــةُ الأدبِ

قدامة بن جعفر
المتوفى سنة 237هـ

هو أبو الفرَج قُدَامةُ بن جعفر بن قدامة؛ الكاتبُ البليغُ، والفيلسوفُ المشار إليه بالبنان، في علم المنطق والحساب، أدركَ ثعلبًا والمبرّد وأبا سعيد السكري وابن قُتيبة، ومن في طبقتهم، وبرَعَ في الحسابِ والبلاغة ونقدِ الشعر؛ وقد ظهرتْ آثارُ علمُ المنطق في كتبه.

كان نصرانيًا وأسلَمَ على يدِ المكتفي بالله، ولم يزلْ يتردّد في خدمةِ الديوان ببغداد إلى سنةِ سبْعٍ وسبعين ومائتين، ثم تولى مجلسَ الزِّمام (إدارة الحسابات) مدة وزارة أبي الحسَن بن الفرات.

مؤلفاته:

له كتابُ "نقد الشعر"، وقد تعرَّض لنقْدِه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، وكتاب "نقد النثر" وقد طُبِعا بمصر*، وكتابٌ في الخراج وصناعة الكتاب، وهو كتابٌ بلغَ الغايةَ في بابِه، وقد رتَّبَهُ مراتبَ، وأتَى فيه بكلِّ ما يحتاجُ إليه الكاتب الأديب، وكتاب السياسة وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عابَ فيه أبا تمَّام، كتاب صناعة الجَدَل، كتاب نُزْهَة القلوب وزاد المسافر، كتاب زهْر الرَّبيع في الأخْبار، كتاب صابون الغمّ، كتاب صرْف الهمّ، كتاب جَلاء الحُزن، كتاب تِرْيَاق الفكْر.

* شك طه حسين في نسبه "نقد النثر" إلى قدامة، بينما ذهبَ "عبد الحميد العبادي" إلى العكس، ونسبه إلى قدامة معتمدًا على عددٍ من القرائن؛ ذكَرها في مقدمةِ نشْرَتِه للكتاب، ويرى أن الكتابَ يحمل اسمًا آخر دقيقًا هو "نقد النثر أو كتاب البيان". وقد رأى "شوقي ضيف" أن "نقد النثر" ينسبُ إلى مؤلف آخر هو إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، من أسرةٍ كانت تخدمُ في الدواوين العباسيّة منذُ عصر الدولة الأموية، وتوفي عام 272هـ. واسحق هذا كان معاصرًا لقدامة. وبنى "شوقي ضيف" رأيه على مقال نشره "على حسن عبد القادر" في مجلة المجْمَع العلمي العربيّ بدمشق عام 1368هـ= 1948م؛ أثبت فيه أن كتاب "نقد النثر" المنسوب خطأ إلى قدامة، هو جزءٌ من كتابه "البرْهان في وجوه البيان" لإسحق بن إبراهيم ابن سليمان بن وهب، = عثر عليه في بعض المكتبات الأوربية. (راجع: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط 6، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص 93 ومابعدها).

وفاته:

توفي سنة سبع وثلاثين وثلثمائة أيام المطيعِ لله.

أبو الحسن على بن العزيز الجرجاني
المتوفى سنة 366هـ

قال في صفته الثعالبي في يتيمة الدهر:

هو حسَنَةُ جرجَان، وفرْدُ الزمان، ونادرةُ الفلك، ودُرَّة تاجِ الأدب، يجمع خطَّ ابن مُقْلة إلى نثْرِ الجاحظ ونظْمِ البُحْتري، وقد كان في صباه خَلَفُ الخضْرِ في قطْع عُرْضِ الأرضِ، واقتبس من أنواعِ العلوم والآداب ما صارَ به في العلماءِ عَلَمًا، وفي الكمالِ عالمًا، ثم عرَج على حضرة الصاحب بن عباد، فألقى بها عصا التَّسْيَار، وحلّ منه محَلاً بعيدًا في رفْعته، قريبًا في أسْرته، وسيَّر فيهِ قصائد أخلصتْ على قصْد، وفرائد أتت من فرْد، ثم تصرفتْ به أحوالٌ في حياةِ الصاحب. وبعد وفاته من الولاية والعطلة، وترقَّى محلَّه إلى قضاءِ القُضَاة بالرِّي، ولم يعزلْهُ إلا موتُه؛ وقد حدَّث القاضي قال: انصرفتُ يومًا من دار الصاحبِ قبيلَ العيد، فجاءني رسولُهُ بعطرِ الفطر، ومعه رُقْعةٌ بخطِّه فيها هذان البيتان:

يا أيها القاضِي الذي نفْسِي لهُ ... مع قُربِ عهدِ لقائِهِ مُشْتَاقه
أهديت عطرًا مثل طيبِ ثنائِهِ ... فكأنَّما أهْدَى لهُ أخلاقَه

مؤلفاته:

"الوساطة بين المتنبي وخصومه"، ألفَهُ بعد أن ألفَ الصاحبُ كتابه "في مساوي المتنبي"، فأحسنَ وأبدَع، وأطال وأطابَ، وأصاب شاكلةَ الصواب،

واستولى على الأمدِ في فصلِ الخطاب، وأعربَ عن تبحُّرِه في الأدبِ وعلمِ العـرب، وتمكُّنه من جوْدة الحفْظ، وقوةِ النقْد، فسار كتابه مسيرَ الرياح، وطارَ في البلادِ بغـيْرِ جناح؛ وقد مدَحَه بعضُ شعراء نيسابور فقال:

أيَـــا قاضـــيًا قـــدْ دنـــتْ كتبُـــه   وإن أصـــــبحت دارُه شَـــــاحِطِه
كتـــابُ الوسَـــاطة في حُسْـــنِه   لعقـــدِ معاليـــكَ كالواسِـــطَه

شعره:

له ديوان شعر كبير. فمن ذلك قوله في الغزل:

أفْـدِى الــذي قـالَ وفي كفِّــهِ   مثــلُ الــذي أشربُ مــن فِيــهِ
الــوردُ قــد أينــعَ في وجْنَتِــي   قلــتُ: فَمِــي بـــاللَّثْمِ يجْنِيـــهِ

وقوله في الأُنْس بالكتابِ والبعْدِ عن مخالَطَةِ الناس:

مـا تطعمــتُ لــذّةَ العــيشِ حتَّــى   صرتُ للبيــتِ والكتَــابِ جليسًــا
لـيس شيءٌ أعـزَّ عنـدي مـن العِلــ   ـم فلـمْ (أبتغـي) سـواهُ أنيسـا
إنــما الــذلُّ في مخالطــةِ النــاسِ   فــدعْهُم وعــشْ عزيــزًا رئيسًــا

ومن شعره السائر قوله في الحِكَم:

يقولــونَ لِي فيــكَ انقبــاضٌ وإنــما   رأَوْا رجلاً في موقفِ الذلِّ أحْجَـما
أرى الناسَ من داناهُم هانَ عنَـدهم   ومن أكرمَتْـهُ عـزةُ الـنَّفْسِ أكرَمَـا
ومـا زلـت منحـازًا بعـرْضِي جانبًـا   مــن الــذمِّ أعتــدّ الصــيانةَ مغْــنَمَا

إذا قيل هذا مشربٌ قلتُ قد أرَى ولكنَّ نفْسَ الحُرِّ تحتمِلُ الظَّمَا

وقوله في الغزل:

انثرْ على خدِّي من ورْدِك أو دعْ فمِي يقطفْهُ من خدِّك

ارحمْ قضيبَ البانِ وارفقْ به قد خفَّ أن ينقدَّ من قَدِّك

وقلْ لعينيْك بنفسِي هما يُخفِّفَانِ السُّقْمَ عن عبْدِك

وفاته:

توفي بالرِّيِّ سلخ صفر سنة ستٍّ وستين وثلثمائة، وعمره ستٌّ وسبعون سنة.

أبُو سعيد الحَسَنُ بن عبدِ الله السِّيرافِي المتوفّى سنة 368هـ

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبَان السَّيرَافي النَّحْوِي، الإمامُ في النحْو واللغة والشّعر والعرُوض والقَوافي والقرآن والفرائض والحديث والفقه والكلام والحساب والهندسة.

مولده ونشأته:

ولد بسِيراف بفارس على ساحل البَحْر مما يلي كِرْمان، وبها ابتدأ يطلبُ العلم، ومنها خرجَ إلى عُمَان وتفقَّه بها، وأقامَ بعسْكَرِ مكْرَم مُدَّة، ثم انتقلَ إلى بَغْداد وأقامَ بها حتى مات، وقرأَ القرآنَ على أبي بكر ابن مجاهد، واللغة على أبي بكر بن دُرَيْد، والنحو على أبي بكر ابن السّرَاج.

أخلاقه:

كان ورعًا زاهدًا، لا يأكلُ إلا من كسْب يدِه، فكانَ لا يخرُج على مجلسِ الحكْم، ولا إلى مجلِس التدْرِيس حتى ينسخَ عشْرـ ورقاتٍ، يأخذُ أجرتها عشرَةَ درَاهم تكونُ كفايةُ مئُونَتِه.

تولِّيه القضَاء:

ولِيَ القضاءَ ببغداد على الجانبِ الشرقيِّ، ثم على الجانبيْن، وأفتَى في جامع الرُّصَافة خمسينَ سنة على مذهبِ أبي حنيفة، ما عثر له على زلَّة، ولا وجِدَ له خطَأٌ، مع دينٍ وافِرٍ؛ وأمانةٍ تامَّة؛ وقد كتبَ إليه عدةُ ملوك كتبًا مصدَّرة بتعظيمِهِ، وفيها أسئلة عن مسائل في الفقهِ واللغةِ والنحو.

رفْضُه العملَ في ديوانِ الإنشاء:

طُلِبَ إليه أن يعمَلَ في ديوانِ الإنشاءِ، فأبَى، وقال: هذا أمرٌ يحتاجُ إلى دُرْبة وأنا منها عارٍ، وسياسةٍ وأنا فيها غريبٌ.

مناظرة بينه وبين فيلسوف:

جرتْ بينه وبين متّى بن يُونس القِنَائِي المنطقي الفيلسوف؛ مناظرة في مجلسِ الوزيرِ أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، ادَّعَى فيها متَّى أن المنطق لازمٌ لكلِّ صناعة، ولكلِّ علمٍ حتى النحو، إذْ هو ميزانٌ لمعرفة الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشر، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين؛ وبه يُعْرَف صحيحُ الكلام من فاسِده، وفاسد المعنى من صالِحِه، كالميزان فإنه يُعْرف به الرُّجْحَان من النقصان، والشائِل من الجَانِح*، لكن أبا سعيد مازال ينتقل به من فنّ إلى فن، ومن مسألةٍ إلى أخرى، حتى أثبتَ له حاجة المنطقي إلى النحو لاحاجةَ النحو إلى المنطِق. ومما قاله له: ما تقول في قول القائل: زيدٌ أفضلُ إخوته، قال

* الشائل: المرتفع، الجانح: المائل أو القصير، والمقصود معرفة الجيد من غيره.

صحيح. قال: فما الفرقُ بينهما مع الصِّحَّة؟ فجفَّ ريقُه وَعَيَّ بالجواب. فقال أبو سعيد: أفتيتَ على غيرِ بصيرَة ولا استبانه؛ فطلب إليه ابنُ الفراتِ بيانَ الفصْل بينهما. فقال: إن إخوةَ زيْدٍ هم غير زيد، وزيد خارج من جُمْلتهم، بدليل أن سائلاً لو قال: من إخوة زيد؟ لم يجز أن تقول زيد وعمرو، وبكر وخالد، وإنما تقول عمرو وبكر وخالد، إذْ هو غيرهم؛ فلا يجوز أن تقول أفضل إخوته، ولكنك إذا قلت أفضل الإخوة جاز، لأنه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة؛ وما زال يتصرف معه في هذا وأمثاله، حتى تقوَّضَ المجلسُ وأهله يتعجَّبُون من رباطَةِ جأشِ أبي سعيد وتصَرُّفِ لسانِه، وتهلّلِ وجْهِه، وتتابعِ فوائدِه، ثم قال له الوزير: عيْنُ الله عليك أيها الشيخ؛ فقد نديت أكبادًا، وأقررت عيونًا، وبيضّت وجوهًا، وحكْت طرازًا لا تبْليهِ الأزمان، ولا يتطرّقُه الحدثان.

وقد حكى هذه المناظرة بإسهاب؛ صاحب معجم الأدباء في الجزء الثامن، فلتراجع هناك؛ فهي مُمْتعةٌ غاية الإمتاع، وفيها بهجَةٌ ورُوَاءٌ وظَرْفٌ.

مؤلفاته:

كتاب "صنعة البلاغة والشعر"، ولم نطلعْ عليه حتى نعلمَ الطريقَ التي سلَكَها فيه، فربما كان فيه نهجٌ جديدٌ في التأليف، يخالفُ نهجَ معاصريه.

كتاب "شرح كتاب سيبويه"، في ثلاثةِ آلافِ ورقة بخطّه في السليماني وما عملَ مثله أحدٌ، كتاب "المدخل إلى كتاب سيبويه"، كتاب "شواهد كتاب سيبويه"، كتاب "الوقف والابتداء"، كتاب "ألفات القطْع والوصْل"، كتاب "أخبار النحْويِّين البصْرِيِّين"، كتاب "مقصورة ابن دُرَيْد"، كتاب "جزيرة العرب".

شعره ونثره:

لم يُرْوِ له المؤرّخون شيئًا من الشعر ولا الرسائل، لكنهم قالوا: إنه كثيرًا ما كان ينشد في مجالسه:

اسكنْ إلى سكنٍ تُسَرُّ بِهِ ... ذهبُ الزمانِ وأنت منفردُ

ترجُو غدًا وغدٌ كحامِلِهِ ... في الحيِّ لا يدْرُون ما تلِدُ

وكان بينه وبين أبي الفرجِ الأصْبهاني؛ صاحب كتاب الأغاني تنافسٌ وبغضاء، كما جرتْ العادةُ بمثله بين المعاصرين، فهجاهُ أبو الفرج، **قال**:

لستَ صدْرًا ولا قرأتَ على صَدْ ... رٍ ولا عِلْمُك البكيُّ بشافِ*

لعنَ اللهُ كلَّ شعرٍ وكلَّ نحْوٍ ... وعروضٍ يجيءُ من سِيرَافِ

وفاته:

توفي يوم الاثنين ثاني رجب من سنة ثمان وستين وثلثمائة في خلافةِ الطائِع، ودُفن في مقابِرِ الخيزُرَان.

الحسن بن بشر الآمدي
المتوفى سنة 371

هو أبو القاسِم الحسنُ بن بشرٍ الآمدِي، ذو الفهمِ الحسَن، والروايةِ الواسعة في علم الشعر ومعانيه.

---

* البكيّ: كثير البكاء.

مولده ونشأته:

هو آمديُّ الأصلِ، بصري المنْشأ، أخذَ العلمَ عن الأخفش والزجّاج وابن دُريد وابن السرَّاج، وإليه انتهتْ رواية الشعرِ والأخبارِ بالبصرة، وكان كثيرَ الشعر، جيّدَ الصنعةِ، مشتهرًا بالتشبيهاتِ النادرة.

أعماله:

كتبَ للقضاةِ من بني عبد الواحد بالبصرة، وكتبَ بمدينة السلام لأبي جعفر هرون بن محمد الضبّي زمنَ المقتدِر بالله وغيره من بعده، ثم لزِمَ بيتَه إلى أن مات.

شعره:

روى ياقوت في المعجم من قوله في ذم بعض القضاة:

رأيـتُ قلنسـوةً تستغيـ ـثُ من فوقِ راسٍ تنادِي خُذُونِي
وقد قلعت وهي طوْرًا تميـ ـلُ منْ عنْ يسارٍ ومنْ عنْ يمينِ
فطورًا تراها فُوَيْقَ القَفَا وطورًا تراها فوَيْق الجبينِ
فقلتُ لها أيّ شيءٍ دهاكِ؟ فردَّتْ بقولٍ كئيبٍ حزينِ
دَهَانِي أنْ لستُ في قَالبِي وأخْشى من الناسِ أن يُبْصِرُونِي

مؤلفاته:

كتابُ الموازنةِ بين أبي تمام والبحتري، وهو كتابٌ "حَسَنٌ" في بابه، طرقَ فيه بحوثًا كثيرة من صميمِ البلاغة، قد نقلَ عبدُ القاهر بعضًا منها في كتابِهِ أسرار البلاغة ، قال ياقوت في مُعْجمه: وقد عِيبَ عليه في مواضِع منه، ونُسِبَ إليه الميلُ مع البحْتري فيما أوردَه، والتعصُّبُ على أبي تمام فيما ذكرَهُ، وفريقٌ من الناس وافقَ

الآمديّ في حُكْمِه على كلا الـرجليْن، وفريـقٌ خـالف. وقـال إن أبـا القاسِـم جَـدَّ واجتهدَ في طمْسِ محاسِنِ أبي تمام؛ **وحسْبُك أنه بلغَ في كتابه إلى قول أبي تمام:**

أَصَمَّ بك الناعَي وإنْ كانَ أَسْمَعَا

وشرعَ في إقامـةِ البراهـينِ عـلى تزييـف هـذا الجـوْهَرِ الثمـينِ؛ فتـارةً يقولهـو مسْرُوقٌ، وتارةً يقولُ هو مرْذُولٌ، ولا يحتـاجُ المتعصِّـبُ إلى أكثـر مـن ذلـك، ولـو أنصفَ وقال في كل واحدٍ بقـدرِ فضـائِلِه؛ لكـان في محاسـن البُحْـتري كفايـة عـن التعصُّب بالوضْع من أبي تمام.

وقال أبو الفرج الببّغـاء: الآمـدي يـدَّعِي المبالغـات عـلى أبي تمـام، ويجعلُهـا استطرادًا لعيْبه إذا ضاقَ عليه المجالُ في ذمِّه؛ ألا تراهُ يقول عندما أورد قصيدته التي أولها:

مِن سجايا الطلُول ألا تُجِيبَا

خضّـبَت خـدّها إلى لؤلـؤِ العقــ ـدِ دمًا أن رأتْ شـواتي خَضِـيبَا

كـلُّ داءٍ يجْـرِى الـدواءُ لـه إلـــ ـــلاّ الفظيعَـيْن ميتـةً ومشِـيبَا

هذه من المبالغاتِ المسْرِفة. لكنها والله المبالغةُ التي يبلغُ بها السماء.

وفي هذا الكتاب يقول ابن الأثير في المثلِ السّائر: وما من تأليف في علم البيان إلا وقد تصفّحتُ شيْنَه وزينَه، وعلمتُ غثّه وسمينَه، فلم أجدْ ما ينتفعُ بـه في ذلـك إلا كتاب الموازنة لأبي القاسم الحسَن بن بشرٍ الآمـدي، وكتـاب سرّ الفصَـاحة لأبي محمد عبد الله بن سِنان الخفـاجِيّ، غـير أن كتـابَ الموازنـة أجمـعُ أصـولاً، وأجـدى محْصُولاً، وكتاب سر الفصاحة وإن نبه فيه على نكتٍ مُنيرة؛ فإنّه قد أكثرَ فيه ممـا قـلّ به مقدارُ كتابه من ذِكْر الأصواتِ والحروفِ. ولـه كتـاب "المختلـف والمؤتلـف في أسـماء الشـعراء"، وكتـاب "نثـر المنْظـوم"، وكتـاب "في أن الشـاعرين لا تتفـق

خواطِرهما"؛ كتاب "تبيين غلطِ قُدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر" ألفه لأبي الفضلِ محمد بن الحُسين بن العميد، وقد قرأهُ عليه، كتاب "معاني شعر البحتري"، كتاب "الردّ على ابنِ عمار فيما خطّأ فيه أبا تمام"، كتاب "فعلتُ وأفعلُ" وهو كتابٌ لم يصنّف مثله، كتاب "الخاصّ والمشترك"، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظِ والمعَاني التي تشتركُ العربُ فيها، ولا يُنْسبُ مستعملُها إلى السَّرِقة وإن كانَ قد سبقَ إليها، وبين الخاصّ الذي ابتدعَه الشعراءُ وتفرَّدُوا به، ومن تبِعهم وقصّر في إيضاحِ ذلك وتحقيقه، وكتاب تفضيل امرئِ القيسِ على غيره من الجاهليين.

وفاته:

توفي سنة إحدى وسبعين ومائتين هجرية.

محمّدُ بن عمران المرْزُبَانِيّ

المتوفى سنة 378هـ

هو أبو عبدِ الله محمّد بن عمرانِ المرزُبَاني؛ الرَّاوِيَة ألأخباري الثقة الصّدُوق، المصنّف لأخبارِ الشعَراء والأممِ والرّجال.

مولده ونشأته:

هو خُراسانِي الأصْل، بغْدادِي المَوْلد، حدّث عن عبد الله بن محمد البغَوِي، وأبي بكْر السّجْستَاني في آخرين، وروَى عن أبي بكر بن دُريد وأبي بكر بن الأنْبَاري، وروى عنه أبو عبد الله الصَّيْمَري، وأبو القاسم التنُّوخِي، وأبو محمد الجوهري.

مؤلفاته:

كان حسَنَ الترتيبِ لمصَنَّفَاته؛ حتى فضّلّه بعضُهم على الجاحِظ في جودةِ ترتيبِه، ومن أشهرِها كما قال صاحبُ المُعْجَم: المفضل في البيان والفصاحة نحو ثلثمائة ورقة، ولا ندري النَّهج الذي سَلَكه في تأليفه، فلا نستطيعُ أن نحكمَ عليه

حُكمًا صحيحًا (الموشَّح فيما أنكره العلماء على بعض الشعراءِ من كسر ولحْن، وعيوب الشعراء وهو مطبوع بمصر)، كتاب الشعر (جمع فيه فضَائِلَه، ومحاسِنَه، وأوزانَه، وعيوبَه، وأجناسَه، وضُرُوبَه، ومختارَه، وأدبَ قائلِيه، ومنشدِيه، وبيانَ منْحُولِه ومسروقِه؛ وقد نقلَ منه بعضَ فصولِ الإمامِ عبد القاهِر في أوائِلِ دلائلِ الإعجاز، كتاب أخبار الشعراءِ المشهورين والمُكْثِرين من المحدِّثين مع بيانِ أنسابِهم وأزمانِهم؛ ابتداءً من بشّار بن برد إلى عبدِ الله ابن المعتَزّ في عشرة آلاف ورقة، أخبار أبي تمام، أخبار أبي مسلم الخراساني، أخبار البرامكة، المُرْشِد في أخبار المتكلِّمين، المُشَرِّفُ في حِكَمِ النبي (ﷺ) وآدابِه، ومواعظِه، ووصايَاه، كتابُ المعْجم؛ ذكَرَ فيه الشعراءَ على حروف المعجم فيه نحو خمسةِ آلافِ اسم وهو في ألفِ ورقة، الرياض في أخبار المتيَّمِين من الشعراء الجاهليّين والمخَضْرَمِين والإسلاميِّين والمحدِّثين، كتاب ذمِّ الحِجَاب، كتاب الزهْد وأخبارِ الزهَّاد، كتاب الهدايا، كتاب المراثي، وقد عدَّ له ابنُ النديمِ في الفهْرست وياقوت في المعْجم كثيرًا من المؤلَّفَاتِ التي تدلّ على سَعَة الرِّواية، وكثرةِ البحثِ والاطّلاع؛ مما لم يسبقْ إلى مثْله، ولم يحُمْ أحدًا حوْله.

وفاته:

توفي يوم الجمعة ثاني شوال سنة ثمان وسبعين وثلثمائة هجرية، وصلى عليه أبو بكر الخوارِزْمي، ودُفن في داره بشارع عمْرو الرُّومي ببغداد في الجانبِ الشرقِي، وقد كانَ مُعاصِرًا لُمحَمد بن إسحاق النديم؛ صاحبِ الفهْرست.

تنبيه:

قال ابن الجواليقي في كتاب المُعرب والدّخيل: المرزبان بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي: الرجل العظيم المُقَدّم، وتفسيرُه بالعربيّة حافظُ الحدِّ.

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري
المتوفى سنة 395هـ

هو الحَسَنُ بنُ عبدِ الله بن سعدٍ العَسْكَرِي[1]، الأديبُ اللغـويُّ الشـاعر العـالمُ الفقِيه، كان تلميذَ خالِه أبي أحمد العسكري الذي اتَّفَق معه في اسمه واسم أبيه.

مؤلفاتـه:

كتاب [الصناعتين] صناعتيْ النثرِ والنظمِ، وهو الكتابُ الذي طبقت شهرتُهُ الخافقيْن، وأصبحَ عمدةً من بينِ كتبِ الآدابِ، كتاب أعلام المعاني في معـاني الشِّـعر وهو مطْبُوعٌ بمصر، كتابُ جمهرّةِ الأمثالِ وهو مطبوعٌ بها مع أمثالِ الميدانِي، كتابُ ما تلحنُ فيه الخاصّة، كتابُ معاني الأدب، كتاب من احتكَمَ مـن الخلفـاءِ إلى القضـاةِ، كتاب التلخيصِ في اللغَة وهو كتابٌ مختصرٌ مفيدٌ، كتابُ المحاسنِ في تفسيرِ القـرآن الكريم في خمسة أجزاء، كتاب شرْح الحَمَاسَة، كتاب نوادر الجمْعِ والواحِـدِ، كتـاب التبْصِرَة، كتاب ديوان شعره، كتاب الدّرْهم والدينار، كتاب الأوائل.

صناعتـه:

كان على جلالة قدره في الأدب والعلم، يبيع البزَّ في الأسواقِ ترفعًا بنفسه عن التبذُّل والدناءةِ، وفي ذلك يقول:

جُلوسِيَ في سوقٍ أبيعُ وأشـترِي	**دليـلٌ عـلى أن الأنـامَ قُـرُود**
ولا خيرَ في قـومٍ تـذلُّ كِـرَامُهم	**ويعظـمُ فـيهِمُ نـذْلُهمْ ويَسُـودُ**
ويهجُوهم عنِّـى رثَاثَـةُ كُسْـوَتِي	**هجـاءً قبيحًـا مـا عليـهِ مزيـدُ**

(1) نسبة إلى عسْكر مكرم؛ مدينة بالأهواز تسمى عسكر مكرم، وهو مكرم الباهلي الذي اختطها فنُسِبَتْ إليهِ.

شعـره:

من ذلك قولُه في شكْوى الزّمَان والإخوان:

إذا كانَ مـالي مـالُ مـن يلقـطُ العجَـمْ وحالي فيكم حالُ مَنْ حاكَ أو حَجَمْ

فــأينَ انتفــاعِي بالأصــالةِ والحَجَــا وما ربِحتْ كفّي من العلْمِ والحِكَمْ؟

ومنْ ذا الذي في الناسِ يبصـرُ حـالتِي فــلا يلعــنُ القرطــاسَ والقَلَــمِ؟

وقوله في الغزل، وقد أنشدَهُ في كتابه الصناعتين:

زعــمَ البنفْسِــجُ أنَّــه كعِــذَارِهِ حســنًا فَسُــلُّوا مــن قَفَــاه لسَــانَهُ

ولبعضهم يمدحُ كُتُبَ أبي هلال:

وأحسـنُ مـا قـرأتَ عـلى كتـابٍ بخـــطِّ العسْــكريّ أبي هِـــلالِ

فلــوْ أنّي جُعِلــتُ أمــيرَ جــيْشٍ لَمَــــا قاتلــــتُ إلا بالســــؤالِ

فـــإن النـــاسَ ينهزمُـــون مِنْـــه وقــد ثبَّتُــوا لأطــرافِ العَــوَالي

وفـاتـه:

قال ياقوت في المعْجم – لم يبلُغنِي فيها شيءٌ، غير أنّي وجدتُ في آخـر كتـابِ الأوائل من تصنيفه، وفرغنا من إبلاء هذا الكتاب يوم الأربعـاء لعشرـ خلـت مـن شعبان سنة خمس وتسعين وثلثمائة.

أبو منصور الثعالبي
المتوفى سنة 429

هو أبو منصور عبدُ الملِك بنُ محمدٍ بن إسماعيل الثّعّالِبي[1] النيسابوري؛ صاحب يتيمة الدهر.

مولِدُه:

كانت ولادتُه بمدينةِ نيسابُور سنة خمس وثلاثمائة، وتلقّى العلمَ عن مشهوري علماءِ عصْره، وجابَ في طلبِهِ الأصقاعَ والبقاعَ، وحصَّل من العلمِ ما جعلَهُ مضربَ الأمثالِ، وإليه تُشَدُّ الرِّحال، وجمَعَ أشتاتَ النثر والنظم، وصار رأسَ المصنِّفين في زمانِه، وطلعتْ كتبُه في المشارق والمغارِب، طلوعَ النجمِ في الغياهِب.

شعره ونثره:

له النثرُ البديعُ والرسائلُ الجيدةُ التي تشهدُ بعلوِّ كعْبِهِ في الأدبِ، وسعةِ اطلاعِهِ على منثورِ كلامِ العربِ ومنظومِهِ، كما لهُ الشعرُ الرصينُ الدالُّ؛ على طولِ الباعِ، ونفاذِ القريحةِ، وشدةِ العارِضة، **فمن ذلكَ ما كتبَ به إلى الأمير أبي الفضل الميكالي:**

لكَ في المفاخِرِ معجزاتٌ جَمَّةٌ — أبدًا لغيرِكَ في الورَى لم تُجْمَعِ

بحرانِ بحرٌ في البلاغَةِ شابَهُ — شعْرُ الوليدِ وحُسْن لفظِ الأصْمَعِي

وترَسُّل الصَّابي يزين علوّه — خطُّ ابن مقلَة ذو المحلِّ الأرفَعِ

كالنورِ أو كالسَّحْرِ أو كالبَدْرِ أوْ — كالوشْيِ في بُرْدٍ عليهِ مُوَشَّعِ

---

(1) نسبة إلى خياطة جلود الثعالب لأنه كان فراء.

وله في وصف فرس أداه إليه ممدوحه:

يــا واهــبَ الطــرفِ الجــوادِ كــأنما ... قـــد أنعَلُـــوهُ بالريـــاحِ الأربـــعِ
لا شيءَ أسرع منـــه إلا خـــاطِري ... في وصــفِ نائِلِـك اللطيـفِ الموقـعِ
ولـــو أنني أنصــفتُ في إكرامِــهِ ... لجــلالِ مُهْدِيــهِ الكــريمِ الألَمَعِــي
أقضـــمتُهُ حـــبَّ الفـــؤادِ لحُبِّـــهِ ... وجعلــتُ مَرْبَطَــهُ ســوادَ الأدْمُــعِ
وخلعــتُ ثــم قطعــتُ غــير مضــيِّعٍ ... بُـــرْدَ الشـــبابِ لجُلّـــهِ والبرقُـــعِ

تواليفه:

له مؤلفات جيدة الوضع، حسنة الترتيب منها فقـهُ اللغـةِ وسرُّ العربيـة، وفي قسمه الثاني جرى مجرى أبي عبيدة في كتابِ مجـاز القـرآن، وكتـاب يتيمـة الـدَّهر في محاسِن أهلِ العصْر، وهو أجلُّها وأكبرُها، وفيه يقول:

أبيـــــاتُ أشـــــعارِ اليتيمَـــــهْ ... أبكـــــارُ أفكـــــارٍ قديمـــــهْ
مـــــاتُوا وعاشـــــتْ بعـــــدَهُمْ ... فلـــــذاك سُـــــمِّيَتِ اليتيمَـــــهْ

ومنها: كتاب مُؤْنِس الوحِيد، ومن غابَ عنه المُطْرب، وشيءٌ كثيرٌ غيرها.

وفاتـه:

توفي سنة تسعٍ وعشرين وأربعمائة هجرية.

ابن رشيق القيرواني
المتوفى سنة 463

هو الحسنُ بن رشيقٍ القيرواني الأزدِيّ، الأديبُ الشاعرُ النحويُّ اللغويُّ العَرُوضِيُّ، الحسنُ التصنيفِ والتأليفِ.

مولدُه ونشأتُه:

ولد بالمُحَمديَّة سنة تسعين وثلاثمائة، من أبٍ مملوكٍ روميٍّ من موالي الأزد يشتغل بالصِّيَاغةِ، فعلَّمهُ أبوه صنْعّته، ثم قرأ الأدبَ بها على أبي عبد الله بن جعفر القزاز القيرواني النحوي اللغوي، وعلى غيره من أهلِ القيروان، وقال الشعرَ، وتاقت نفْسُه إلى التزيُّد منه، فرحَل إلى القيروان لملاقاةِ أهلِ الأدب بها؛ ولمَّا حطَّ رحالَه بها؛ اشتهرَ وذاعَ صيتُه ومدحَ صاحبها المعزَّ بن باديس بن المنصور سنة 410هـ، ولم يزلْ بها إلى أن هجَم عليها العربُ وقتلوا أهلَها وخرَّبوها، فانتقلَ إلى قريةٍ بجزيرة صقلّية، وأقام بها حتى مات.

مُهاجَاتُه لابن شرفٍ القيرواني:

كان بينَه وبينَ عبدِ الله بن أبي سعيد؛ المعروف بابن شرفٍ القيرواني مناقضاتٌ ومُهَاجاةٌ، وصنَّفَ رسائِلَ عدَّة في الرد عليه، منها رسالة تسمى بساجور الكلب*، ورسالة نجح الطلب، ورسالة قطْع الأنفَاس، ورسالة نقْض الرسالة الشَّعْوَذِيَّة، والقصيدة الدعيَّة، والرسالة المنقوضَة، ورسالة رفْع الإشْكال ودفْع المُحَال، ومما ذكره في الرد عليه قوله في نَسَب ابن شرف: "إن شرف هو اسمُ امرأةٍ نائحةٍ، ثم قال: وأما أنا فنضَّر الله وجهَ هذا الشيخِ فيّ، وأتَمَّ به النعمَةَ عليَّ، فما أبْغِي بأبي أبًا، ولا أرضَى بمذهبِهِ مذْهَبا رضيتُ به رُوميًا لا دَعيًا ولا بِدْعِيًا.

* الساجور: القلادة التي توضع في عنق الكلب.

مؤلفاته:

له كتاب أَنْمُوذج الشعراء ذكر فيه شعراءَ القيروان، ورسالة قُراضة الذهب، والعُمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه؛ وهو كتابٌ جيدُ النسْجِ والحَوْك، ذكَرَ فيه مسائل من عيونِ مباحث البلاغة بديعها وبيانها. وعلى الجملة فمؤلفاتُه تشهدُ بتبَحُّرِه في الأدب، وسَعةِ اطلاعه على لغةِ العرب، وشدةِ عارضَتِه في النَّقْد.

شعره:

من ذلك قوله يمدح المعز بن باديس:

ذُمَّتْ لعينِكَ أعينُ الغِزلانِ ... قمرٌ أقرَّ لُحسْنِه القَمَرَانِ

ومشَتْ ولا واللهِ ما حِقْفُ النقَا ... مِمَّا أرَتْكَ ولا قضُبُ البانِ

وَثَنُ الملاحَةِ غيرَ أن ديَانَتِي ... تَأْبَى عليَّ عبادةَ الأوثانِ

وقوله في الغزل:

وقائلةٍ ماذا الشحُوبُ وذا الضَّنَى ... فقلتُ لها؛ قولَ المشوقِ المُتَيَّمَ

هواكَ أتانِي، وهوَ ضيفٌ أعزُّهُ ... فأطعَمْتُهُ لحْمِي، وأسْقَيْتُهُ دَمِي

وقوله أيضًا:

ومن حسناتِ الدهرِ عندِي ليلةٌ ... من العمْرِ لم تتركْ لأيامِنَا ذنْبَا

خلوْنَا بها ننفْي القذَى عن عيونِنا ... بلؤلؤةٍ مملوءةٍ ذهبًا سَكْبَا

ومِلْنَا لتقْبِيلِ الثغورِ ولثْمِها ... كمثْلِ جُنُوحِ الطيرِ يلتقطُ الحَبَّا

قال الأَبِيوَرْدِي هذا أَحْسَنُ من قولِ ابن المعتز:

كَمْ مِنْ عِنَاقٍ لنَا ومِنْ قُبَلٍ ... مختلسَاتٍ حذارَ مُرْتَقِبِ
نقْرُ العَصَافيرِ وهي خائِفَةٌ ... مِن النَّواطِيرِ يانعُ الرُّطَبِ

ولهُ- وقد كَبُر وضَعُف مشْيُهوهو معنى بديع:

إذا مَا خفَفْتُ كعهْدِ الصِّبَا ... أَبَتْ ذلكَ الخمْسُ والأربعُونا
ومَا ثَقُلَتْ كِبْرًا وطْأَتِي ... ولكن أجرُّ ورائِي السِّنِينَا

وفاته:

اختلُفَ في وفاتِه، فقيلَ إنه مات بالقيروان سنة 456 عن ستٍ وستين سنة، وقيل إنه ماتَ بمازرٍ من جزيرةِ صقلّية، سنة ثلاثٍ وستين وأربعمائة.

ابن سنان الخفاجي الأمير
المتوفى سنة 466هـ

هو عبدُ الله بن محمّد بن سعيد بن سِنَان أبو مُحَمَّد الخفاجِيّ؛ الشاعرُ الأديبُ البليغُ الشيعيُّ الحلَبِيُّ.

مؤلفاته:

له في البلاغةِ كتابُ (سرّ الفصَاحة)، وهو من أحسَنِ ما ألّفَ فيها، وفيه يقولُ صاحبُ المثل السائر: وما مِنْ تأليفٍ إلا وقد تصفَّحْتُ شَيْنَهُ وزيْنَهُ، وعلمتُ غثَّهُ وسمِينَهُ، فلم أجِدْ ما ينتفعُ به في ذلك إلا كتاب المُوَازَنة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، وكتاب سرّ الفَصَاحة لأبي محمد عبد الله بن سِنَان الخفاجِيّ، وقد نقَدَه في جملةِ مواضِعَ منه، وله ديوانُ شعْر متوسّط الحجْم، وكلا الكتابينِ مطبوعٌ مُتَدَاوَلٌ.

شعره:

له شعرٌ يكادُ يسيلُ رقَّةً وظَرْفًا، ومن ذلك قوله:

بقيتُ وقد شطَّت بِكُمْ غُرْبَةُ النَّوَى — وما كنتُ أخْشَى أنِّني بعدَكُم أبْقَى

وعلَّمْتُمُونِي كيفَ أصْبِرُ عَنْكُم — وأطْلُبُ من رِقِّ الغَرَامِ بكم عِتْقَا

فما قلتُ يومًا للبكاءِ عليْكُم — رويْدًا؛ ولا للشوقِ بعْدَكُم رِفْقًا

وما الحُبُّ إلا أنْ أَعُدَّ قَبِيحُكُم — إليَّ جميلاً والقِلا مِنْكم عِشْقًا

وقوله:

ما على محْسِنكم لوْ أحْسَنا — إنما نطلبُ شَيئًا هيِّنَا

قد شَجَانا البأْسُ من بعْدكم — فأدْرِكونا بأحاديثِ المُنَى

وعِدُوا بالوصْلِ من طيْفِكُم — مقلةً تنكَّر فيكُم وَسَنَا

لا وَسِحْر بين أجْفَانِكم — فتنَ الحبُّ بهِ منْ فتِنَا

وحديثٌ من مواعِيدِكم — تَحْسُدُ العينُ عليهِ الأُذُنَا

ذكاؤه وفطنته:

كان أميرًا على بعضِ ولاياتِ حلب؛ لدى السلطان محمود بن شبل الدولةِ نصر بن صالح بن مرْدَاس الكلابي صاحِب حلب، فعصَى السلطانَ واعتصَمَ بقلعةِ عِزار من أعمالِ حلب، وكان بينَهُ وبينَ الوزير أبي نصر بن النحاس مودةٌ صادقةٌ، فأمرَهُ السلطانُ أن يكتبَ إلى الخفاجي كتابًا يستعطفُهُ ويؤْنِسُه، وقال له إنه لا يأمنُ إلا إليْك، ولا يثقُ إلا بك، فكتبَ إليهِ كتابًا، فلما فرِغَ منه وكتبَ (إن شاء الله) شدَّد النُون من إن، فلما قرأه الخفاجي خرج من عزار قاصدًا حلب؛ وبينما هو في الطريق

أعاد النظر في الكتاب ورأى التشديد على النون، فأمسك رأس فرسه وفكر طويلاً، وقال إن ابنَ النحَّاس لم يكتبْ هذا عبثًا، ثم لاحَ له أنه أراد ﴿..إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ..﴾ [سورة القصص: الآية 20]* فعادَ على عِزار وكتبَ الجواب (أنا الخادم أعترف بأنعام) وكسر الألف من إنَّا وشدَّد النون وفتحَها، فلما وقف نصر على ذلك، سُرَّ وعلم أنه قَصَد به ﴿..إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ..﴾ [سورة المائدة: الآية 24]** وكتب إليه جوابًا يستصوبُ رأيه، فكتب إليه الخفاجي:

خفْ من أمِنْتَ ولا تركنْ إلى أحَدٍ ... فما نصَحْتُك إلا بعدِ تجْرِيبِ

إن كانت التُّرْكُ فيهم غيْرَ وافيةٍ ... فما تزيدُ على غدرِ الأعاريبِ

تمسَّكُوا بوصايا اللُّؤْمِ بينهُم ... وكادَ أن يدرُسُوها في المحَارِيبِ

وفاته:

توفي مَسْمُومًا سنة ستٍّ وستين وأربعمائة، دسَّ له ابن النحاس السُّم في الطعام بعد أن توعَّدهُ السلطان أنه إن لمْ يقْتُلْهُ قتلَه، فقَدَّم إليه خُشْكُنانة مسمُومَةً فأكَلَها فقضَى نحْبه.

عبد القاهر الجرجاني
المتوفى سنة 471هـ

هو أبو بكر عبدُ القاهِر بن عبد الرحمن الجُرْجَاني؛ الإمامُ النحوي المتكلمُ على مذْهب الأشْعَرِي، الفقيه الشافعي، واضعُ أسس البلاغة والمشيدُ لأركانها، وفاتحُ مغلَقِ أبوابَها، وكاشفُ خبيئها، وموضحُ مشكلاتها؛ وعلى نهجه سار المؤلفون بعده، ونهِلوا من مَعِينه، واغترفُوا من بحره، وأتمُّوا البنيانَ الذي وضَع أسُسَه.

* سورة القصص: 20.
** سورة المائدة: 22.

وقد استطاع ذلك بما آتاهُ الله من قريحةٍ وقَّادَة، وعقلٍ فياضٍ، وقلمٍ سيال، وفكرٍ غوَّاصٍ على دقائقِ المعاني التي خفيَتْ على غيره الأحقاب الطوال؛ ومن ثمَّ قال صاحبُ الطِّرَاز يحيى بن حمزة العلوي المتوفى سنة 749هـ: إن عبدَ القاهر أول من أَسَّسَ قواعدَ هذا العلم، وأوضحَ براهينَه، ورتَّبَ أفانينَه، وفتَّحَ أزهارَه من أكمامِها، وفتق أزرارَهُ بعد اسْتِغْلاقِها واستبهامِها، بكتابيه [دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة] ولم أقفْ على شيءٍ منهما، مع شغَفِي بحبَّهما، وشدَّة إعْجَابي بهما، إلا ما نقلَهُ العلماءُ في تعالِيقِهم منهما.

تواليفُه:

له أسرارُ البلاغَةِ ودلائلُ الإعجاز، في علوم البلاغة، وشرحُ الإيضاح لأبي على الحسن بن حمد الفارسي؛ وسمَّاهُ [المغني] وهو في ثلاثين مجلدًا، واختصرَهُ بشرْح سمَّاهُ [المقتصِد] في ثلاثِ مجلّدات، إعجاز القرآن الكبير والصغير، كتاب الجمل، كتاب العوامِل المائة، كتابا المفتاح والعُمْدة وهما في التصريف، وتفسير الفاتِحة في مجلده، كتاب في العروض، والتلخيص وشرحه.

شعرُه:

يدلُّنَا التاريخُ القديم والتاريخُ الحديث على أنه قَلَّمَا يجتمعُ النظيم والنثير لشخصٍ واحدٍ على طريقِ التقارب أو الاعتدال، فنحن أولاء نرى في عصرنا الحاضرِ شوقيًا الشاعر ليس كشوقي الكاتب، وحافظًا الكاتب لا يداني حافظًا الشاعِر، والأمرُ بعينِه في نثر الجاحِظ وشعره، وشعر عبد القاهر وكتابته، فشعرهما إذا قيس بنثرهما كان ذا في الثُّرَيَّا وذاك في الثَّرَى. انظرْ إلى ما رواهُ الرواة لعبدِ القاهِر من الشعر تحكُمُ بصدْقِ قضيّتِنا؛ فمن ذلك قوله:

لا تأمَنِ النَّفْثَةَ منْ شاعرٍ ... ما دام حيًا سَالمًا ناطقًا

فإن من يمْدَحُكُم كاذِبًا ... يحسُن أن يهْجُوَكُم صادقًا

وقوله:

كَبِّرْ على العلمِ يا خليلي ... ومِلْ إلى الجهْلِ ميْلَ هَائِمِ

وعِشْ حِمَارًا تعِشْ سعيدًا ... فالسَّعدُ في طالعِ البهَائِمِ

وقوله: وقد كتبه في المدخل في أوائل دلائل الإعجاز:

إني أقولُ مقالاً لستُ أخْفِيهِ ... ولستُ أرهَبُ خَصْمًا إنْ بَدا فيهِ

ما من سبيلٍ إلى إثباتِ معجزةٍ ... في النظْمِ إلا بما أصبحتُ أبْدِيهِ

فما لنَظْمِ كلامٍ أنتَ ناظمُهُ ... معنًى سوى حكْمِ إعرابٍ تُزَجِّيهِ

وفاته:

اختلف في سنة وفاته، فالمشهور أنها سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقيل سنة أربع وسبعين.

محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِي
المتوفّى سنة 538هـ

هو أبو القاسم محمود بن عُمر الزَّمَخْشَرِي؛ الملقَّب بجار الله، وبفخر خُوَارزم؛ الإمامُ الكبير في التفسير والنحو واللغة والأدب، المفتنُّ في شتَّى الفنون، القويُّ العارِضة في الجدَلِ والبحثِ، المعتزليُّ العقيدة، الحنفيُّ المذهب.

مولده ونشأته:

وُلِد بزمَخْشَر من أعمال خُوَارزم يومَ الأربعاء السابع والعشرين من رجب، سنة سبع وستين وأربعمائة، ولما ترعْرَع وشدَا أخذَ الأدب عن أبي مضر محمود بن

جرير الضَّبِّي الأصْفَهَاني، وأبي الحسن على ابن المظفَّرِ الَّنيْسَابُوري، وسمِعَ من شيخ الإسلام أبي منصور الحارثي، ومن أبي سعيد الشَّقَّاني[1] في جماعةٍ آخرين.

وأصابتْه كارثةٌ كانتْ سببًا في قطعِ رجْلِه واختُلفَ فيها؛ فنقل عنه أنه قال: حينما رحلتُ إلى بخارى في طلبِ العلم سقطتُ عن دابَّتِي في أثناءِ الطريقِ، فانكسرتْ رجْلي وأصابَني من الألم ما أوجبَ قطْعَها؛ وقيل أصابه بَرَدُ الثلجِ في بعض أسفارِه بنواحي خُوارزم فسقطتْ رجلُه، وقيل أصابه خُرَّاجٌ في رجْلِه فاضطرَّ إلى قطعها واتخذَ رجْلاً من خشَبٍ، وكان إذا مَشَى ألقَى عليها ثيابَهُ الطوال فيظُنُّ من يراهُ أنه أعْرجُ.

رحلاته:

سافر إلى مكةَ وجاورَ بها زمانًا حتى لُقّب بجار الله، وأصبح هذا الاسم علمًا عليْه، وورد بغدادَ غير مرة، وقابلَهُ في إحداها الشريفُ أبو السعاداتِ هبةُ الله بن الشَّجَرِي مهنئًا له بالقدُوم، فلما جلسَ إليه أنشدَهُ متمثلاً:

كانتْ مُسَاءَلَةُ الركْبَانِ تُخْبِرُني عن أحمد بن داود أطيبَ الخبرِ

حتى التقينَا فلا واللهِ ما سمعتْ أذْني بأحسَنَ ممَّا قدْ رأَى بَصَرِي

وأنشدَه أيضًا:

وأستكْثِرُ الأخبارَ قبل لقائِهِ فلـمَّا التقيْنَا صغَّرَ الخبَرَ الخُبْرُ

وحين أتمَّ كلامَه شكرَه، وعظَّمَه وتصاغَرَ له، ثم قال: إن زيدَ الخيل دخل على رسول الله (ﷺ)، فلما بصَر بالنبي رفعَ صوتَه بالشهادتين، فقال له: يا زيد الخيل: كلُّ رجلٍ وصفَ له وجدتُه دونَ الصفةِ إلا أنت، فإنك فوقَ ما وُصِفْتَ، وكذلك سيدنا الشريف، ثم دعَا له وأثْنَى عليه.

---

(1) شقان: قرية من قرى نيسابور.

نثيره:

قال في كتابه: أطواقُ الذَّهَبِ : استمْسِكْ بحبل مُوَاخِيك ما اسْتَمْسَك بأوَاخِيك، واصْحبه ما صَحِب الحقَّ وأذْعَن، وحلَّ مع أهلِه وظَعَن؛ فإن تنكرَتْ أنْحَاؤُه، ورشَحَ بالباطِل إناؤُه، فتعوّضْ عن صُحْبته، وإن عوّضت الشِّسْع، وتصرَّفْ بحَبْلِه ولو أُعطِيتَ النَّسْع، فصاحبُ الصِّدْق أنفعُ من الترياقِ النافعِ، وقرينُ السوءِ أضرُّ من السُّمِّ الناقِع.

وقال: الدنيا أدوارٌ، والناسُ أطوارٌ، فالبسْ لكلِّ يومٍ بحسبِ ما فيه من الطوارِق، وجانِسْ كلَّ قومٍ بقدْر ما لهُم من الطرائِقِ، فلن تجرِيَ الأيامُ على أمْنِيَّتك، ولن تنزِلَ الأقوامُ على قضِيَّتِك.

وقال: لا تقنعْ بالشرفِ التالِدِ، فذلك الشرفُ للوالد، واضمُمْ إلى التالد طريفًا، حتى تكونَ بهما شريفًا، ولا تدلَّ بشرفِ أبيك، ما لم تدلَّ عليه بشرف فيك.

وقال: كبَّ اللهُ على مناخِرِه، من زكَّى نفْسه بمفاخِرِه، على أنه ربُّ مساخِر، يعُدُّهَا الناسُ مفاخِر.

وقال: ما لعلماءِ السوءِ جمعوا عزائم الشَّرْع ودَوَّنُوها، ثم رخَّصُوا فيها لأمراءِ السُّوء وهوَّنُوها؟ إنما حَفِظوا، وعلَّقُوا، وصفَّقُوا، وحلَّقُوا ليُقْمِرُوا المال وييْسَرُوا، ويُفْقِرُوا الأيتامَ ويُوسِرُوا. أكمامٌ واسعةٌ، فيها أصلالٌ لاسِعَة، وأقلامٌ كأنَّها أزلامٌ، وفتوى يعْمَلُ بها الجاهِلُ فيثوي*.

نظيمه:

من ذلك قول في الغزل:

* يصف الزمخشري علماء السوء وتهافتهم لإرضاء ذوي السلطان من أجل جمع المال، فيشير إلى تقديم الرخص على العزائم، أو تحويل العزائم التي هي واجبات وفرائض إلى مستحبات وفضائل، وقوله "ليقمروا المال" أي ليكثروا منه. ويشير إلى الأكمام الواسعة بالملابس الفخمة التي يرتديها علماء السوء، والأصلال اللاسعة، بالحيات، التي تلدغ، ويشبه الأقلام بالأزلام أي السهام التي يستهم بها في الأقداح، والفتوى الخطأ التي يعمل بها الجاهل، فتقوده إلى الهلاك.

لم يبْكِنــي إلا حــديثَ فِـراقِكم ... لَمَّـــا أسرَّ بـــهِ إلى دُمُـــوعي

هو ذلـك الـدرُّ الـذي أوْدعْـتُم ... في مَسْمَعِي أجرَيْتُه مـن مُـدْمَعِي

وقوله في رثاء شيخه أبي مُضَر المتقدِّم ذكرُه:

وقائلــةٍ مــا هــذه الــدُّرَرُ التــي ... تسَّاقطُ منْ عينَيْكَ سِمْطَيْنِ سِـمْطَيْنِ

فقلتُ هـو الـذي كـانَ قـد حشَـا ... أبو مُضَـرٍ أذنـى تسَّـاقَطُ مـن عيْنِـي

تصانيفُه:

له التصانيفُ البديعَةُ التي تدلُّ على سعةِ البال، وواسِع الاطّلاع، مـن ذلـك، وهو أجلُّها تفسيرُ الكشَّاف، وهو فيه نسيج وحـده، لم يؤلّـف أحـدٌ قبلَـه ولا بعـدَه مثله، حتى ساغَ له أن يقول في وصفه:

إن التفاسـيرَ في الـدنيا بــلا عَــدَدِ ... ولـيس فيهـا لعَمْـرِي مثـلُ كَشَّـافِي

إن كنتَ تبغِي الهُـدى فـالزمْ قراءَتـهُ ... فالجهلُ كالداءِ والكشَّـافُ كالشَّـافِي

والفائقُ في غريبِ الحديث. أطواقُ الذهبِ في المواعِظِ. مقاماتٌ في المـواعظ. شرحُ هذه المقامات. شافي العَيِّ من كلامِ الشّافِي. شقائقُ النُّعْمان في حقائقِ النعمان في مناقبِ أبي حنيفة. المنْهَاجُ في الأصولِ. الرائضُ في علمِ الفرائض. المفصَّلُ في النَّحْو، وقد شرعَ في تأليفِه في غرة شهر رمضان سنة ثلاثَ عشرةَ وخمسـمائة، وفـرغَ منـه في غرة المحرم سنة 515.

وقد اعْتَنَى بشرْحِه خلقٌ كثيرٌ منهم المصنّف، والأنمُـوذج في النحـو، والمفـرد والمؤلّف في النحو، القسطاسُ في العَرُوض، أساسُ البلاغة في اللغة، جواهرُ اللغـة، مقدمـةُ الأدبِ في اللغّـة، كتـابُ الأسـماءِ في اللغـة، سـوائرُ الأمثـال، المُسْتقصى ـ في

الأمثال، ربيعُ الأبـرار في الأدب والمحـاضرات، أعجـبُ العجـب في شرحِ لاميـةِ العرب، ديوان خُطَب، ديوان رسائل، ديوان شعر.

وفـاتـه:

توفي بقصبةِ خُوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بعد رجوعِـه مـن مكة، وقد أَوْصَى أن يُكْتبَ على لوحِ قبره:

يامنْ يَرَى مَدَّ البعوض جناحَها　　في ظُلمـةِ الليـلِ البهـيمِ الأَلْيـلِ

اغفـرْ لعبـدٍ تـابَ مـن فَرطاتِـهِ　　مـا كـانَ منْـهُ في الزمَـانِ الأَوَّلِ

ورثاهُ بعضهم بأبيات من جملتها:

فأرضُ مكةَ تُذْرِي الدمْع مقلتها　　حزنًـا لفرقـة جـار الله محمـود

مجدُ الدينِ بن منقذٍ الشَّيْزَرِي
المتوفّى سنة 484

هو مجدُ الدين مؤيّد الدّولَة بنُ أسامة بن مرشدٍ بن منقذٍ أبي المظفر الشَّيْزَرِي[1] الكلْبِيّ المالكِيّ، مؤلفُ كتاب [التفريع في البديع] رتّبه على خمسةٍ وتسعين بابًا، أولها أجناسُ التَّجْنِيسِ، وآخرُه بابُ التهذيبِ والترتيب.

وفـاتـه:

توفّي ليلةَ الثلاثاءِ الثالثِ والعشْـرين مـن شـهرِ رمضـان سـنة أربـعٍ وثمانـين وخمسمائة.

(1) منسوب إلى قلعة شيزر بالشام.

أبُو عبدِ اللّه محمَّد بن عمر فخْر الدين الرَّازِي
المتوفّى سنة 606

هو أبُو عبدِ الله محمد بن عمر بن الحُسَين الطَّبَرِسْتَانِي الرَّازِي؛ الملقَّبُ فخرُ الدينِ المشهورُ بابن الخطيب، الفقيهُ الشافعيُّ الفريدُ في عصره، الفائقُ أهل زمانِه في علْمِ الكلامِ والعلومِ العقليةِ والنقليةِ.

مولده:

وُلِد سنة أربعٍ وأربعين وخمسمائة بالرِّي، وطلبَ العلمَ على والِده، ثم قصَدَ الكَمَالَ السَّمْعَانِيّ واشتغَلَ عليه مُدَّة، ثم عادَ إلى الرِّي، واشتغل على المجدِ الجليلي، ثم قصدَ خُوارزم، وقد مهَرَ في مختلف الفنُون؛ فاشتدَّ الجدلُ والبحث بينه وبين أهلِها في المسائلِ الاعتقاديَّةِ، فأُخْرِجَ من البلد، ثم قصدَ ما وراء النهر، وهناك جَرَى له مثل ما جرى في خُوارزم، فعادَ إلى الرّي، وكان بها طبيبٌ حاذقٌ ذو ثروةٍ ونعمةٍ، فزوَّج بنتيه لابني فخرِ الدين ثم ماتَ الطبيبُ، فاستولى فخر الدين على أموالِهِ، وكثُرَت لديْهِ النعْمَةُ الواسِعة، واتصَلَ بالسلطانِ محمد بن تكْسَن المعروف بخُوَارِزْم شاه، فحظِيَ عنده بأسْمَى المراتِب، ولم يبلغْ أحَدٌ عندَه منزلته.

منزلتُه وفضلُه:

كان خطيبًا مفوهًا، وواعظًا مُدرهًا، باللسانين العربي والفارسي، كثيرُ البكاءِ في مواعظِه، يسأَلُهُ أهلُ المذاهبِ والنِّحَل بمدينة هَرَاة؛ فيجيبُهم بأحسنِ الجواباتِ؛ وبِحُسْنِ إقناعِه رجَعَ خلقٌ كثيرٌ من الطائفةِ الكراميةِ إلى مذهب أهلِ السُّنَّةِ، ولقِّبَ في هراة شيخ الإسلام، وقصدَهُ العلماءُ من كل صوْبٍ، وشدَّتْ إليه الرحالُ من جميع الأقطار.

شعره:

له شيءٌ من النظْمِ المتوسّط الرُّتْبة، فمن ذلك قوله في العِظَة:

نهايــةُ إقــدامِ العقــولِ عقــالُ وأكثــرُ ســعْيِ العــالمينَ ضــلالُ
وأرواحُنا في وحشةٍ من جُسُومِنا وحاصــلُ دنيانَــا أذًى ووبَــالُ
ولم نستفدْ من بحثِنا طولَ عُمْرِنـا سوى أن جَمعنـا فيـه قيـلٌ وقـالُوا
وكمْ قد رأيْنا مـن رجـالٍ ودولـةٍ فبـادُوا جميعًـا مُسـْرِعِين وزالُـوا
وكم من جبالٍ قد علتْ شُرُفاتِهـا رجــالٌ فزالُــوا والجبــالُ جبــالُ

ومدحه شرفُ الدين بن عنين بقصيدةٍ منها:

ماتــتْ بــه بــدعٌ تمــادَى عُمْرهــا دهــرًا وكــادَ ظلامُهــا لا يــنْجَلِي
فَعَــلا بــه الإســلامُ أرفــعَ هضــبةٍ ورسَا سِواهُ في الحضيضِ الأسفلِ
لــو أن رسْــطالِيسَ يســمعُ لفظــةً مــن لفظِــهِ لعرَتْــهُ هــزَّةُ أفكِــلِ
ولَحَارَ بطليمــوسُ لــو لاقــاهُ مــن برهانِــهِ في كــل شــكْلٍ مُشْــكِلِ
ولــو أنهُــم جمعُــوا لديْــهِ تيّقنُــوا أن الفضــيلةَ لمْ تكُــنْ لــلأوّلِ

مؤلفاته:

له مؤلفات في كثيرٍ من الفنُون، منها في البلاغَة [نهاية الإيجاز في علوم الإعْجَاز] رتبّها على مقدمةٍ وجملتيْن، وهي تلخيصُ كتابي [أسرار البلاغة ودلائِلُ الإعْجَاز لعبدِ القاهر]، في الأدب شرح [سقْطُ الزَّنْد] للمعري، وفي النحو [المفصّل] للزمخشري، ومؤاخذاتٌ جيّدة على النحاة، وتفسيرُ القرآن الكريم، وقد

جمَع فيه من الغرائبِ. واللطائف الشيء الكثير لكنه لم يكمله، وشرحُ سورةِ الفاتحة في مجلد؛ وفي علمِ الكلام للمطالب العالية، ونهايةُ العقُول، وكتابُ الأربعين، والمحصّل، والبيان، والبرهان في الردِّ على أهْلِ الزيْغِ والطغيانِ، والمباحثُ العِمَادِيَّة في المطالبِ المَعادِيّة، وتهذيبُ الدلائل، وعيونُ المسائل، إرشادُ النظار إلى لطائفِ الأسرار، أجوبةُ المسائلِ البخاريّة، تحصيلُ الحقِّ، الزبدةُ والمعالمُ؛ وفي أصولِ الفقه المحصولُ، والمعالمُ؛ وفي الحكمةِ الملخصُ، شرحُ الإشارات لابن سينا، شرح عيون الحكمة في الطِّلَّسْمَات، السرُّ المكنُون، شرحُ أسماءِ الله الحسنى، مصنفٌ في علمِ الفراسة، مصنَّفٌ في مناقِبِ الإمام الشافعي.

وعلى الجملة فإن مؤلفاته جيدةٌ ممتعةٌ رزقتْ حظوةً عند الناس، وانتشرتْ في طولِ البلادِ وعرْضِها، واشتغلَ بها العلماءُ في كلِّ صَوْبٍ، ورفضُوا كتبَ من تقدَّمَهُ لما امتازتْ به من جودةِ الترتيبِ، وكثرةِ الفوائدِ التي لم يسبقْ إليها؛ وذكَرَ أبو عبد الله الحُسين الواسِطي أن فخرَ الدين أنشدَ بهَرَاة وهو على المِنْبر؛ عقبِ كلامٍ عاتبَ فيه أهْلَ هذا البلَد:

المرءُ ما دامَ حيًّا يُسْتُهَانُ بهِ ... ويعظُمُ الرُّزْءُ فيه حين يُفْتقَدُ

وفاته:

توفّي يوم الإثنين يومَ عيدِ الفطرِ من سنةِ ستٍّ وستمائةٍ بمدينة هراة، ودُفِن آخرَ النهارِ في الجبلِ المصاقِب لقريةِ مُزْدَاخَان، وقد أمْلَى وصِيَّةً في مرضِ مَوْتهِ على تلاميذِه تدلُّ على عقيدةٍ حسَنَةٍ وإيمانٍ كاملٍ.

أبو يعقوب السكاكي[1]

المتوفى سنة 626هـ

هو أبو يعقوب يوسُفُ بنُ أبي بكرٍ السَّكَّاكي الخُـوَارِزْمي، الإمـامُ في العلـوم العربية؛ بيانها وأدبها وعَرُوضِها وشعرها؛ المتكلمُ الفقيهُ، المفتَنُّ في علومٍ شتَّى، الذي سارتْ بفضْله الركْبَان، واشتهرَ علمُه في كلِّ مكَان، وفيه يقول محمدُ بـن فضـلِ الله العُمري في كتابِهِ [المَسَالِكِ والمَمَالِك]: هو ذو علومٍ سـعَى إليهـا فحصَّـل طرائقَهـا، وحفَرَ تحتَ جناحيْه طوابقَها، واهتَزَّ للمعاني اهتزازَ الغُصْنِ البارحِ، ولزَّ من تقدَّمَـهُ لزَّ الجذعِ الضارح*، فأضحى الفضل كله يزم بعنانه، ويذم السيف ونصـله بسـنانه، ونقل عنه أبو حيان في الارتشاف في مواضع شتى مـن الكتـاب، وكفـاه فخـرًا أنـه صاحب المفتاح.

مؤلفاته:

أشهرها مفتاحُ العلوم، فيه اثنا عشر عِلْمًا مـن علـومِ العربيَّـة، وقسـمه ثلاثـة أقسام: الأول في علم الصَّـرْف. والثاني في النحو. والثالث في علوم المعاني والتبيـان والبديع؛ ثم ختمه بما يكمل به علم المعاني، وهو تتبـع خـواصّ تراكيـبِ الكـلام في الاستدلال، وذلك علمُ المنطق، ثم ما به يتم الغرض من علمِ المعاني وهو الكـلام في الشعر، ثم جعل له خاتمة في إرشادِ الضُّلَّال في دفْعِ ما يطعنُون به في كلام ربِّ العزة.

وقد أحسن فيه غايـةَ الإحسـانِ، ودلَّ عـلى مـا لـهُ مـن طـولِ البـاع، وسـعةِ الاطلاع، والفضلِ الجمَّ، والدِّقة في الرِّواية، والألمعيَّةِ في الدِّرَايـة.

(1) قال السيوطي في لُبِّ اللبَابِ في تحريرِ الأنْسَاب: السكَّاكِي بالفتح والتشديد، وسماه أبو حيان في الارْتِشَاف بابن السَّكَّاك والنسبة إلى جَدِّه، وكأنَّهُ (نُسِب) إلى صُنْع السكّةِ التي يُضْرب بها الدَّرَاهم.

* لزّ: اشتد ولصق به، الجذع الضارح: الضارب في الأعماق، والمقصود من الجملة. أنه شديد الارتباط بمن سبقوه سيرة ومنهجًا، حتى صار نسيجًا متميزًا.

مولده:

لم يحفظ لنا التاريخُ شيئًا عن حياتِه منذ نشأته، ولا عن شيوخِه الذين تلقَّى عليهم هذا العلمَ الغزيرَ، وإنما حَفِظ لنا أنه وُلد سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائة كما قال ياقوت: أو خمسٍ وخمسين كما قاله السيوطي في البغية.

وفاته:

توفي بخُوَارزم سنة ستٍّ وعشرين وستمائة، ولم يُحفظْ شيء من مراثي الشعراءِ له، ولا من شعره أو نثره في غير مؤلفاته:

لا وجْهَ لتقْسيمِه علومَ البلاغةِ أقسامًا ثلاثة

ولا لجعْلِه تحسين البديع عَرَضِيًا لا ذاتِيًا

لا نعلمُ أحدًا سبقَ السَّكَّاكي إلى قسمةِ علوم الفصاحة الأقسام الثلاثة المعروفة، ولا نرَى لهذا التقسيم وجهًا صحيحًا ولا مستندًا من رواية ولادِرَاية؛ فليس هناك جهةٌ للتمايز تفْصِلُ كلَّ علمٍ عن قسِيمَيْه، ولا في أغراضِ كلِّ علْمٍ ولا في موضِعه ما يجعلُه وحدةً مستقلةً عن العِلْمَيْن الآخريْن في بحوثِه ومسائلِه؛ حتى يمكن الناظرُ أن يقتنعَ بوجاهةِ هذا التقسيمِ ويبرهن على صِحَّتِه، بل على العكسِ نرى بينها اتِّصَالاً وثيقًا في الأغراضِ والمقاصِد، واتحادًا في جهةِ البحثِ، فلا يمكن فصل بعضها من بعض، وإن أمكن فعَلَى نحو آخر غير ما ذكَرُه السكاكي، ومن اقْتَفَوْا أثرَه، وسارُوا على سُننه دون أن يُدْلوا بحجةٍ ناصِعة.

وقبل أن نفند ما قالوا ونبين بهْرَجِه وزُيُوفِه، لابد من تقدمته لك لتكون على ذُكْرٍ منه، فترى الردَّ متجهًا على شيءٍ هو أمامَ ناظرَيْك، لاعلى شيءٍ هو بعيدٌ عن متناولِ يديْك، لا يجولُ بخاطِرك، وإذْ ذاكَ ترى الحُجَّةَ واضحةً، ونورَ الحقِّ ظاهرًا، وتسفرُ الحقيقةُ عن وجهها، ولا تغطِّيها ظلمَةُ الشبهة، وصدأُ الشَّكِ والتقليد.

قال صاحبُ تلخيص المفتاح الخطيبِ القزْويني في تعريفِ علم المعاني: "هـو عِلمٌ يُعْرف به أحوالُ اللفظِ العربِيِّ التي بها يُطابِق مُقْتضَى الحال". قال سعدُ الدين التفتازاني في شرْحِه: وبهذا القيْد الأخير خرجت الأحوالُ التي ليستْ بهـذه الصـفةِ كالإعلال والإدغام والرفعِ والنصبِ وماأشبه ذلك؛ ممـا لابـدَّ منـه في تأديَـةِ أصـلِ المعنى، وكذا المحسِّنات البديعية من التجْنِيس والترصِيع ونحوهمـا ممـا يكـون بعـدَ رعايةِ المُطَابَقَة، والمراد أنه عِلْمٌ يُعْرَف به هذه الأحوال من حيث إنّها يُطابقُ بها اللفظ مقتضى الحال لظهور أن ليسَ علمُ المعاني عبارةً عن تصوُّرِ معاني التعريفِ والتنكـيرِ والتقديمِ والتأخير والإثباتِ والحذفِ وغير ذلك، وبهذا يخرجُ عـن التعريـف علـمُ البيانِ إذ ليس البحثُ فيه عن أحوال اللفظِ من هذه الحيثيّة؛ والمرادُ بـأحوالِ اللفـظ الأمورُ العارِضةُ له من التقديم والتأخير والإثبات والحذف وغير ذلك؛ ومُقتضـى الحالِ في التحقيقِ؛ الكلامُ الكُلِّيُّ المتكيِّفُ بكيفيَّةٍ مخصُوصَةٍ، لا نفس الكيفيَّـاتِ مـن التقديمِ والتأخير والتعريف والتنكير، وإلا لما صَحَّ القولُ بأنهـا أحـوالٌ بهـا يطـابقُ اللفظ مقتضى الحال، لأنها عينُ مقتضـى الحال، وأحوالُ الإسْنادِ أيضًا مـن أحـوال اللفظ باعتبار أن التأكيدَ وتركَهُ مثلاً؛ مـن الاعتبـاراتِ الراجِعَـةِ إلى نفس الجملـة، وتخصيصِ اللفظ بالعربيِّ مجرد اصْطِلاحٍ، لأن الصناعةَ إنما وُضِعَت لذلك.

وقال الخطيبُ في تعريفِ علمِ البيان: "هو علمٌ يُعْرف به إيرادُ المعنى الواحِـدِ بطرقٍ وتراكيب مختلفة في وضوحِ الدلالة عليه، بأن يكـون بعـضُ الطـرق واضـحَ الدلالةِ وبعضها أوضَح".

قال شارِحُه: أي هو أصـولٌ وقواعـد معلومَـةٌ، وقولـه المعنـى الواحـد: أي المدلول عليه بكلامٍ مطابقٍ لمقتضَـى الحال، وقوله واضِـح الدلالـة: أي والواضـح خفِيّ بالنسبةِ للأوضَحِ فلا حاجةَ إلى ذكْرِ الخُلفَـاء؛ وتقْييـدِ الاخـتلافِ بالوضـوح ليخرجَ معرفة إيرادِ المعْنى الواحِدِ بطرقٍ مختلفة في اللفظِ والعبارة؛ واللام في المعنـى الواحد للاسْتِغْراق العُرْفِي، أي كلِّ معنى يدخلُ تحتَ قصْـدِ المـتكلِّمِ وإرادتِـه، فلـوْ

عرَفَ أحدٌ إيرادَ معنى قوْلِنا: زيدٌ جوادٌ بطـرقٍ مختلفـة لم يكـن بمجـرّد ذلـك عالمًـا بالبيان.

وقال في تعريفِ علم البديع: هو علمٌ يُعْرَف بـه وجـوهُ تحْسِـين الكـلامِ بعـد رعايةِ المطابقة لمقتضَى الحـال، ورعايـةِ وضـوحِ الدلالـة، وهـي ضربـان: معنـويّ، ولفظيّ.

قال شارحُه: يُعْرف: أي يُتَصوَّر معانِيها، ويعلم أعْـدَادُها وتفاصِـيلها بقـدرِ الطاقة، وقوله: وضُوح الدلالة: أي بالخلوِّ عن التعقيدِ المعْنَوِي، وفي هذا إشـارةٌ إلى أن هذه الوجوهَ إنما تُعَدُّ محسِّنةً للكلامِ بعد رعايةِ الأمرين، وقوله: معنويّ أي راجعٍ إلى تحْسِين المعنى أولاً وبالـذات وإن كـان قـد يفيـدُ بعضَـها تحسـين اللفـظِ أيضًـا؛ ولفظي: أي راجِع إلى تحسينِ اللفظ كذلك، وهانحنُ أولاءِ نبدأُ بتفْنيدِ هذا التقسـيمِ وبيان خطئِه فنقولُ: **أما إن الرِّواية تساعدُه فلوجُوهٍ:**

أن المتقدِّمين الذين كتبُوا قبلَه كأبي هلالٍ في الصناعتين، وابن سنان الخفـاجي في سرِّ الفصاحة، وعبد القاهِر في كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجـاز، لم ينحُـوا هذا النحْو الذي نحَاه؛ فإنَّ الأولَ جعـلَ كتابَـه عشرَـةَ أبـوابٍ مشـتملةٍ عـلى ثلاثـةٍ وخمسين فصْلاً: الأولُ في الإبانة عن موضوعِ البلاغةِ في أصلِ اللغة، الثـاني في تمييـزِ جيِّدِ الكلامِ من رديئِه، الثالث في معرفةِ صنعةِ الكلامِ، الرابع في البيـان عـن حُسْـن السَّبْك وجودَةِ الرَّصْفِ، الخامس في ذكر الإيجَـازِ والإطنـابِ، السـادس في حُسْـنِ الأخذِ وقُبْحِه، السابع في التشـبيه، الثـامن في ذكـر السَّـجْعِ والازدواجِ، التاسـع في شرْحِ البديعِ؛ وفيه خمسةٌ وثلاثون فصلاً، العاشر في مقاطِع الكلام ومبادِيه. والثـاني تكَلَّمَ عن تعريفِ الفصَاحَةِ والبلاغة، وشروطِ الفصَاحَة في اللفـظِ المفـردِ وجعلهـا ثمانية، وفصاحَة المركَّب، وجعلَ من ذلـك الخُلُـوص مـن التنـافُر، وعـدمُ التقـديم والتأخير، والقلب، وحُسْن الاستعارة، وعدم الحشو، وعدم المُعَاظَلَةِ، وألا يعـبِّرَ في المدْحِ بألفاظِ الذمِّ،ولا في الذم بألفاظِ المدْح، وحسن الكنايَةِ، والمناسبة بين الألفـاظِ

إما من طريق الصِّيغة، وإما من طريقِ المعْنَى (المحسِّنات اللفْظِية والمعنويَّة)؛ وعلى الإيجازِ والاختصَارِ؛ ثم تكلَّم على المعانِي المفردَةِ، وجعلَ من ذلك صحَّة التقسِيمِ، وصِحَّة التشْبِيه، وصحَّة المقابلَةِ في المَعانِي، والمبالغة في المعْنى، وإرسال المثَل، وحسن التَّعْلِيل، والفرْق بين المنْثُور والمنْظُوم.

وعبدُ القاهِر في الدلائلِ تكلَّمَ على كثيرٍ من أبوابِ علم المعاني بحسب اصْطِلاح السَّكَّاكي، وعلى بعضِ أبوابِ من البيان كالكناية والاستعارة والتمثيل، وعلى بعضِ أنواعٍ من البديع فتكلم على المُزَاوَجَةِ، وصحَّةِ التقسيم والجمعِ، وسمَّي الجمْعَ بيانًا، فقال في أوَّلِ الكتابِ: ثم إنك لا ترى عِلْمًا هو أرسَخُ أصْلاً، وأبْسَقُ فرْعًا، وأحلى جنًى، وأعذبُ وِرْدًا، وأكرمُ إنتاجًا، وأنورُ سِراجًا من عِلمِ البيانِ الذي لولاهُ لم ترَ لسانًا يحُوكُ الوشْيَ، ويصوغُ الحلْيَ، ويلفظُ الدرَّ، وينفثُ السِّحْرَ إلى آخرِ ماقالَ في الصفحة الرابعة وما بعْدها.

1. أن الزمَخْشَرِي: وهو ما هُو في عُلوِّ كعْبِه في البلاغة؛ كثيرًا ما يُسمِّى هذه العلوم بالبيان، وأحيانًا يُسمِّيها بالبديع، إذ يقولُ عند الكلامِ على قولهِ تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [سورة البقرة: الآية 16]؛ إنه من الصنعةِ البديعيَّةِ.

أن عبدَ الله بن المعتزِّ، وقدامةَ بن جعفر، وصاحبَ الصناعتيْن ابن رشيق في العمدة؛ أدْخَلُوا في البديع مباحثَ البيان، فجعلُوا من البديع الاستعارةَ والمجازَ والكنايةَ والتعريضَ، وكذا عبد القاهر في أسرار البلاغة؛ إذ يقولُ في الصفحةِ الثالثةِ عشرة: وأما الطباقُ، والاستعارة، وسائر أقسامِ البديعِ فكوْنُها معنوية أجْلى وأظْهر إلى آخر ما قال.

2. أن في قول الخطيبِ القزويني في التلخيص: وكثيرٌ من الناسِ يُسمِّى الجميعَ علمَ البيان، وفي قولِ شُرَّاحِه لما في كلِّ من معناه اللغوي وهو الظهور،

وقوله: ومنْهُم من يُسَمِّى الأخيرَيْن علم البيان أي كما وقع للزمخـشري في الكشَّاف، وقوله والثلاثة علمُ البديع: أي كما يستعملُه صـاحبُ الكشـاف كثيرًا في تفسيره دليلاً على أن التقسيم إلى معانٍ وبيانٍ وبديع؛ لم يقلْ به أحدٌ قبل السَّكَّاكي إذْ لمْ يصرِّح بعزْوِه لأحدٍ.

وأما أن الدِّرَايةَ لا تؤيدُه فلِوُجوهٍ أيضًا:

1. أن الثمرةَ المستفادةَ من علم المعاني؛ وهي معرفـةُ أحـوالِ اللفـظِ التـي بها يطابقُ مقتضَى الحالِ، تستفادُ أيضًا من علمِ البيـان والبـديع؛ لأنـا لا نعـبِّر باستعارةٍ ولا كنايةٍ إلا إذا اقتَضَاها المقام، فنوازِنُ بين عدة تعبيراتٍ، ونرى أنسَبُها للحال، بمراعاةِ حال السامع أو السامعين فنعبِّر به، كـما قـال عبـدُ القاهر في الدلائل: إنهُ إذا أُرِيدَ إثباتُ الشـيءِ على جهـةِ الترجـيح بـين أن يكونَ ولا يكون؛ عبرتَ عنه بالتشبيه، فقلـت رأيـتُ رجـلاً كالأسـدِ، ولم يكن ذلك مـن حـديثِ الوجـوبِ في شيء، وإذا أردتَ إثباتَـهُ عـلى سـبيلِ الوجوبِ، وجعلتَه كالأمرِ الذي نُصِبَ لـه دليـلٌ يقطـعُ بوجوبِـهِ، عـبَّرْتَ بالاستعارةِ، وقلتَ رأيتُ أسدًا، وذلك أنه إذا كانَ أسدًا، فواجبٌ أن تكونَ له تلك الشجاعةُ العظيمةُ، وكالمستحيلِ أو الممتنعِ أن يُعَرَّى عنْها، وحكـم التمثيل حكم الاستعارة؟ فإنكَ إذا قلتَ أراكَ تقدِّمَ رجلاً وتؤخرَ أخْـرى، فأوجبتْ له الصورة التي يقطعُ فيها بالتحيّر والتردّد؛ كان أبلغَ لا محالة من أن تجْرِى على الظاهِر، فتقول قد جعلت تردد في أمرك، فأنت كمن يقـول: أخرجُ أو لا أخرجُ فيقدمُ رِجْلاً ويؤخرُ أخرى، وكـذلك إذا أردتَ إثبـاتَ قضيةٍ دون حاجةٍ إلى برهان؛ بـأن كـانَ السـامعُ مقتنعًـا بصـحَّتِها دون أن تزيدَهُ تأكيدًا في إثباتِها، عبَّرْتَ بالحقيقةِ، فقلت: زيدٌ كريمٌ، وإن رأيـتَ أنـه في شكٍّ من صحَّتِها أتيتَ بالقضيةِ يصـحبُها دليلُهـا، وعَـبَّرْتَ عـن ذلـك المعْنى بطريق الكنايَةِ، فقلت هو جمُّ الرمادِ، فأثبت القِرَى الكثير من وجْـهٍ

وهو أبلغُ وأشدُّ في الإيجابِ والإثباتِ، وذلك أنكَ أتيتَ بالدليلِ والشاهدِ على صدْقِ القضيَّةِ، فلا يشكُّ فيها، ولا يظنُّ بالمخْبِرِ التجوُّز أو الغلَط-

ومن كلامه هذا تعلمُ أن هناك أحوالاً للمخاطَبين تقتضِي تعبيراتٍ مختلفةٍ في الوضوحِ، بعضُها آكدُ من بعضٍ في الإثباتِ؛ كماأنَّ هناك أحْوالاً تقتضِي الإيجازَ في الكلامِ حينًا، والإطنابَ حينًا آخر، والتوكيدَ طوْرًا وعدمه طورًا آخر؛ فالمطابقةُ لمقتضَى الحالِ مطلوبَةٌ في مباحثِ كلا العِلْمَيْنِ، والاختلافُ في الوضوحِ والخفاءِ موجودٌ في مسائلِهِ معًا.

2. أنه كما يصْدُقُ هذا على المعانِي والبيانِ يصدقُ أيضًا على البديعِ؛ فالجمالُ الذي يُوجدُ في التوريةِ من حيث دقَّة التعبيرِ ولُطْفِهِ لا يقلُّ عن الجمالِ الذي يوجَدُ في الكنايَةِ، والإبداع الذي يُوجَدُ في الطباق والتقسيم ليس بأقلَّ مما يُوجد في الاستعارَةِ. ودليلُنا على ذلك أن عبدَ الله بن المعتز لَمَّا وَضَع علمَ البديع جعلَ من أنواعِهِ الاستعارَة والتمثيل والكناية، وسوى بينها وبين بقية أنواعِ البديع التي ذكرها، وسارَ على نهجِه قُدامة وأبو هِلال وابن رشيقٍ فلم يقولُوا بأن بَعْضًا منها يزيدُ على بعضٍ في الفصَاحَةِ والبلاغَة.

فمن أين أتى السكاكي بهذا التفاوُت، وجعل بعضًا منها فيما سمَّاهُ البيان، وبعضًا فيما سمَّاهُ البديع، وبعضًا منها تحسينُه ذاتِيٌّ، وبعضًا تحسينهُ عرضِيٌّ؟ وإنا لنعلمُ أن من كانَ قبله ليسَ بأقَلَّ منه رسُوخًا في نقدِ الكلام وبيان غثِّه من سمِينِه، وجيدِهِ من رديئِهِ، فكيفَ قد خفِيَ هذا على جلّةِ العلماءِ مدى القرونِ الطوالِ؛ فجاءَ السكاكِيُّ وكشَفَه؟ اللهم إنا لا نجدُ وجهًا لصحَّةِ هذا الكشفِ الجديد، ولو كنا وجدناهُ لما شككْنا في صِحَّته، إذْ لسْنَا من القائلينَ بتلكَ النظرِيَّةِ: ما تركَ الأولُ للآخِرِ شيئًا؛ إذ لوْ صَحَّت ما اخْتُرِعَ جديدٌ، ولا تقدمَ علمٌ ولا تحسَّنتْ صناعةٌ.

3. إن مما يدلُّ على أن مباحثَ هذه العلومِ ليستْ متمايزةً، أن بعض المؤلفين أدْخَلَ المجازَ العقْلي في علم البيان، بينا غيرُهم أدْخَلَهُ في المعاني، كذلك

نجدُ جماعةً أدخلُوا التذييلَ والاحتراسَ والاعـتراضَ والحشْـوَ في البـديع، وأدْمَجَهُ غيرهم في المعَاني، وجعلُوه أقْسَامًا للإطناب، فلو كان هناك حـدودٌ واضحةٌ تميِّزُ قسمًا من قسْمٍ لما جاء مثل هذا الاختلاطِ والارتباكِ في تفريـع هذه المسائل ووضْعِها في المواضع المناسبة لها.

4. إن الذي ينبغِي أن يُعَوَّلَ عليه في التقْسيم شيءٌ آخرَ هو ما أفصحَ عنه عبـدُ القاهِر في الدلائلِ، إذ قالَ في الصفحةِ التاسعةِ والعشــرين بعـد الثلثمائـة: اعلمْ أن الكلامَ الفصيحَ ينقسمُ قسمين: قسمٌ تُعْزَى المزيةُ والحسْنُ فيـه إلى اللفظِ، وقسْمٌ يعْزَى ذلك فيه إلى النَّظْم؛ فالقسمُ الأولُ الكناية والاستعارة والتمثيلُ الكائنُ على حدِّ الاستعارة، وكلُّ ما كـانَ فيـه عـلى الجُمْلـة مجـازٌ واتساعٌ وعدولٌ باللفظ عن الظاهِر، فما منْ ضرْبٍ من هـذه الضُّرُـوب إلا وهو إذا وقعَ على الصوابِ، وعلى ما ينبْغي أوجـبَ الفضـلُ والمزيـةُ، فـإذا قُلت: هو كثيرُ رمادِ القدْر، كان له موقعٌ وحـظٌّ مـن القبُـول؛ لايكـونُ إذا قلت: هو كثيرُ القِرَى والضيافَة، وكذلك إذا قلت: رأيتُ أسدًا كان له مزيةٌ لا تكونُ إذا قلت: رأيتُ رجلاً يشبه الأسدَ ويساويه في الشجاعةِ، وكذلك إذا قلت: أراكَ تقدِّمُ رجلاً و تؤخِّر أخْرَى، كان له موقعٌ لا يكونُ إذا قلت: أراك تتردَّدُ في الذي دعَوْتُك إليه، كمن يقول: أخـرجُ أو لا أخـرجُ فيقـدمُ رجْلاً ويؤخِّرُ أخرى.

وقال في الصفحةِ السادسةِ والأربعـين بعـد الثلاثمائـة مثـل ذلـك، وقـال في الصفحةِ الثانيةِ بعد المائتين: الكلامُ على ضرْبـين ضربٌ أن تصـل منـه إلى الغـرضِ بدلالة اللفظِ وحده، وذلك إذا قصدتَ أن تخبرَ عن زيدٍ مثلاً بالخروجِ عـلى الحقيقـةِ فقلت: خرجَ زيدٌ، وضرْبٌ آخر لاتصلُ منه إلى الغرضِ بدلالةِ اللفظ وحده، ولكن يدلُّك اللفظُ على معناهُ الذي يقتضِيه موضوعُه في اللغة، ثم تجدُ لذلك المعنَى دلالـةً

ثانيةً تصلُ بها على الغرض، ومدارُ هذا الأمرِ على الكنايةِ والاستعارةِ والتمثيلِ، وقد مضتْ الأمثلةُ فيها مشروحةً مستقصاةً.

وقال في الصفحةِ الثامنةِ والسبعين: وجملةُ الأمرِ أن هاهنَا كلامًا حُسْنُه للفـظِ دون النظْم، وآخر حسْـنُه للـنظْم دونَ اللفـظ، وثالثًـا قـويّ الحُسْـن مـن الجهتـين، ووجبتْ له المزيةُ بكلا الأمْرين، والإشكالُ في هذا الثالث، وهو الذي لا تزالُ تـرى الغلطَ قد عارضَك فيه، وتراكَ قد خِفْتَ فيه على النظم فتركتَهُ، وطمحـتَ ببصَرِـك على اللفظِ، وقدرْت في حسن كان به، وباللفظ أنه للفظ خاصة.

ومما تقدَّمَ ترى أن هاهنا أساسًا لبحْثِ عِلْمَيْن متمايِزَيْن، فنسمِّي العلـمَ الـذي يبحث عن فصاحةِ النظمِ علم معاني النَّحْو، أو علم المعاني على سبيل الاختصـار في التسمية، والعلمَ الذي يبحث عن فصاحةِ اللفظ، أو عن معْنَى المعْنـى بعلـمِ البيـانِ وتكونُ التسميةُ مجردَ اصطلاحٍ، وإلا فالكلُّ بحثٌ بيانيٌّ.

5. إن الذي لفتَ نظرَ السكاكي إلى تسميةِ العلم الأول (علم المعاني) أن عبـد القاهر أخذ يُبْدِي ويعيـدُ ويقـولُ: ليسـت أسرارُ الـنظم إلا معـاني النحـو فاختزلَ هذا الاسمَ وسمَّاهُ (علم المعاني).

6. إن من العجبِ حقًا أن تكون فوائدُ معرفةِ علم المعاني معرفة أحوال اللفظِ العربيِّ التي يطابقُ مقتضَى الحالِ؛ فنعرفُ المواضعَ التي يكون فيها الإيجـازُ والتي يكون فيها الإطنابُ، والمواضعُ التي يُؤَكدُ فيها الكلامُ المواضعَ التي لا يؤكـدُ فيهـا، ولم يكـن مـن فائدتـه أن نُنْشِـئ كلامًـا مشـتملاً عـلى الخصوصياتِ التي تعلمناها من هذا العلمِ، بينا نقول: إن من فائدةِ معرفـةِ علم البيان أننا نستطيع أن نعبر عن المعنى الواحـد بأسـاليب مختلفـة؛ وإذًا ففائدةُ معرفةِ هذا العلم إيجابيةٌ، وهي القـدرةُ عـلى إنشـاء الكـلام العـربيِّ الفصيح، ولكن فائدةَ معرفةِ علم المعاني هي مجرد المعرفةِ فقط ويكون ذلك كافيًا؛ وإن شئْنا أنشأنَا كلامًا فصِيحًا مطابقًا لمقتضى الحال.

وقد كان من الخيرِ أن نجعلَ الفائدةَ من معرفة العلمِ الأول كالفائدة من معرفةِ العلمِ الثاني، والعكس بالعكس؛ فإما أن نقول: إنه علمٌ يُعْرَف به إيرادُ الأساليبِ العربيةِ المختلفة المطابقةِ لمقتضى الحال؛ بعد النظر في المقاماتِ واختيارِ الألفاظ التي تناسبُ كل مقامٍ منها حتى تكون الألفاظُ وفْقَ هذه الأحوالِ والمقاماتِ، أو نقولُ إن علمَ البيانِ علم نعرفُ به الفُرُوقَ بين الأساليب المختلفة الدالةِ على المعْنى الواحدِ لنحاكيَهَا عند التعبير عن مثلِ هذه المعاني، فنجري على السنَنِ العربيِّ ونسلك الطريقَ التي سلكُوها، وبذا يكونُ توافقٌ بين أغراضِ العلْمَيْن، لا تخالفَ بينهما كما هو واضحٌ من النظرِ في كلامهم.

وأعجبُ من هذا أن كبارَ الباحثين من العلماء الذين جاءُوا بعد السكاكي لم يتنبهوا لهذه الدقائق، ولم يعيرُوها جانبًا من العناية، وقد كانت صفحةُ وجهها بارزةً للناظرين، ووميضُ برْقِها يلمعُ في الأفقِ للباحثين، فكان يمكنُهم أن يمدُّوا أيديهم إليه ويجتذبُوها نحوهم؛ فتكون أطوعَ لهم من بنانِهم، ولكن شاءَ اللهُ أن تظهرَ الحقيقةُ بعد احتجابِها، وكثيرًا ما تُحْجَبُ الحقائقُ ثم تسْفِرُ، ويتغطَّى جمالُ الحقيقةِ ثم ينكشفُ، تقَدَّسْتَ ياذا العلم الكاملِ، المطلعِ على خفايا الأمُورِ، ولله الحمد على أن علَّمَ الإنسانَ ما لمْ يعلمْ.

عبدُ اللطيفِ البغدادِيُّ
المتوفّى سنة 629هـ

هو عبدُ اللطيفِ بن يوسفَ بن محمدٍ موفقُ الدينِ؛ البغداديُّ الشافعيُّ النحويُّ اللغويُّ المتكلمُ الطبيبُ الفيلسوفُ.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ ببغدادَ في أحدِ الربيعيْن سنة خمسٍ وخمسين وخمسمائة، وتلقَّى العلمَ على مشهورِي زمانِهِ من أعلامِ العلماءِ كأبي زرعه المقْدِسي وشهدة، وحدَّثَ بمصرَ والقدسِ ودمشق وبغداد، وكان ضليعًا بالأدبِ والطبِّ وعلمِ الأوائل.

تواليفُه:

شرحُ نقدِ الشعر لقدامة. اختصارُ العمدة لابن رشيق. قوانينُ البلاغة. اختصار كتابِ النبات. اختصار كتابِ الحيوان. كتاب أخبارُ مصر الكبير. اختصار كتابِ الصناعتين. الردُّ على الفخرِ الرازي. تفسير سورة الإخلاص. الواضحةُ في إعرابِ الفاتحة. كتاب الألفِ واللام. شرح بانت سعاد. ذيلُ الفصيحِ لثعلب. شرحُ الخطَبِ النباتيةِ. مقالةٌ في العطش. مقالة في الماء. مقالةٌ في الحواسِّ. كتاب الشيعةِ. حواشٍ على كتاب البرهان للفارابي. مقالةٌ في النفْس والصوتِ والكلام. كتاب في القياسِ في أربع مجلدات. مقالة في الردِّ على ابن الهيثم.

غرامُهُ بالرِّحْلة:

رحلَ إلى مصر وأقامَ بها مدةً، ثم توجه إلى القدسِ سنة أربع وستمائة وكان يدرسُ بها أنواعًا كثيرة من العلومِ، ثم رحلَ على حلب، ثم قصدَ بلادَ الروم، وأقامَ بها عدَّةَ سنين في خدمةِ الملكِ علاءِ الدين داود بن بَهْرَام، وكان له منهُ المرتباتُ

والصلات المتواترة، وصنَّف باسمه كتبًا كثيرة، ثم توجَّه إلى مالطية، وعادَ إلى حَلَب، ثم إلى بغداد مريضًا.

نثْرُه:

من كلامه: اللَّهُم أعذْنَا من جموحِ الطبيعة، وشموسِ النفْس، وخُذْ بنا في سواءِ الطريقِ، يا هادِيَ العُمْي، ويا مُرْشِدَ الضُّلَّال، ويا مُحْيي القلوبَ الميتةَ بالإيمان، خُذْ بأيدينا من هَفَواتِ الهلَكَةِ، وطهِّرْنا من دَرَنِ الدنيا الدنيئةِ بالإخلاصِ لك، إنك مالكُ الدنيا والآخرة. سبحانَ من عمَّ بحكمتِه الوجودَ، واستحقَّ بكل وجهٍ أن يكونَ هو المعبود. تلألأتْ بنورِ وجْهِك الآفاقُ، وأشرقتْ شمسُ معرفِتِك على النفوسِ إشراقًا وأيّ إشْراق.

وفاته:

توفي ببغداد في ثاني المحرم سنة تسعٍ وعشرين وستمائة.

أبو الفتْح نصرُ اللّهِ ضياءُ الدينِ ابنُ الأثيرِ المتوفّى سنة 637هـ

هو أبو الفتحِ نصرُ الله بنُ أبي الكرمِ محَمَّد بن محمد الشيباني الجَزَرِي؛ الملقب بابن الأثير، وزيرُ الملكِ الأفضلِ ابن صلاح الدين، الكاتبُ الناثرُ صاحبُ التصانيفِ البديعةِ والتواليدِ والاختراعِ في رسائله:

مولدُهُ ونشأتُه:

ولدَ بجزيرةِ ابن عمر قربَ المُوصل ونشأَ بها، ثم انتقلَ مع والده إلى الموصل، وبها اشتغَلَ بطلبِ العلم، وحفظِ الكتابِ الكريم، وطرَفًا صَالحًا من السنَّة، كما حدَّثَ عن نفسِه في كتابِه المُسَمَّى بالوَشْيِ المرْقُومِ. قال: وكنتُ حفظتُ من الأشعار

القديمةِ والمُحْدَثَةِ ما لا يُحْصَى كثْرةً، ثم اقتصرتُ بعد ذلك على شعْر الطائيَّيْن أبي تمام والبحتري وشعر المتنبي، فحفظتُ هذه الدواوين الثلاثة، وكنتُ أكرر عليها بالدرسِ مدةَ سنين، حتى تمكنتُ من صوْغِ المعاني، ينبغي للكاتبِ أن يجعل دَأْبَه في الترسُّل حلّ المنظومِ، ويعتمدُ عليه في هذه الصَّنَاعَة.

رحيلُه إلى مِصْر:

لما تمكَّن في فن الترسُّل والكتابةِ، قصد إلى صلاح الدين الأيوبي ملكِ مصر- سنة 587، فجعله القاضي الفاضلُ وزيرُ صلاح الدين؛ من كتَّابِ الديوان، ثم استوزَرَه ولدُه الملك الأفضل، نور الدين بمملكةِ دمشق، فصار عليه الاعتمادُ، وإليه ينتهي الإصدارُ والإيرادُ، ثم اتَّصل بخدمةِ أخيه الملك الظاهِرِ غازي صاحبِ حلب، ولكن لم يُطِلْ مقامَه عنده، فعاد إلى المُوصل، وصار كاتبًا لصاحِبها ناصِر الدين محمود بن الملك القاهر عز الدين مسْعُود بن نورِ الدين أرْسِلَان.

رسائِلُه:

كان يعارضُ في رسائله الوزيرَ القاضي الفاضل، صاحبَ الطريقةِ الفاضليَّةِ الجامعةِ بين الترسُّل والازدواجِ والسَّجع والتضمينِ وإرسالِ المثل، وكان بينَهُما مكاتباتٌ ومجاوباتٌ، فإذا أنشأ رسالةً حاكاهُ وصنعَ مثلها، ولكن:

لشتَّانَ ما بين اليزيدِيْن في النَّدَى ... يزيدُ سُلَيْمٍ والأغرُّ بنُ حاتِمِ

وله من رسالة يصفُ فيها الديارَ المصرية، ومن جملتها فصلٌ في وصفِ نيلِها إبَّان زيادتِه: وعذْبِ رُضَابِه فضَاهَي جنَى النَّحْلِ، واحْمَرَّ صفيحُه، فقلتُ إنه قتَل المحلّ ، وقد أخذهُ من قول بعض العرب:

لله قلبٌ ما يزالُ يروعُهُ ... برقُ الغمامةِ منْجِدًا أو مُغْوِرًا

ما احمرَّ في الليلِ البهيمِ صفيحُهُ ... متبَحِّرًا إلا وقدْ قتَلَ الْكَرَى

ومثله قولُ عبدِ الله بن المعتزِّ في غُلامٍ أرْمَد:

قالوا: اشتكتْ عينُهُ فقلتُ لهم: مِن كثرةِ القتْلِ نالَهَا الوَصَبُ

حُمْرَتُهَا مِن دماءِ مَنْ قتلَتْ والدمُ في النَّصْلِ شاهِدٌ عَجَبُ

ولهُ من رسالةٍ في ذكْرِ العصَا التي يتوكَّأُ عليها الشيخُ الكبير- وهذي لمبتدأِ ضعْفِي خبرٌ، ولقوسِ ظهرِي وترٌ، وإن كان إلقاؤُها إقامةً فإن حمْلَها دليلُ السفر.

شعرُه:

ليس له من النظْم ما يستحقُّ أن يُفْرد بالذِّكْر؛ فمن ذلك قوله:

ثلاثةٌ تُعْطِى الفرَحْ كأسٌ وكوبٌ وقدحْ

ما ذبحَ الزقُّ لها إلا ولِلْهَمِّ ذَبَحْ

تواليفُه:

له من التآليفِ التي تدلُّ على ماله من عظيمِ الفضلِ، وكبيرِ النبلِ، وسعة المتبحِّر الشيءُ الكثير، ومن أجلِّها قدرًا وأشهرِها ذكرًا المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ وهو كتابٌ جمعَ فأوْعى، فلم يتركْ شيئًا يتعلق بصنعةِ الكتابة إلا ذكرَهُ إلى شذَرَات مُنيفة، وتحقيقاتٍ شريفة في فنون البلاغة لم يقصدْ لها غيره ممن ألَّفُوا في علومِ البلاغة، وكتاب الجامع الكبير في صناعةِ المنظومِ والمنثور. رتَّبَهُ على قطْبَيْن: الأول في الأشياء العامة، الثاني في الأشياء الخاصة. كتاب "الوشْي المرْقُوم في حلّ المنظوم"، وهو على وجازَته غايةٌ في الفائدَةِ والحُسْن، وكتاب "المعاني المخترعة في صناعة الإنشا" وهو فريدٌ في بابِه، و"المختارات من شعر أبي تمام، والبحتري والمتنبي، وديك الجن" في مجلدٍ واحد، وديوان ترسُّل في عدَّةِ مجلَّدات. اختصرَهُ في مجلد واحد.

وفاته:

توفِّي ببغداد، وقد كان توجَّهَ برسالةٍ من صاحبِ الموصِل سنة سبع وثلاثين وستمائة، ودُفن بمقابرِ قريش في الجانب الغربي بمشهد موسى ابن جعفر.

عبدُ الواحدِ بن عبدِ الكريم الزِّمَلْكَانِي المتوفّى سنة 651

هو عبدُ الواحد بن عبد الكريم بن خلف، كمالُ الدين أبو المكارمِ ابن خطيبِ زمَلْكا. قال بهاءُ الدين بن السُّبكي: كان فاضلاً خبيرًا بالمعاني والبيانِ والأدب- مُبرزًا في عدَّةِ فنون.

مؤلفاته:

أشهرُها كتابُ "التبيان في علم البيان" (علوم البلاغة)، وهو عمدة في هذا الفن. قال ابن السبكي في عروسِ الأفراح: إنه أحد الكتب التي رجع لها حين وضَع كتابه. وقال صاحبُ الطراز في علومِ الإيجاز: إنه رابعُ أربعةٍ اعتمدَ عليها عندما صنَّف كتابه.

وفاته:

قال في البُغْيَة: توفِّي بدمشق المحرُوسَة سنة إحدى وخمسين وستمائة.

عبد الوهاب الزنجاني
المتوفى سنة 654هـ

هو عبدُ الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزْرَجِي الزِّنْجَانِي.

مؤلفاته:

المعيارُ في علوم البلاغة، وكتابٌ في العروض والقوافي، وكتابُ متن الهادي وشرحَهُ في الصَّرْف؛ أكثَر الجارُ بردي في شرحِ الشافية من النقل منه، وكتابُ التصريفِ المشهور بتصرف العِزِّي.

وفاته:

توفي حوالي أربع وخمسين وستمائة.

ابن أبي الإصْبَع
المتوفى سنة 654هـ

هو أبو محمَدٍ عبدُ العظيم بن عبد الواحد بن ظافر؛ المعروف بابن أبي الإصْبعِ العُدْوانِي الشاعِر المشْهُور.

مؤلفاته:

أشهرُها (بديع القرآن) جمَعَهُ من نقدِ قدامة بن جعفر، وبديعِ عبدالله ابن المعتز، وحليةِ المحاضرةِ للحاتميِّ، وجعله تتمة لكتابه المُسمَّى ببيانِ البرهانِ في إعجازِ القرآنِ؛ وقد احتوَى على ما اشتملَ عليه الكتابُ الكريم من أنواع البديع، ورتَّبَهُ على مائةِ بابٍ وثمانيةِ أبوابِ، وقال في أوله: هذا كتابٌ هو وظيفةُ عُمْري، وثمرةُ اشتغَالِي في إبَّان شبِيبتِي، ومباحثَتي في أوانِ شيْخُوخَتي، مع كل من لقيتُ من

الفضَلاءِ، ونُبلاءِ البُلَغاءِ في علم البيانِ، وكلُّ من لهُ عنايةٌ في تدبُّرِ القرآن، ونقدٍ ثاقبٍ لجواهرِ الكلام.

وله كتابٌ آخر يسمَّى [تحرير التحبير في علم البديع].

وفاتُه:

توفي بمصر في الثالثِ عشر من شوال سنة أربعٍ وخمسين وستمائة.

عزُّ الدِّين بنُ أبِي الحدِيد
المتوفَّى سنة 655هـ

هو أبو حامدٍ عبدُ الحميد بنُ هبةِ الله بن محمدٍ بنُ أبي الحدِيد، عزُّ الدين المدائِنيُّ المعتزلِيُّ، الفقيهُ الشاعرُ أخو موفَّق الدِّين.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ سنةَ ستٍّ وثمانين وخُمْسمائة؛ ولما ترعرعَ اشتغلَ بالأدبِ وفنون العلمِ المختلفة، وبَرَعَ في الشِّعْرِ؛ حتى عُدَّ من أعيانِ الشُّعراء ، وله ديوانُ شعْرٍ مشهور.

تواليفُه:

الفلكُ الدائرُ على المثلِ السائر؛ صنَّفه في ثلاثةَ عشرَ يومًا؛ ومن حديث ذلك أنه لما تمَّ تصنيفُ المثلِ السائر ووصلَ إلى بغداد، تصدَّى لتزييفِه ونقْدِه في مواطنَ كثيرة، وجمَع ذلكَ في كتابٍ سمَّاهُ بهذا الاسْم، فلما اطَّلَع عليه أخُوه موفَّقُ الدين أبو المَعَالي كتب إليه:

المثلُ السائرُ يا سيِّدِي صنَّفْتَ فيه الفلَكَ الدائِرَا

لكنْ هذا فلَكٌ دائرٌ أصبحتَ فيه المثلَ السائِرَا

ونظم فصيحَ ثعلب في يومٍ وليلةٍ، وشرحَ نهجَ البلاغة في عشرين جزءًا، وهو مطبوعٌ متداولٌ في أربعِ مجلدات؛ وهو يدلُّ على علمٍ غزيرٍ وفقهٍ جمٍّ وأدبٍ مستفيض، وقد اقتبسَ منه الأستاذ الإمام محمد عبده في تعليقاتِهِ على نهْج البلاغة، وله كتابُ "العبقريِّ الحِسَان في التاريخ والأدب" أودعَهُ شيئًا من ترسُّلاته وأشعارِه، وكتابُ "الاعتبار على كتاب الذريعةِ في أصولِ الشريعة" للسيد المرْتَضى، وكتابُ "نقض المحصُول في علم الأصول" للفخْرِ الرازي، و"شرحُ المحصل للفخْر أيضًا، وهو يَجْري مجْرى النقضِ له، وشرحُ مشكلاتِ الغُرَر لأبي الحسَن البصْري في علم الكلام، وشرحُ "الياقوت" لابن نُوبَخْت في الكلام، وانتقادُ "المُسْتَصْفى في الأصُول" للغزالي، وحواشٍ على كتابِ المفصَّل في النحو.

شعرُه:

له الشعرُ الجيِّدُ، ذو النسْجِ المُحْكَم، والحَوْكِ البديعِ. فمن ذلك قوله:

لولا ثلاث لم أخَفْ صَرْعَتي ليستْ كما قال فتى العبْدِ
أن أبصرَ التوحيدَ والعدْلَ في كلِّ مكانٍ باذلاً جُهْدِي
وأن أُنَاجي اللهَ مسْتِمْتعًا بخلْوَةٍ أحْلَى من الشَّهْدِ
وأن أتِيهَ الدَّهْرَ كبْرًا على كلِّ لئيمٍ أصْعَرَ الخَدِّ
كذاكَ لا أهْوَى فَتَاةً ولا خَمْرًا ولا ذا ميْعَةٍ نَهْدِ*

يعني بقوله كما قال فتى العبد طرفة إذْ يقولُ، وقد سُئل عن لذَّات الدنيا؟ فقال: مركبٌ وطِي، وثوبٌ بهِي، ومطْعَمٌ شَهِي: وسُئل امرؤُ القيس؟ فقال: بيضاءُ رُعْبُوبَه، بالشَّحْمِ مكْرُوبه، بالمِسْكِ مشْبُوبه. وسئل الأعشى فقال: صَهْبَاء صافِيَه،

* الميعة: أول الشيء، والنهد: يقال على الفرس النهد، والشاب النهد، والنهد هو القوى الضخم.

تمزجُها ساقِيَه، من صوْبِ غادِيَه**. قال العَكَوَّكُ الشاعرُ، فحدثتُ أبا دُلْف العجْلي فقال:

أطيبُ الطيباتِ قتلُ الأعادِي | واختيالٌ على مُتُونِ الجِيَادِ

ورسولٌ يأتِي بوعدِ حبيبٍ | وحبيبٌ يأتِي بلا ميعَادِ

وحدَّث بذلك حميدُ الطُّوسِي فأنشدَ أبيات طرفة:

ولولا ثلاثٌ هنَّ من عيشَةِ الفتَى | وجَدِّكَ لم أحفلْ متى قامَ عُوَّدِي

فمنْهُنَّ سبْقِي العاذِلَاتِ بشربةٍ | كُمَيْتٍ متَى ما تُعَلَّ بالماءِ تُزْبِدِ

وكَرِّي إذا نادَى المُضَاف مُحَنَّباً | كسِيدِ الغَضَا نبَّهَتْهُ المتوَرَّدِ

وتقْصِيرُ يومِ الدُّجْنِ والدُّجْنُ مُعْجِبٌ | ببهْكَنَةٍ تحتَ الخِبَاءِ المُعَمَّدِ***

وفاته:

توفي سنة خمسٍ وخمسين وستمائةٍ ببغداد – رحمه الله.

** طرفة بن العبد يفضل اللذة في الفرس والثوب والطعام، وامرؤ القيس في المرأة البيضاء الحلوة السمينة ذات الرائحة الطيبة، والأعشى في الخمر الممزوجة بالماء النقي.

*** يتحدث طرفة في الأبيات عن اللذات الثلاث التي تجعله يتمسك بالحياة أو يحفل بها، الأولى هي شرب الخمر المعتقة التي تُزْبِدُ إذا أضيف إليها الماء، قبل أن تستيقظ النساء العاذلات من النوم، والثانية نجدة المستغيث والإسراع إليه مثلما يسرع الذئب إلى فريسته، والثالثة قضاء الفراغ مع امرأة جميلة تحت الخباء في يوم تملأ سماءه السحب الداكنة.

وهذه اللذات تشير إلى الفراغ الروحي الذي أسلمه إليها، وجعل الحياة بلا قيمة دونها.

أبُو الحَسَن حازِمُ الأنْصَارِي القُرْطُبي
المتوفّى سنة 684هـ

هو أبُو الحسَن محمدُ بن حازمٍ الأنصاريُّ القرطبِيَّ، واحدُ زمانِه في النثْر والنظْم واللغَةِ والعَرُوض والبيان. روى عنه أبُو حيانٍ النَّحْوِي الأندلسَيّ في مديحِه والثناءِ عليه.

وقال عنه ابن رشد في رحلته: هو حَبْرُ البلغاء، وبحْرُ الأدباءِ، ذو اختياراتٍ فائقةٍ، واختراعاتٍ رائقةٍ؛ لا نعلمُ أحدًا ممن لقيناهُ جمع من علم اللسان ما جمَعَ، ولا أحكمَ من معاقدِ البيانِ ما أحكمَ من معاقدِ البيان ما أحكمَ من منقولٍ ومبتدَعٍ؛ أما البلاغةُ فهو بحْرُها العذبُ، والمتفرد بحمل روايتها في الشرق والغرب، وأما حفظُ لغات العربِ وأشْعَارها، فهو حمادٌ راويَتِها، وحَمَّالُ أوْقارِها، ضربَ بسهمٍ في العقليَّات، والدِّرايَةُ أغلبُ عليه من الرواية.

تصانيفُه:

كان جيّدَ التصنيفِ بارعَ الخَطِّ، من ذلك كتابُ [منهاجُ البلغاءِ وسراجُ الأدباء] في عدَّة مجلدات، وكتابٌ في العَرُوض والقَوَافي، ومنظومةٌ في النحو، منها قوله:

إن الكلامَ هو القولُ الذي حصلتْ	**به الإفادةُ لما تمَّ والتأَمَا**
وما ولاتَ ولا للاسمِ رافعةٌ	**ولا يزالُ اسم لات الدهرَ مكْتَتِمَا**
والنصبُ في الخبرِ النفْيُ يوجِبُهُ	**ذوو الفصاحةِ من أهلِ الحجازِ بِمَا**
وينصبُ الخبرُ المنفيُّ لات ولا	**والحينُ في لات في الأخبارِ قد لَزِمَا**

شعره:

له مقصورةٌ في الوعظِ شرحَهَا الشريفُ الغرناطيُّ منها قوله:

مـــن ابتغَـــى مـــا لمْ يقـــدّر كونُـــهُ لـــهُ فـــإنَّ مسْـــتَحِيلاً مـــا ابْتَغَـــى
قـــد يـــدركُ الحاجَـــةَ مـــن لمْ يسْـــعَ في طِلاَبِهـــا وقـــد تفـــوتُ مـــن سَـــعَى
مَـــنْ يُـــرْضِ مخْلُوقـــاً بـــما لا يَرْتَضِـــي إلهُـــــهُ فإنَّـــــهُ شَرُّ الـــــوَرَى
فاعرفْ سجَايا الناسِ وافـرقْ بـينَ مـنْ قـــد لانَ مـــنهُم عـــودُه ومَـــنْ قَسَـــا

ومن ذلك قوله:

مَنْ قالَ حَسْبِي مِـنَ الـوَرَى بـشَرٌ فحَسْـــــبِيَ اللهُ؛ حَسْـــــبِيَ اللهُ
كـــمْ آيـــةٍ للإلـــهِ شـــاهدةٌ بأنَّـــــه لا إلـــــهَ إلا هُـــــو

وفاته:

مات ليلة السبتِ رابع عشر من شهرِ رمضان سنة أربعٍ وثمانين وستمائةٍ.

بدرُ الدينِ بنُ مالِكٍ
المتوفَّى سنة 686هـ

هو محمدُ بن محمدِ بن عبدِ الله بن مالِك؛ الإمامُ بدرُ الدين الدمشقيّ الشافعيّ النحويّ. قال الصَّفَدِي: كان إمامًا حادَّ الخاطرِ في النحو والمعاني والبيان والبديع والعَرُوض.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ بجَيَّان بالأندلُس، وهاجَر مع والده إلى دمشق، وتلقى العِلْم عليه، ووقع بينه وبينه وحشة للَهْوِه ومُجُونِه؛ وعشْرةُ ما لا ينبغي لمثلِه معاشَرَتُه، فتركَ دمشْق، وسكن بعلبَكّ، ودرسَ عليه جماعةٌ من طلبةِ العلْم منهم بدرُ الدين بن زيْد.

ولما مات والدُه طُلِب إليه الرجوعُ إلى دمشق، ووليَ وظيفةَ والده، وتصدى للاشتغالِ بالعلم وتصنيفِ الكتب.

شعرُه ونثرُه:

قال في البُغْية: كان إمامًا في موادِّ النظم من النحو والمعاني والبيان، لكنه لم يقدِرْ على نظم بيتٍ واحدٍ مع أن والدَهُ ذو النظْمِ الرائق، والشعرِ الكثير الجيِّد؛ كذلك لم يحفظْ لنا التاريخُ شيئًا من الرسائل المسْتَمْلَحة التي تُروى لمثلِه من أهل العقولِ الراجِحة والزعَامَةِ العلمية اهـ.

مؤلفاتُه:

المصباحُ في اختصارِ المفتاح في علوم البلاغة. روضُ الأذهان في البلاغة. شرحُ الخلاصة. شرحُ كافيةِ والدِه. شرحُ التَّسْهيل، لم يتمه. شرحُ الحاجِبية. شرحُ اللَّمْحَة. مقدمة في العَرُوض. مقدمة في المنطق.

وفاتُه:

أصابه مرضُ "القولنج"*، وما زال به حتى ماتَ يوم الأحد ثامن المحرم من سنة ستٍّ وثمانين وستمائةٍ؛ ودُفن في جَمعٍ حافلٍ كان الحزنُ فيه باديًا على الوجوه، والأسفُ شديدًا على فقْده.

قطبُ الدين الشِّيرَازِي
المتوفَّى سنة 710هـ

هو محمودُ بنُ مسعودِ بن مُصْلح، أبو الثناءِ قطْبُ الدينِ الشِّيرَازِي، الملقَّب (بالعلاَّمَة) الشافعيّ إمامُ عصْرِه في المعقُول والمنقُول.

* القولنج: مرض معوي مؤلم يصعُبُ معه خروجُ الفضلات والغازات، وسببُه التهاب القولون، واللفظ معرب.

مولدُه ونشأتُه:

ولد بشِيراز سنة أربعٍ وثلاثين وستمائةٍ، وقرأ على والـدِه وكـان طبيبًـا، وعـلى عمِّه الزكِيِّ، والشمسِ الكتْبي، ثم سافر إلى النَّصِير الطُّوسِيّ؛ وقرأ عليه ثم سافرَ إلى بلادِ الرُّوم فأكرمَهُ سلطانُها، وولاه قضاءَ سِيوَاس وملطية، ثم قَدِم الشام، ثم سـكنَ تبْريز، وقرأ بها العلومَ العقلية، وحدَّثَ بكتابِ جامعِ الأصولِ عن الصَّدْر القُونوي، عن يعقوب الهمذاني عن المصنِّف، كان يخالطُ الملوكَ بلباسِ الصوفية، ويجيـدُ لعـب الشِّطْرَنج ويديمه، وَيُتْقِنُ الشَّعْوَذة، ويلازمُ صلاةَ الجماعة.

تواليفُه:

شرحُ المفتاحِ، ويُسَمَّى مفتاحُ المفتـاح، وشرحُ مختصرـ ابـن الحاجـب، وشرحُ كلماتِ ابن سينا، وغُرَّةُ التاج في الحكمة، وشرحُ كتابِ الأسرار للسَّهْرِوَرْدِي، وكان إذا أتمَّ تصنيفَ كتابٍ صامَ شكرًا لله على نعمائه، ولِحِذْقِهِ في التصنيفِ كانت مسوَّدُتُه مبَيَّضَتَه.

وفاتـه:

مات في الرابع عشر من شهرِ رمضان سنة عشرٍ وسبعمائةٍ.

مُحمَّدُ بن النَّحْوِيِّةِ
المتوفّى سنة 718هـ.

هو محمدُ بن يعقوب بن إلياس الدمشقيّ؛ الإمامُ بدرِ الدين المعروف بابن النحويّة.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ بحماة سنة تسعٍ وخمسين وستمائةٍ، وأخذَ العلمَ عن الجمالِ بن واصِل والنجمِ البارِزي، ثم تحوَّل إلى دمشق، وأخذ عن جُلَّةِ عُلمائها، وكان خيرًا وقورًا كيّسًا، ذا منزلةٍ رفيعةٍ في العربية والمعاني والبيان؛ وقد قِيل إن الجلالَ القزْوِيني قابَلَهُ في دمشق، وسأله عن قول أبي النجم: كلُّهُ لمْ أصْنَعِ؛ من جهةِ تقديمِ حرْف السَّلْبِ وتأخيرِه، فما أجابَ بشيءٍ يعتدُّ به، قال الصفدي: وقد تكلمَ على هذا كلامًا جيدًا في شرْحِه لكتابِه؛ والسببُ في ذلك أن كلَّ من وضعَ مصنفًا لا يلزمُه أن يستحضِرَ الكلامَ عليه حتى يُطْلَبَ منه؛ لأنه حين التصنيف يراجعُ الكتبَ المدوَّنة، ويحرّر الكلامَ، ثم يشذّ عنه.

مؤلفاته:

قال الصفدي: له اليدُ الطُّولَى في الأدبِ. اختصر [المصباح] لبدر الدين بن مالك في المعاني والبيان، وسماهُ [ضوء المصباح] وشرَحه شرْحًا لطيفًا، وشرحَ ألفية ابن معطٍ.

وفاته:

توفي في صفَر سنةَ ثمانٍ عشرَ وسبعمائةٍ.

مُحمَّد بن عبدِ الرَّحْمَن الخطيبُ القزوينيُّ
المتوفّى سنة 739هـ

هو أَبُو عبدِ الله محمدُ بن عبد الرحمنِ بن عمر، من سلائل أبي دُلَـف العِجْـلِي، أبو المعالي قاضِي القُضَاة جلالُ الدين القزوينيُّ الشافعيُّ.

أوْصَافُه:

كان ذكيًا فصيحًا، خطيبًا مفوهًا، حلوَ العبارةِ، مُنْصفًا في البحث، أديبًا حسنَ الخطِّ، جوادًا وسيمَ الطلْعَة، كثيرَ البرِّ والإحسان.

مولدُه:

ولدَ سنة ستٍّ وستين وستمائةٍ، واشتغلَ بالفقه، ثم تولَّى القضاءَ ببلاد الـروم، وكانتْ سنُّه دون العشرين، ثـم قـدِمَ دمشـق، وأتقَـنَ الأصـولَ والعربيـةَ والمعـاني والبيان، وتولَّى الخطابةَ بجامعِ دمشق، ثم طلبَهُ ملكُ مصر الناصر بن قلاوون وولاهُ قاضيًا بالشام، ثم نُقِل إلى مصر وتولَّى قضاءها؛ فصرفَ أموالَ الأوقافِ على الفقـراءِ وذوي الحاجَة، فعلاً صيتَه، وارتفعتْ منزلتُه بين الناس، ثم أعيدَ إلى قضاءِ دمشق لما نُسب إلى أولاده من تجاوز الحدِّ في اللهْوِ واللعبِ، لا سيما ابنـه عبـد الله الـذي كـان يتناولُ من الناسِ الرِّشَا باسمِ والدِه، فأقامَ بها قليلاً، ثم مرِضَ بالفالِج، ومات منه.

منزلتُه لدى المُلُوك:

كانت له المنزلةُ الرفيعةُ التي لم يبْلُغها مثلـه لـدى سـلطانٍ تركـي كالسـلطانِ الناصر بن قلاوون. لما لهُ من جَـمِّ الفضـائلِ، وقـوةِ العارضـة، وحضـورِ البديهـةِ، وجمالِ الطلعةِ، والخطِّ الحسَن، وله من الوقائع والحوادث معه ما يـدلُّ عـلى عظـيمِ تبْجِيلِه إياه.

شعرُه:

لم يؤْثَر عنه أنه قال شيئًا من النظيم على عُلُوِّ كعْبِه في الأدب، وأثِر عنه بعضُ خطبٍ منبريَّة.

مؤلفاتُه:

منها تلخيصُ المفتاح في المعاني، والبيان، والبديع، وهو من أجَلِّ مختصراته؛ وقد اختصرهُ عزُّ الدينِ بن جماعَة، وأبْرِوِيز الرُّومي، وزكريا الأنصاريّ، ونظَمَهُ خضْر بن محمد مفتى أماسِيَّه، وسمَّاهُ [أنبوب البلاغة]، وجلالُ الدين السُّيُوطي، وسمى نظْمَهُ [عقود الجمان] وشرحه، وعبد الرحمن الأخضري، وسمَّى نظمَه [الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون] وزينُ الدينِ ابن أبي العزِّ بن طاهر.

أما شُرَّاحُه وحواشِيه، فهي تعدو كل حصْرٍ وسيأتي ذكرُ بعْضُها بعد، وعلى الجملةِ فلم يرزقْ كتابٌ من الشُّهرة والحظْوةِ لدى العلماء ما رزقهُ هذا الكتاب، وقد شرحَهُ المصنِّفُ بشرحٍ سماه [إيضاح التلخيص] قصدَ به توضيحُ مختصره، وضمَّ إليه ما خلا عنه مما تضمنه المفتاح، وزياداتٍ أخرى من كتابي [دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة].

ووضع فخرُ الدين الرَّازي شرحًا لأبيات الإيضاح، كما وضع أحمدُ الكاشاني كتاب [حلّ الاعتراضات التي أوردها صاحب الإيضاح على المفتاح] وله كتابُ السور المرجانيّ من شعْرِ الأرَّجَاني.

وفاتُه:

مات بالفالِج سنة تسعٍ وثلاثين وسبعمائةٍ في منتصف جمادى الأولى.

شرفُ الدِّينِ الطيبيُّ
المتوفّى سنة 743هـ

هو الحسَنُ بن محمد بن عبد الله الطِّيبِي (بكسر الطاء)، الإمامُ في العلومِ العربية والعلوم العقلية. قال ابن حجر في [الدُّرَر الكامِنَةِ في أعيان المائة الثامنة]: إنه كانَ آيةً في استخراجِ الدقائقِ من القرآن الكريم والسنة، محبًا لنشْرِ العلمِ على ما به من تواضعٍ جمٍّ وحياءٍ شديدٍ.

وكان شديدَ الردِّ على الفلاسفةِ المبتدعَةِ، مبجِّلاً لمن يُعْرفُ منه التمسُّك بأهدابِ الشرِيعّةِ، ذا ثروةٍ موروثَةٍ ومكتسَبَةٍ من التجارَةِ، لم يزلْ ينفقُه في وجوهِ البرِّ حتى افتقرَ آخرَ عُمْرِه.

مؤلفاته:

له [لطائف التبْيَان في المعاني والبيان] وشرْحُه، ولم نعلمِ الطريقَ التي سلَكَها حتى نحكمَ عليه حُكْمًا صَحِيحًا، وشرح الكشَّاف المسمَّى [الكشف للكشاف]، وهو عمدةُ المتأخِّرين من بعدِه كأبي السعود العمادي والألوسِي، وقد ذكرَ في أوائلِ هذا الشَّرْح أنه تلقى العلمَ على أبي حفص السَّهْرَوَرْدِي، وأنه قبيلَ الشُّرُوع في الشرحِ رأى النبيَّ (ﷺ) في النَّوْم، وناولَهُ قدحًا من اللبنِ فشَرِبَ مِنْه.

وفاته:

قضَى نحْبَه، وهو متوجِّهٌ على القِبْلَةِ يوم الثلاثاء ثالث عشر من شعبان سنة ثلاثٍ وأربعين وسبعمائةٍ.

محمّد بن مظفر الخطيبيُّ الخلْخَالِيُّ

المتوفَّى سنة 745هـ

هو محمدُ بن مظفَّر شمسُ الدين الخطيبيُّ الخلخالي، الحجةُ في كثيرٍ من العلومِ العقليةِ والنقليةِ.

مؤلفاتُه:

له كثيرٌ من المؤلفاتِ المشهورةِ: منها شرحُ التلخيصِ، وسمَّاهُ [مفتاح تلخيص المفتاح] و[شرح المفتاح].

وفاتُه:

توفّي سنة خمسٍ وأربعينَ وسبعمائةٍ.

يحيَى بن حَمْزَة العَلَوِيّ

المتوفّى سنة 749هـ

هو يَحْيَي بن حَمْزة بن على بن إبراهيم العَلَوِيِّ؛ أميرُ المؤمنين ببلادِ اليمَنِ من سنة 729 إلى سنة 749.

مؤلفاتُه:

منها كتابُ [الطِّرَاز] المتضمِّنُ لأسرارِ البلاغَةِ وعلومِ حقائقِ الإعْجاز)؛ في ثلاثِ مجلَّدات. سهْلُ العبارَةِ. جيِّدُ الترتيبِ، قال المؤلف: إنه اختارَهُ من أربعةِ كتُب: المثَلُ السائِرُ لضياءِ الدين بن الأثِيرِ، والتبيان لعبدِ الواحدِ بن عبد الكريم الزِّمْلَكَاني، والنهاية لابن الخطيب الرَّازي، والمصباح لبدْرِ الدين بن مالك.

وله كتابُ [الحاصِرُ لفوائدِ مقدمـةِ ابـن طـاهر] وهـو شرحٌ عـلى مقدمـةِ أبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشَاذ بن داود المصْـرِي، وكتـاب [الانتصـار عـلى علـماءِ الأمْصَار، في تقريرِ المخْتَار من مذاهبِ الأئمة وأقاويلِ الأمة]، وقد صـاغَهُ في ثمانيـة عشَرَ مجلَّدًا.

وفاتُـه:

ماتَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وسبعمائةٍ، عليه من الله الرحمةِ والرِّضْوان.

صفي الدين الحلي[1]

المتوفى سنة 750هـ

هو عبدُ العزيز بن سرايا بن على صفيُّ الدين الطائِيُّ الحِلِّيُّ، الإمامُ البليغُ الناثرُ الناظمُ؛ المجيدُ للقصائد المُطّوَّلَةِ والمقاطيعِ، له ألفاظٌ مصْقُولةٌ، ومعانٍ معسُولة، ومقاصِدُ كلها سهامٌ راشقَةٌ أو سيوفٌ مسلولَةٌ.

مولدُه:

ولد بالحِلَّةِ يوم الجمعة خامس شهرِ ربيع الآخر سنة سبعٍ وسـبعين وسـتمائةٍ، ورحل إلى مصر في سنة ستٍّ وعشرين وسبعمائةٍ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بـن الأثير؛ كاتبِ السرِّ ومدَحَه، ومدحَ الملكَ الناصر بقصيدة أزْرَى فيها بقصيدة المتنبـي التي أولها: (بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربًا) وهي بديوانه*.

(1) الحِلّة: قريةٌ قرب بغداد على فرعٍ من نهر دجلة.

* هذا شطرٌ من بيتِ المتنبي:

بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربَا   أللابساتُ من الحريرِ جلابِبَا=

= وهو مطلع قصيدته في مدح علي بن منصور الحاجب. والشموس الجانحات المائلات، والجلابيب جمع جلباب، وقد استعار الشموس للنساء، واللابسات تجريد للاستعارة.

مؤلفاته:

[الكافية البَدِيعيّة]، وقد نسَجَ على منوالها كل من جاء بعدَه من أربابِ البديعيات، ومنه لُحْمتها وسُداها، وأولها:

إنْ جئتَ سَلْعًا فسَلْ عنْ جِيرةِ العلمِ   واقْرِ السلامَ على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

ضمَّنَها مائةً وخمسين نوعًا من أنواعِ البديع، في مديح النبي (ﷺ) على مثالِ ما ذكره البُوصِيري في بُرْدَتِه وهَمزيّته، وله شرحُها المسمَّى [النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية].

شعرُه:

شعرُه في الغزلِ يعدُّ الغاية التي يتَّجِهُ إليه كل قاصد، والكعبة التي يحج إليه كل راغب، فمن ذلك قوله:

يا منْ حكتْ شمسُ النهار بحُسْنِها   وبعادُ منزلِهِ وبهجةُ نورِها

هلاَّ عدلتَ كعدْلِها إذْ صيّرتْ   للناسِ غيْبتُها بقدْرِ حُضُورِها

وقوله:

قيل إن العقيقَ يبطلُ للسحـ   ـر بتخْتِيمِه لسحْرٍ حقيقِي

وأرى مقلتيْكَ تنفُثُ سحرًا   وعلى فيكَ خاتمٌ منْ عقيقِ

وقوله:

شكوتُ إلى الحبيبِ أنينَ قلبي   إذا جنّ الظلامُ، فقال: إنّا (من الأنينِ)

فقلتُ: أظنُّك غيرَ راضٍ   بما كابدتُ فيكَ، فقال: إنّا (بمعنى نعم)

فقلـــت: أتــرضى أن نَــاءَ قلبــي   بأثقالِ الغرامِ؟ فقال: إنّا (إنَّ واسْـمُها)

وقوله: وهو من الموشّح المضمّن الذي افترعَهُ بثاقبِ فكـرهِ، ولم يسـبق إليـه، وقد نَحلَها بعضهم أبا نواس، وليست له:

وحقّ الهوى ما حلتُ يومًا عن الهـوَى   ولكــن نجْمـي في المحبّـة قـد هَـوَى
ومن كنتُ أرجو وصْـلَه قتلتِـي نَـوَى   وأضْـنَى فـؤادِي بالقطيعَـةِ والنَّـوَى

ولــيس في الهــوَى عجَــبُ   إذا أصَــــابَنِي النَّصَــــبُ
حامـــلُ الهَـــوَى تَعِـــبُ   يســــــتفزُّهُ الطَّـــــرَبُ

أخــو الحــبِّ لا ينفــكُّ صَــبّاً مُتــيمًا   غريــقَ دمــوعِ قلبِــهِ يشْـتَكي الظَّـمَا
لفرْطِ البُكـا قـد صـارَ جِلْـدًا وأعْظُـمَا   فلا عجـبَ أن يمـزجَ الـدَّمْعَ بالـدِّمَا

الغــــــرامُ أنْحَلَــــــهُ   إذْ أصَـــــابَ مقْتَلَـــــهُ
إنْ بكَـــى يحـــقُّ لـــهُ   لــيسَ مـــا بِــــهِ لَعِــــبُ

ألا قـلْ لـذاتِ الخـالِ يـا ربَّـةَ الـذكا   ومَنْ بضياءِ الوجْـهِ فاقـتْ عـلى ذَكَـا
شكوتُ غرامِي لـو رثيـتِ لَمـنْ شَـكَا   وأطلقتُ دمْعِي لو شفَا الـدمعُ مـن بَكَـا

فانثنَيْـــــتِ ســــاهيةً   والقلــــوبُ واهيــــةً
تضــــحكينَ لاهيــــةً   والمحــــبُّ ينتحــــبُ

أسرْتِ فـؤادِي حـين أطلقـتُ عـبْرتِي   وبــدَّلَتْني مـــن مُنْيَتِـــى بمَنِيَّتِـــى

ولَمَّـا رأيـتُ السُّـقْم أنْحَـلَ مُهْجتـي تعجبتِ من سُقْمي وأنكـرتِ قتْلتِـى

صِرْتُ إذا بَـــــدَا أَلَمِـــــي عنـــــدمَا أرقْـــتِ دمِـــــي

تعْجَبِـــين مِـــن سَــــقَمِي صِـــحَّتي هِـــيَ العَجَـــبُ

تحَجَّبْـتِ مِـنْ عينـي فأيقنـتُ بالشَّـقَا وآنسَـني فـرطُ الحِجـابِ مـن البَقَـا

فلـمَّا أُمِـيطَ السَّـترُ وارتحـتُ لِلِّقَـا غضـبتِ بـلا ذنـبٍ وغـادَرتْني لَقَـا

حـــين تُرْفَـــعُ الحُجُـــب منـــكِ يصْـــدُرُ الغضَـــبُ

كلَّـــمَا انْقَضــــَى ســـبَبٌ منـــكِ عـــادَ لي ســـبَبُ

وله ديوان شعرٍ؛ ثلاثُ مجلدات، جمعَه بنفسه، وكلُّه من عيون الشعر.

وفاته:

كانت وفاتُه في أوائلِ سنة خمسين وسبعمائةٍ رحمه الله وغفر له.

عبدُ الرحمنِ عضُدُ الدين
المتوفَّى سنة 756هـ

هو عبدُ الرحمنِ بن أحمد بن عبدِ الغفار الإيجِي الشِّيرازِي، الملقَّبُ بعضُدِ الدين، وقاضي القضاة، وشيخِ الإسلام. الإمامُ في المعْقُول والمنقول، العالمُ بالكلام وأصولِ الفقه والمعاني والبيان والنحو.

مولدُه:

ولد بإريج من أعمالِ شِيرَاز سنة ثمانين وستمائةٍ.

شيوخُه:

أخذَ عن مشـايخِ عصْرِـه، ولازم زيـنَ الـدين الهنْكـي؛ تلميـذ نـاصرِ الـدين البيضاوي.

تلاميذُه:

أنجبُ تلاميذه طبّقتْ شهرتُهم الخافقيْن: منهم الشَّمْسُ الكرمَـاني، والضـياءُ العفيفُ، وسعدُ الدين التفتا زاني.

مؤلفاتُه:

في علمِ الكلام: المواقفُ، ومختصرُها، والعقائِدُ العضُدية.

وفي الأصول: شرحُ مُختصر ابـن الحاجِـب، ورسـالةٌ في الوضْـع، ورسـالةٌ في آدابِ البحثِ والمناظرة، والفوائدُ الغياثيَّة في علوم المعاني، والبيان، والبـديع؛ وهـي تلخيصُ للقسم الثالثِ من المفتاحِ، حاذَى فيها الأصلَ حـذو القُـذَّة بالقُـذَّة*، وقـد لخَّص أمهاتِ المسائلِ فقط.

وقد شرحها جمعٌ كثيرٌ من العلماءِ أشهرُهم:

(1) شمسُ الدين الكرْمَاني؛ المتوفى سنة 786، وسماه [تحقيق الفوائد].

(2) شرحُ شمس الدين محمد بن حمْزة الفنري، المتوفى سنة 834.

(3) شرحُ محمد بن السيد الشريف الجُرْجَاني؛ المتوفى سنة 838.

(4) شرحُ السيد عيسى بن محمد الصَّفْوي؛ المتوفى سنة 955.

(5) شرحُ المولى أحمد بن مصطفى الشهير بطاشْكَبْرى زاده؛ المتوفى سـنة 948، وهو شرحٌ حافلٌ بالفوائد، والنقد لشرحَيْ السيد والسعد على المفتاح، ثـم اختصرَ هذا الشَّرح.

---

* القُذَّة: ريشةُ الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركبَ في السَّهم، وفي الحديث الشريف: "لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذوة".. يُضْرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان.

(6) شرحُ العلاّمةِ الشريف مير على البخاري؛ المتوفى بالآستانة سنة 950.

(7) شرحُ محمد بن حاجي بن محمد البُخَاري السَّعِيدي؛ الشهير (بقال أقول)، فرِغَ من تأليفه سنة 760، وأهداهُ إلى أبي الفوارِس شاه شُجَاع.

(8) شرحُ العلَّامة أحمد الشهير بالأبْهَرِي، من علماء القرن الثامن.

(9) شرحُ محمود بن محمد الفاروقي الجُونفُوري الهنديّ، وقد طُبع بالهند سنة 1331هـ، وسيأتي ترجمة مطوَّلَةٌ لهؤلاء الشُّرَاحِ بترتيب وفياتهم.

عملُه:

ولِيَ القضاءَ بمدينة سُلْطانِية، ثم انتقلَ إلى إيج واتَّخذَها دارَ إقامَتِه.

محْنَتُه ووفاتُه:

وقع بينه وبين أحمد الأبهري مؤلّف إيساغي في المنْطق؛ منازعاتٌ أدَّتْ إلى غضبِ أميرِ كرمان عليه، فحَبَسَه بقلعةِ دِرَيْمِيان حتى مات سجينًا.

بهاءُ الدِّين السُّبْكي
المتوفَّى سنة 773هـ

هو أحمدُ بن على بن عبدِ الكافي؛ العلاّمةُ بهاءُ الدين أبو حامدٍ السُّبْكي، ابنُ شيخِ الإسلام تقيُّ الدِّين أبي الحسَنِ السُّبكي.

مولدُه ونشأتُه:

ولد سنة تسعٍ وعشرين وسبعمائةٍ، وأخذَ العلمَ عن مشيخة عصره- كالبدْرِ بن جماعة والمُزِّي وأبيه وأبي حيان، في جماعَة آخرين، وبرَعَ في العلمِ وهو شابٌّ، وتولَّى التدريسَ بمدارس عدَّة؛ كالجامعِ الطُّولُوني، وجامع الحاكِم والشيخُونِيَّة، وتولى القضاءَ نائبًا عن أخيهِ سنةً ثم ولِيَ قضاءَ العسْكر وإفتاءَ دارِ العدْل، ثم تولَّى تدريسَ التفسيرِ بالجامِع الطولُوني بعد الأسْنَوِي.

كان كريمًا محببًا للناسِ، لجزيل برِّه وصِلاته لهُم. أُعْجِبَ به أبُوه فمدَحَه بقوله:

دروسُ أحمدَ خيرٌ من دروسِ عليّ   وذاكَ عندَ عليٍّ غايةُ الأمْرِ

وقوله:

أبو حامدٍ في العلمِ أمثالُ أنجُمٍ   وفي النقدِ كالإبريزِ أخْلَصُ في السَّبْكِ

فأوّلُهم مِنْ إسْفِرائين نَشْؤُه   وثانيهُم الطُّوسِي والثالثُ السَبْكي

مؤلفاتُه:

كتابُ [عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح]، وهو شرحٌ ممتعٌ؛ دلَّ به على سَعَةِ اطلاعه وغوْصِه في العلوم العربية، ولولا ما فيه من استطرادٍ مملٍّ، وحشْوِه بمسائل خارجةٍ من الفن؛ لكن خيرَ شروحِ التلخيص: لنصاعَةِ عبارتِه وسهولَةِ أساليبِه وذوقِهِ الأدبي، وعليه حاشية لمحمد بن أبي بكر عز الدين بن جماعة، وشرح مطوَّل على مختصر ابن الحاجِب في الأصول، وشرَعَ في شرحٍ مطول على الحَاوِي.

شعرُه:

له النظمُ الرائعُ الجميل، فمن ذلك قوله يمدَحُ شيخَه أبا حيان:

فِداكُم فؤادٌ حانَ للبُعْدِ فقْدُه   وصبٌّ قضَى وجدًا وما حالَ عَهْدُهُ

وقلبٌ جريحٌ بالغرامِ مُتَيَّمٌ   وطرفٌ قريحٌ طالَ في الليلِ سُهْدُهُ

فردَ عليه أبو حيان بقوله:

أبو حامدِ حتمٌ على الناسِ حَمْدُه   لما حازَ من علمٍ به بانَ رُشْدُهُ

غَذِيَّ علومٍ لم يزلْ منذُ نَشْئِهِ   يلوحُ على أفْقِ المعارِفِ سَعْدُهُ

ذكـيٌّ كـأنْ قـد جَـاحِمُ النـارِ ذهنُـهُ   ذكـاء ومِـنْ شَـمْسِ الظهـيرَةِ وقْـدُهُ
ومن حـازَ في سـنِّ البلـوغِ فضـائِلاً   زمانَ اعتـدَى بـالعيِّ والجهْـلِ ضِـدُّهُ

وفاتُه:

توفي في رجب سنة ثلاثٍ وسبعين وسبعمائةٍ بمكة رحمه الله.

محمدُ بن يوسف ناظرُ الجيْش
المتوفَّى سنة 778هـ

هو محمدُ بن يوسف بن أحمد الحلَبي، محبُّ الدين ناظِرُ الجيشِ، العالمُ باللغةِ العربيةِ وغيرها.

مولدُه ونشأتُه:

ولد سنةَ سبعٍ وتسعين وستمائةٍ بحلبَ وتلقَّى العلـمَ بهـا، ثـم قـدِمَ القـاهرة، ولازمَ دروسَ أبي حيان والجلالِ القزويني والتاجِ التبْرِيـزي؛ وسـمِعَ الحـديثَ مـن الحجَّار وغيره، فمَهَرَ في العربيَّةِ وحدَّث وأفادَ؛ ودرَّسَ بالمدرسة المنصورية التفسيرَ، وكانت له اليدُ الطُولى في فنِّ الحِسَاب، ثم ولِيَ نظرَ الجيشِ فارتفعَ قدْرُه، وعلا ذكْرُه، ونفذَتْ كلمتُه، وكَثُرَ بذلُه وعطاؤُه، وبعُدت هِمّتُه؛ وهو على كرَمِه وجُودِهِ كان بخيلاً بطعامِه؛ حتى إنه كان يقول: إذا رأيتُ شخصًا يأكلُ طعـامي ظننـتُ أنـه يضـربُني بسكّين!

مؤلفاتُه:

شرحُ تلخيصِ القزْوِيني شرحُ التسهيل لابن مالك إلا قليلاً، وقد عُنِي بتفْنيدِ اعتراضاتِ أبي حيان على ابن مالك.

وفاتـه:

توفي ثاني عشر من ذي الحجة سنة ثمانٍ وسبعين وسبعمائةٍ.

ابنُ جابرٍ الأندلسِيُّ

المتوفّى سنة 780هـ

هو أَبُو عبدِ الله محمدُ بن أحمد بن على بن جابر، شمسُ الدين الأندلسي المُـري الهَواري الضَّرير المالكيّ.

مؤلفاته:

البديعيَّةُ التي سمَّاها [الحلَّةُ السَّيْرا في مدحِ خيْرِ الوَرَى] وهي المشهورة ببديعيةِ العِمْيَان، وأولها:

بطيبْـةَ انــزِلْ ويَمِّــمْ ســيِّدَ الأمُـمِ وانشرْ لهُ المدحَ وانثـرْ أطيـبَ الكَلِـمِ

وقد شرحَها شهابُ الدينِ أحمدُ بن يوسف الغرْنَـاطِي، بشرحٍ سـمَّاهُ [طـراز الحُلّة وشِفاءُ الغُلَّة].

وفاتـه:

توفّي في شهرِ جُمادَي الآخرة سنة ثمانين وسبعمائةٍ.

مُحَمَّدُ البابَرْتِي
المتوفَّى سنة 786هـ

هو محمدُ بن محمدٍ أكملُ الدينِ البابَرْتِي[1]، الإمامُ المتبحِّرُ الحافظُ للحديث وعلومه، الواسعُ الاطلاع على اللغة العربية والنحو والصرف والبيان.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ سنة بضع عشرة وسبعمائةٍ، وجدَّ واجتهدَ في تحصيلِ مختلفِ الفنونِ في بلادِه، ثم رحلَ إلى حلَب؛ وأخَذَ عن علمائِها، ثم ارتحلَ إلى القاهرةِ بعد سنةِ أربعين وسبعمائةٍ، وأخذَ عن شمسِ الدين الأصفَهَانِي وأبي حيان، وسمِعَ الحديثَ من الدَّلَاصِي وابنِ عبدِ الهادي.

عِظَمُ منْزِلَتِه:

فوَّضَ إليه شيخُون إدارةَ خانْقَاه وجعلَه شيخًا لها، وعظمت منزلته لديه ولدَى من بعده، وبلغَ من أمْرِه أن كان الظاهرُ برقوق يجيءُ إلى نافذةِ الشيخونيَّة، ويكلِّمُه وهو راكبٌ ينتظرُه حتى يخرجَ ويركبَ معه، وما ذاكَ إلا لعظيمِ فضْلِه وعلْمِه، ووفْرَةِ عقلِه وعزَّةِ نفْسه، وعرضَ عليه القضاءَ غير مرة فأبى.

مصنَّفَاتُه:

شرحُ تلخيص المفتاح للقزويني، شرحُ ألفية ابن معطٍ، شرحُ الهداية في فقه الحنفية، شرحُ المنار في الأصُول، شرح البزْدَوي في الأصُول، شرح مختصر ابن الحاجِب، حاشيةٌ على الكشاف.

وفاتُه:

---

(1) بابرتا: قرية بنواحي بغداد.

مات ليلة الجمعة تاسع عشر من شهرِ رمضان سنةَ ستٍّ وثمانين وسبعمائة، ودُفِن بالشيخونيَّة، وحضَر جنازتَه جمٌّ غفيرٌ من الناس، واحتفى به السلطانُ فمن دونه.

محمدٌ بنُ يوسف الكرْمَانِي
المتوفَّى سنة 786هـ

هو محمدٌ بنُ يوسف بن سعيد شمس الدين، العلَّامة في الفقه والحديث والتفسير والأصول والكلام وعلوم العربية، الكرْماني ثم البغْدادي.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ يوم الخميس السادسِ والعشرين من جُمادى الآخرة سنةَ عشر وسبعمائةٍ، وتلقَّى على والدِه بهاء الدين، ثم انتقل إلى كرْمان وأخذ عن العضُد وغيره، ومَهَرَ وفاق أقرانَه، وفضلَ أهل زمانه، ثم دخَل دمشق ثم مصر؛ وبها قرأ البخاري على ناصرِ الدين الفارقي، ثم حجَّ ورجَع إلى بغداد واستوطنَها.

أخلاقُهُ:

كان فيه بشاشَةٌ، وتواضعٌ للفقراءِ وأهلِ العلم، لا يكترثُ بالدنيا وزخْرُفها؛ ولا يأبهُ بأهلِ السلطان والجاه، تأتي الملوكُ إلى بيته يطلبُون منه صالحَ الدعَوات.

تواليفُه:

شرحُ الفوائِدِ الغياثيةِ في علوم البلاغة، شرحُ مختصر ابن الحاجب وسماهُ السبعة السيَّارة، شرحُ الجواهر، أنموذجُ الكشّاف، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي؛ وصلَ فيها إلى سورةِ يوسف، رسالةٌ في الكحل، شرحُ المواقف، شرحُ البخارِي وهو عمدةُ الشُّرَّاح الذين جاءُوا من بعدِهِ كابن حجر والعيني.

وفاتُه:

توفِّي بكرةَ يوم الخميس عاشِر المحرَّم سنة ستٍّ وثمانين وسبعمائةٍ هجرية.

شمسُ الدِّين القَوْنَوِي

المتوفى سنة 788هـ

هو محمدٌ بنُ يوسف، شمسُ الدِّين القَوْنَوي، الحنفِي العالمُ الزاهدُ، الإمامُ في فنونٍ كثيرة لاسيَّما علمَيْ المعاني والبيان، وخالفَ علماء الحنفية في مسائل إذْ وجدَ الحديثَ يخالفُها.

منزلتُه:

كان ورِعًا زاهدًا لا يقبلُ وظيفةً؛ ولا يمكِّنُ أولادَه من ذلك، مع حرمةٍ وجاهٍ عندَ السلاطين والقضاة، وهم يقصدُونه ويعظِّمُونه، ولايلتفتُ إليهم، ويخاطبُهم بغليظِ القولِ، ويتقبَّلُون ذلك منه. قال تقيُّ الدين السُّبكي: لا أعلمُ اليومَ مثله في الدِّين والعلم، وكان مولعًا بالفرُوسِية وآلاتِ القِتَال، ولا يخرجُ من بيتِه لجماعةٍ، ولا جمعةٍ، وبنَى له بُرْجًا على السَّاحِل.

مؤلفاتُه:

له مؤلفاتٌ تدلُّ على غزارةِ علمِه ودقيقِ فهْمِه، من ذلك: شرحُ تلخيصِ المفتاح للقزويني، واختصارِ المفصَّل للزمخْشَري، ودُرَرِ البحار؛ جمع فيه المجمَّعَ وزادَ مذهب أحمد، وشرح عُمْدَةِ النَّسَفِي في أصول الدين.

وفاتُه:

توفي خامس جمادى الأولى سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائةٍ.

المُوصِلِـي
المتوفَّى سنة 789هـ.

هو عليٌّ عزُّ الدين بن الحُسَيْن المُوصِلي الحنْبَلِيّ.

مؤلفاتُه:

البديعيَّةُ المسَّاة (التوصُّل البديع على التوسُّل بالشفيع) وأولها:

براعــةٌ تســتهلُّ الــدمعَ في العَلَــمِ عبــارةٌ عــن نــداءِ المُفْــرَدِ العَلَــمِ

وله شرحٌ كبيرٌ لها؛ يوازِن فيه بين بديعيتِه وبديعيَّات من قبْلِه.

وفاتُه:

توفِّي سنة تسعٍ وثمانين وسبعمائةٍ هجرية.

سعْدُ الدِّين التفتَازَانِي
المتوفَّى سنة 792هـ

هو مسعودُ بنُ عمر بـنُ عبـدِ الله مسـعودُ التفتَـازانِي؛ الإمـامُ العـالمُ بـالعلوم العربية والكلامِ والأصولِ والمنطق، وكان في لسانِهِ حُبْسَةٌ.

مولدُه:

ولد بتفتَازَان؛ وهي بلدةٌ بخراسَان في صفر سنة اثنتيْن وعشرين وسبعمائةٍ.

نشأتُه:

تلقى العلمَ على العلَّامَة القطب والعضُد وغيرهما.

منزلتُه:

اشتهر ذكْرُه، وطارَ صيتُه في الآفاق، وكان من محاسنِ الزمان، وأحدِ الأعلامِ والأعيان، وقد خلَّد التاريخُ ذكره في بطونِ الأوراق.

مصنَّفَاته:

له التآليفُ التي تدلُّ على عظيمِ قدْرته، ومزيدِ فطْنَتِه وذكائِه؛ منها: الشرحان الكبير والصغير على تلخيص المفتاح؛ أتمَّ الأول بهَرَاة سنة 748، والثاني سنة 756، وشرح الرسالة الشَّمْسية المعروف بالسَّعْدية أتَمَّهُ في جمادى الآخرة سنة 757 بمزار جام، وحاشيةُ التلويحِ على التوضِيح في الأصول أتمها في ذي القعدة سنة 768هـ بترْكِسْتان، وشرحُ عقائد النسفي أتَمَّهُ في شعبان سنة 768هـ، وحاشيةُ شرح مختصر ابن الحاجب للعضُد أتمَّها في سنة 770، ورسالةُ الإرشاد أتمها في سنة 774هـ بخوارِزْم، والمقاصدُ وشرحُها في علم الكلام أتمهما في ذي القعدة سنة 784هـ بسمرقَنْد، وتهذيبُ المنطق والكلام أتمه في رجب سنة 789، وشرحُ المفتاح أتمَّه في شوال من تلك السنة بسمرقند، ومفتاحُ الفقه أتمه سنة 772، وشرحُ تلخيص الجامع الكبير سنة 786 بسرخس، وحواشي الكشَّاف أتمَّها في الثامن من شهر ربيع الأول سن 789، وشرحُ الزنْجَانِي في الصَّرْف عملَهُ حين بلغ عُمْرُه ست عشرة سنة في شهر شعبان سنة 738، وشرعَ في تأليفِ الفتاوى الحنفية يوم الأحدِ التاسعِ من ذي القعدة سنة 769.

ملاحظتان:

الأولى- اختلِفَ في المذهبِ الذي كان يتعبَّدُ عليه، فطائفةٌ جعلوه حنفيًا من جرَّاء تصانِيفِه في فقهِ أبي حنيفه، ومن هؤلاء ابن نُجَيْم المَصْرِي صاحب البحْرِ الرائقِ في فقه الحنفية، قال: إليه انتهت رياسةُ الحنفية في زمانِه، حتى ولِيَ قضاءَ

الحنفية، وله تكملةُ شرحِ الهدايةِ للسُّرُوجِي، وفتاوى الحنفية، وشرح تلخيص الجامع الكبير.

وطائفةٌ جعلُوهُ شافعيًا منهم صاحبُ كشف الظنون، وحسن جلبي في حواشيه على المطوَّل والكفوي، قال: كان التفتازاني من علماءِ الشافعيَّةِ وله آثارٌ جليلةٌ في أصولِ الحنفية، والسُّيُوطي في بُغْية الوعاة.

الثانية- السَّيِّد الشَّريف وإن فاقَه ذكاءً وغلبَهُ في البحثِ والجَدَل؛ لا يصلُ إلى منزلته في دقَّةِ الفكْرِ والغوْصِ على المعاني، وقد كان في بدْءِ التأليفِ وأثناءِ التصنيف يغوصُ في بحارِ تحقيقاتِه، ويلتقطُ الدرَّ من تدقيقاتِه، ويعترفُ برفعةِ شأنِهِ وجلالَةِ قدرِه وعلوِّ مقامِهِ، إلا أنه وقعت بينهما مُنَافَرَةٌ؛ بسببِ المناظَرَةِ التي كانت في مجلسِ تيمُورلنْك، وحلَّ الخلافُ محلَّ الوفاقِ، والتزمَ كلٌّ منهما تزييفَ ما قالَ الآخَرُ.

وقد قالَ مؤرخُ المغربِ القاضي عبد الرحمن بن محمد الحضْرَمِي المالكي؛ الشهير بابن خلدون في مقدِّمَةِ تاريخِهِ: وقفتُ بمصرَ على تآليف متعددةٍ لرجلٍ من عظماءِ هرَاة من بلادِ خُراسان اشتهرَ بسعد الدين التفتازاني، تشهدُ بأن لهُ ملكةً راسخةً في علمِ الكلام وأصولِ الفقه والبيان، وفي أثنائِها ما يدلُّ على أن لهُ اطلاعًا على العلومِ الحكْمِيَّة، وقدمًا عالية في سائرِ الفنون.

وفاته:

توفي بسمرقند سنة اثنتين وتسعين وسبعمائةٍ هجريةٍ.

جلالُ الدِّين التِّيزِيتي
المتوفّى سنة 793هـ

هو جلالُ بن أحمد بن يوسف التيزيتي[1]؛ المعروفُ بالتبَّانِي الملقَّب بجلال الدين.

نشأتُه:

تلقَّى الحديثَ على العلاءِ التركمانِيِّ والإتقَانِي، والعربيَّةَ على ابن عقيل وابن هشام وابن أم قاسم.

فضْلُه وعلْمُه:

برعَ في فنونٍ كثيرةٍ، مع ورعٍ ودينٍ وبرٍّ كثير، وإليه انتهتْ رياسةُ الحنفيةِ في زمانِه، وعرضَ عليه القضاءَ مرارًا فأَبَى، وقال إن هذا يحتاج إلى دُرْبَة ومعرفة اصطلاح، ولا يكفي فيه العلمُ وحدَه.

مؤلفاتُه:

شرحُ تلخيص المفتاح، مختصرُ شرحِ البخاري لمغْلَطَاي، منظومةٌ في الفقهِ وشرْحها، شرحُ المشارِق، شرحُ المنار في الأصول، منعُ تعدُّدِ الجمعة.

وفاتُه:

توفي بالقاهرة ثالث عشر من رجب سنة ثلاثٍ وتسعين وسبعمائةٍ، عن بضعٍ وستين سنةٍ.

(1) التبَّانة: خطة معروفة بالقاهرة كان يسكُنُ فيها.

جمالُ الدِّين الاقْصُرَائِي
المتوفَّى قبل سنة 800

هو محمدُ جمالُ الدين بن محمدٍ الأقصُرَائي.

مؤلفاتُه:

منها: شرحُ إيضاح القزْوِيني، وطريقتُه فيه، أن يكتبَ الأصْلَ بتمامِه، ثم يعلِّقُ عليه بكلامٍ أقل منه، وكانت العادةُ جاريةٌ بأن يكتبَ المتْنَ بالمدادِ الأحمر، والشرحَ بالمدادِ الأسود، ولما رآه السَّيِّدُ الشريفُ الجُرْجَاني لمْ يعْجِبْه، وقال (إنه كلحْمِ بقرٍ عليه ذُبَاب)، ولمَّا سمعَ بعضُ طلبته ذلك؛ قالوا له اذهبْ تجد تقريرَه أحسنَ من تحريرِه، فذهبَ إليه في بلدة، فصادفَ جنازتَه حين دخوله بلده، ولقيَ هناك المولْى محمد الفنَاري شمس الدين وارْتحَلا إلى مصر، وهناكَ قرآ على أكْمَلِ الدين البابَرْتِي، صاحبِ العنايةِ حاشيةَ الهدايَةَ، ويُوجَد نسخَةٌ مخطوطةٌ من هذا الشَّرْح بدار الكتب المصرية.

وفاتُه:

لا تُعْلَمُ سنةُ وفاتِه بالضبْط، ولكن المعروفَ أنه توفِّي قبل سنةِ ثمانمائةٍ هجْرية.

السيِّدُ عبدُ اللّه
المتوفّى حوالي ثمانمائة هجرية.

هو عبدُ الله العجَمِي؛ السيد جمال الدين النَّقْردكاَر (صائغُ الفِضة).

مؤلفاتُه:

له تصانيفُ مشهورةٌ مُتَداولَةٌ بين أيدي النَّاس، منها شرحُ الشافية والصَّرْف ألَّفَهُ للأمير الجاني، وشرحُ التلخيص، وهو شرحٌ ممزوجٌ بالمتن للأمير منكلي بغا، وشرحُ اللب، وشرحُ اللباب.

وفاتُـه:

لا تُعْلَمُ سنةُ وفاتِه بالضبْطِ، وإنَّما المعروفُ أنها كانت حوالي ثمانمائةٍ هجْرية.

محمَّد بنُ خضْرِ العَيْزَرِي
المتوفَّى سنة 808هـ

هو محمّد بن خضْر بن شَمَّرِي شمسُ الدين العيْزَري؛ من سلائِلِ عُروة بن الزُّبيْر بن العَوَّام القُرشِيّ الأسَدِيّ.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ بالقدْس في شهر ربيع الأول سنة 724، ثم ارْتحَل إلى غزَّة، ثم إلى دمشق وتلقَّى العلْم على جُلَّة العلماءِ في هذه البلاد، ثم اشتغلَ بنشْر العلم في غزة، وأجازهُ السَّراجُ البلْقِيني والتاجُ السُّبكي.

مؤلفاتُه:

له كثيرٌ من المؤلفاتِ في مختلفِ الفنُون، منها مصباحُ الزّمَان في المعاني والبيان وشرحُه، وسلسالُ الضَّربِ في كلامِ العرَب في النحو، ودقائقُ الآثارِ في مختصَرِ مشارقِ الأنوارِ، البروقُ اللوامعُ فيما أوردَ على جمْعِ الجوامِعِ للسبكي في الأصول؛ ذكَرَ فيه أنهُ بعَث به إلى تاج الدين السبكي مصنفه فأثنى عليه وأجاب عنه، وتشنيف المسامع في شرح جمع الجوامع، توضيح مختصر ابن الحاجب، بلغة ذوي الخصاصة في حل الخلاصة لابن مالك، وسائل الإنصاف في علم الخلاف، المناهل الصافية في حل الكافية لابن الحاجب، الغياث في تفصيل الميراث، غرائب السير ورغائب الفكر في علوم الحديث، الكوكب المشرق في علم المنطق، أسنى المقاصد في تحرير القواعد.

وفاته:

توفي في ذي الحجة سنة ثمانٍ وثمانمائةٍ هجريةٍ.

السَّيِّدُ الشَّرِيفُ الجُرْجَانِي

المتوفّى سنة 816هـ

هو عليُّ بن محمد بن على المعروف بالسّيد الشّريف، والسّيد السَّنَد، والسيّد الجُرجَاني: العالمُ الذي حازَ قصَبَ السَّبْق في التَّحْرِير والتحْبِير، الفصيحُ العبارَة، الفارسُ في البحثِ والجدلِ الحنفِيُّ المذهب.

مولدُه ونشأتُه:

ولد بجُرجان لثمانٍ بَقِينَ من شعبان سنة أربعين وسبعمائةٍ، وصرَفَ أقصى جهْدَه في العلومِ العربيةِ والعقليَّةِ والنقليَّةِ، وحضرَ دروسَ قطب الدين الرَّازِي بهرَاة، وكان قد كبرتْ سنُّهُ؛ فرآه متوقدَ الذكاءِ، فأشارَ عليه بأن يذهبَ إلى أحدِ تلاميذه؛ المَوْلى مُبَارك شاه بمصْر، فذهبَ إليه بصحْبَةِ شمسِ الدين محَمد الفنَاري، وبها قرأَ على أكْمل الدِّين البابَرْتِي العلومَ الشرعيةَ، وما زال بها حتى فاقَ الأقْرَان، وارتفعَ شأنُه، وقَوِيَ سلطانُهُ، ثم رجعَ إلى شيراز، واتخذَها موطنًا له، ولازمَ الدَّرْس، والاشتغالَ بالعلمِ.

ولما تولَّى تيمورُ الأعْرجَ السَّلطنة، وقدِمَ شِيراز، وأمرَ بالسَّلْبِ والنَّهْب؛ أعطى السيدَ الأمانَ، وأكرمَ وفادَتَه لفضله وعلمِه، ثم التمسَ منه الرحلةَ إلى سمَرْقَنْد؛ فأذِنَ لهُ وأقام بها مدةً ملازمًا الدرسَ والإفادَة.

مناظرةٌ بينَه وبينَ سعدِ الدِّين

جرَى بينَه وبين سعدِ الدِّين مناظرةٌ في مجلسِ تيمور (وكان سعد الدين مبجَّلاً مكرَّمًا في مجلِسِه)، في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية في كلامِ صاحبِ الكَشَّاف

في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾*، وكان الحكَمَ بينهما نعمانُ الدين أبو عبدِ الجبار الخوارزمي المعتزليّ، فحكمَ بتفضيلِ رأيِ السَّيِّد، واشتهرَ ذلك بين جمهرةِ الناس، فاغتمَّ سعدُ الدين، ولم يعشْ بعد هذه الواقعة إلا قليلاً ومات.

مؤلفاتُه:

ترْبُو مؤلفاتُه على خمسين مُصنفًا، منها حاشيةٌ على شرح المطوَّل لسعد الدين على التلخيص؛ انتقدَ فيها مواضِع كثيرةً من كلام السعد، وشرح القسم الثالث من المفتاح، حاشيةٌ على شرحْ المطالع، حاشيةٌ على شرح حكمة العين، حاشيةٌ على شرح الطوالع، حاشيةٌ على شرح الشمسية للقطب الرازي، شرحُ الفرائض السرجية، رسالةٌ في الوجودِ على طريقة الصوفية، شرحُ مختصر الأبْهَري المعروف بإيساغي، شرحُ المواقف للعضُد، حاشيةٌ على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب، رسالةٌ في المناظرة، وهي المشهورة بالشريفيَّة، ورسالةٌ في تعريف الأشياء وهي المسمَّاة (بالتعريفات للجرجاني)، شرحُ تذكرة الطوسي في علم الفلك، حاشيةٌ على المشكاة، شرحُ ملخّص الجغْمِينِي، شرحُ حكمة الإشراق، العواملُ الجُرْجانية، رسالةٌ في الوضْع، التلويحُ والتوضيحُ، مَتْنُ أشكالِ التأسِيس، شرحُ قصيدة كعب بن زهير، مقدمةٌ في الصرف بالفارسية.

وفاتُه:

توفّي يوم الأربعاء السادسِ من شهر ربيعٍ الثاني سنة ست عشرة وثمانمائةِ.

* سورة البقرة: 5.

عزُّ الدِّين بن جَمَاعَة
المتوفّى سنة 819هـ

هو محمدُ بن أبي بكر بن جماعَة عزّ الدين، العالم المفتنّ الحمويّ الأصوليّ المتكلّمُ الجدليُّ النظَّارُ النحويُّ اللغويُّ البيانيُّ الجامعُ لأشتات العلوم، وفيه يقولُ ابن حجر مادحًا.

وكان من العلومِ بحيثُ يقْضي لـهُ في كلّ فنٍّ بالجميعِ

مولدُه ونشأتُه:

وُلِدَ بالينبوع سنة تسعٍ وخمسين وسبعمائةٍ، وحفظَ القرآن في شهر واحد*، واشتغلَ بالعلم في الكبر، وأخذَ عن السراج الهنْدِي، وناظرِ ، وصار المشارُ إليه بالبنانِ في الديارِ المصرية؛ والمفاخرُ به علماء الأعاجِم في كل فنّ.

مؤلفاته:

جاوزتْ مؤلفاتُه الألف، فإن له في كلِّ كتابٍ أقرأه تأليفًا أو تأليفين أو ثلاثة، ما بين شرحٍ مطوَّل ومتوسِّط ومختَصَر، وهي على كثرتها ليس لها حظ من الشهرة، منه مختصر التلخيص للقزويني، حاشيةٌ على شرْحِ عروس الأفراح للسبكي، ثلاثُ حواشٍ على المطَوَّل لسعد الدين التفتازاني، حاشيةٌ على المختَصَر له، حاشيةٌ على شرْح ابن الناظم للألفية، حاشيةٌ على شرْح التوضيح لابن هشام، حاشيةٌ على مُغني اللبيب، حاشيةٌ على الألفية، حاشيةٌ على شرحِ الشَّافي للجار بردي، مختصَرُ التسهيل، وسماه (القوانين) شرحُ علوم الحديث لابن الصلاح، تخريجُ أحاديث الرافعي، مختصرُ الروض الأنف للسهيلي، وسماهُ (نور الروض)، الجامعُ في الطب، أوثقُ الأسبابِ في الرمي بالنشاب، الأمنيةُ في علم الفروسية.

---

* من الممكن عقلاً حفظُ القرآن في شهرٍ واحد، ولكنه عمليًا غير ممكن، فالأمرُ يحتاج إلى وقتٍ غير قصير.

وفاته:

مات بالطاعون في جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثمانمائةٍ، فعمَّ الحزنُ عليه.

حَيْدَرةُ الشيرازي
المتوفّى سنة 820هـ تقريباً

هو حَيْدرة بن أحمد بن إبراهيم الشِّيرازي، الفقيهُ الرحَّالَةُ.

مولدُه:

ولدَ بشيراز سنة ثمانين وسبعمائةٍ، ورحلَ إلى كثيرٍ من البلدان، واجتمعَ بسعد الدين التفتازاني والسَّيِّد الشريف الجرجاني.

فضلُه:

كان حافظًا لكثيرٍ من عيون الشعر، فصيحًا، حُلْو المحاضَرة، متقنًا للعربيَّة والتركية والفارسية، مُجيدًا للموسيقى والألحان وصنَّف فيهما، مع ورعٍ جمٍّ ودينٍ وبرٍّ.

مؤلفاته:

لا نَعْلم لهُ من المؤلفاتِ سوى شرْحِه لإيضاحِ القزويني، شرحًا ممْزوجًا بالمتن كشرْحِ الأقصُرَائِي له.

وفاته:

توفي بعد عشرين وثمانمائةٍ هجريّة.

محمّد بن حمْزَة الفَنَارِي
المتوفّى سنة 834هـ

هو محمّد بن حَمْزَة بن محمد الرُّومِي، شمسُ الدين الفنَاري(1)؛ العالمُ بالعربية والمعاني والقراءات.

مولدُه:

ولِـدَ في صـفر سـنة إحـدى وخمسـين وسـبعمائةٍ، وأخـذَ عـن الجـمَال محمـد الأقصُرائي، ورحلَ إلى مصر وأخذ عن أكمل الـدين وغـيره، واجتمـع بـه فضـلاءُ عصره وباحثُوه في فنونٍ كثيرة، وشَهِدُوا له بالفضل، ثم رجع إلى بـلادِ الـروم فـولِيَ قضاء برُوسَا، وارتفعَ قدره لدَى بني عثمان، واشتهر ذكرُه، وشاعُ فضله، وأثْرَى جدّ الثراء.

مؤلفاتُه:

شرحٌ على الفوائِدِ الغياثيَّة في علومِ البلاغة للعضُد، وكتاب فصول البدائعِ في أصولِ الشرائع، وشرحُ إيساغوجي عمله في يـومٍ واحـد، وتفسـيرُ الفاتحـة، وشرحُ الرحبِيَّة في الفرائِض وهو مـن أحْسَـن شرُوحِهـا، وتعليقـاتٌ عـلى شرحِ المواقِـف، وأنموذجُ العلوم وهو رسالةٌ فيها مسائلُ من مائةِ فن.

وفاتُه:

توفِّي في رجب سنةَ أربع وثلاثين وثمانمائةٍ هجْرِية.

---

(1) نسبة إلى صنْعَة الفنَار، قاله الكافيجي.

تقيُّ الدِّين بن حِجّة الحَمَوِي
المتوفّى سنة 837هـ

هو أبُو بكر بن على بن محمد تقي الدين؛ المعروفُ بابن حجّة الحمَوِي.

مؤلفاته:

منْها البديعيَّةُ المسَّاةِ (تقديم أبي بكر) وأولها:

لِي في ابْتِدَا مَدْحِكم ياعربُ ذي سَلَمِ براعةٌ تستَهِلُّ الدَّمْعَ في العَلَمِ

وقد شرحَهَا المؤلفُ بشرحٍ سمَّاهُ (خِزَانَة الأدَب) فرغَ من تأليفِهِ في شهر ذي الحجة سنة 826هـ.

ونقدَهَا أبو بكر بن عبد الرحمن العلويّ الحسينيّ الحضْرَمِيّ، بكتابٍ سمَّاهُ (إقامَة الحُجَّة على التقِيِّ بن حجّة) وتكلَّم على كل بيتٍ منها بما ظهَرَ له، وقد طُبِع بالهنْد سنة 1305هجرية.

وفاته:

توفِّي سنةَ سبعٍ وثلاثين وثمانمائةٍ هجريّة.

ابنُ المقْرِئ
المتوفّى سنة 837 هـ

هو إسماعيلُ بن أبي بكر شرفُ الدين، المعروفُ بابنِ المقْرئ الشافعيّ اليمنيّ.

مؤلفاتُه:

منها البديعيَّةُ المسماة: (بالجواهِرِ اللامِعَةُ في تجنيسِ الفرائِـدِ الجامِعَـة للمعـاني الرائِعَة) وأولها:

شارفتَ ذرْعًا فذرعْنَ ماءَها الشَّـبِمِ وجُزْتَ نمْلأ فـنَمْ لا خـوفَ في حَـرَمِ

وقد جمعَ فيها مائةً وخمسين نوعًا من أنواعِ البديع، وعمِلَ لها شرحًا.

وفاتُـه:

توفي سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وثمانمائةٍ هجريّة.

محمَّد بن السّيِّدِ الشَّرِيف
المتوفّى سنة 838 هـ

هو محمَّد بن عليّ السّيد الشريفُ الجُرْجاني، قرأَ عـلى والـدِه، وبـرعَ في علـوم كثيرة.

مؤلفاتُه:

منها شرحُ الفوائدِ الغياثيَّة في المعاني والبيان والبديع، وأكْمَلَ حاشية أبيه عـلى الشرْحِ المتوسط لكافيةِ ابن الحاجِب في النحو، وشرحُ الإرشاد في النحو لسعد الدين التفتازاني، وتعريبُ رسالتين كبرى وصغرى لأبيه في المنطِق.

وفاتُـه:

توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وثمانمائةٍ هجريَّة.

محمدٌ الطَّائِي البِسَاطي
المتوفَّى سنة 842 هـ

هو محمّد بن أحمد الطَّائِي البِسَاطِي؛ أبو عبدِ الله، شمسُ الدين المالِكي.

مولدُه ونشأتُه:

ولد ببِسَاط(1) سنة ستين وسبعمائةٍ، ورحلَ إلى مصْر سنة 887، واشتغل بتحصيِ العلم، فبرعَ في فنونٍ كثيرة، وعاشَ دهرًا بائسًا، ثم واتاه الحظُّ فتولَّى التدريسَ في مدارس عدة، ثم تولَّى القضاءَ عشرين سنة على الولاءِ.

مؤلفاتُه:

حاشيةٌ على شرحِ الإفصاحِ (المطوَّل) لسعدِ الدِّين التفتازاني، حاشيةٌ على شرحِ المطلع للقطب، حاشيةٌ على شرحِ المواقفِ للسَّيِّد الجُرْجَاني، نكتٌ على طوالِع البيْضَاوي، المُغْني في الفقه، شفاءُ الغَلِيل في مختصَر خليل في مذهبِ مالك.

وفاتُه:

مات بمرض "القُولَنْج" يوم الخميس ثاني عشر من شهرِ رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائةٍ.

(1) قرية من قرى أعمال الدقهلية قريبة من فارسكور.

علاءُ الدِّين البُسْطَامِي
المتوفَّى سنة 871 هـ

هو عليُّ بن محمد علاء الدين الشَّاهرُوزِي البسطامي؛ الشهير بمُصَنَّفك.

مؤلفاتُه:

حاشيةٌ على شرحِ السَّيد الشريف على القسْم الثَّالث من المفتاح، ذكر فيها أنه ألفَهَا أثناء تدريسِه للكتابِ ببلدةِ لارندة ببلادِ التُّرْك في شهر ذي القعدة سنة 849.

وفاتُه:

توفِّي سنةَ إحدى وسبعين وثمانمائةٍ.

المَوْلَى خَسْرُو
المتوفّى سنة 885 هـ

هو محمَّد بن فرامُوز؛ الشهير بالمَوْلى خسْرُو.

نشأتُه:

تلقَّى العلمَ عن برهانِ الدين حيْدَرة الهَرَوِي؛ من تلاميذِ سعد الدين التفتازاني، ثم صارَ مدرسًا في مُدَّة السلطانِ مُراد خان بمدرسةِ أخيه، ثم صار قاضِيًا للعسْكر زمن السلطانِ محمّد خان بن مُراد خان، ثم قاضيًا للقسطنطينية.

مؤلفاتُه:

كان واسعَ المعرفةِ، كثيرَ الفضْلِ، عالمًا بالعلومِ العقْليَّة والنقْليَّة، ومن مصنّفاته متْن الغُرر وشرحه الدُّرَر في فقهِ الحنفية، وهو كتابٌ مُتَدَاول؛ يُقْرَأ في الأزهرِ

الشَّريف، ومرقاةُ الأصولِ وشرْحُه، وحواشٍ على تفسيرِ البيضاوي، وحواشٍ على شرحِ الإفْصاح (المطوَّل) لسْعْدِ الدِّين التفتازاني.

وفاتُه:

توفّي بالقسطنطينيِّة، ثم نُقِل إلى برُوسَا سنة خَمْسٍ وثمانين وثمانمائةٍ.

أبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِي
المتوفّى بعد الخمْسِين والثمانمِائَةٍ.

هو أبُو القاسم بن أبي بكرٍ الليثيّ؛ المعروفُ بأبي الليثِ السَّمَرْقندي.

مؤلفاتُه:

حاشيةٌ على الشرْحِ المطوَّل لسَعْدِ الدين على تلخيصِ المفتاح، رسالةٌ في الاستعارات وهي المسمَّاة بالسَّمَرْقنديَّة، وقد حازت القبُول لدى العلماء، فوضِعَتْ لها الشروحُ والحواشي، ونظمَهَا بعضُهم، واختصَرها آخرُون، فمِنْ ذلك:

1. شرحُ عصامِ الدّين بن عرب شاه الإسْفِرَايينِى المتوفّى سنة 951.
2. "أحمد الدَّمَنْهُوري؛ المسمَّى إيضاح المشكلاتِ المتوفّى سنة1192.
3. شرحُ أحمد بن عبد الفتاح الملَوي؛ المسمَّى عقد الدُّرَرِ البهيَّةِ المتوفّى سنة 1182.
4. شرحٌ يُسَمَّى (أوضح الإشاراتِ إلى رسالةِ الخواجَة أبي القاسِم السَّمَرْقَنْدِي في الاستعارات).

حواشٍ على شرحِ العِصَامِ لها.

5. حاشيةُ عليٍّ بن صدرِ الدِّين بن إسماعيل المعروفُ بحفيدِ العِصَام المتوفى سنة 1007.
6. حاشيةُ حسن بن محمد الزِّيبَارِي.

7. حاشيةُ محمَّد الشِّيرَانسي.

8. حاشيةُ يس بن زينِ الدِّين العلِيمِي، المتوفى سنة 1061.

9. حاشيةُ أبي العِرْفان محمَّد الصَّبَّان المتوفّى سنة 1206.

10. حاشيةُ محمّد بن محمّد الدَّلجي الشافعيّ؛ من علماء القرن الثاني عشر، سمَّاها غايةُ الإِرَادَات من تحقيقِ عصامِ الاستعارات، فرغَ من تأليفِها سنة إحدى وأربعين ومائةٍ وألفٍ.

11. حاشيةُ محَمّد البُهُوتي الحَنْبَلي المتوفى سنة 1088.

12. حاشيةُ أحْمَد فوزي من علماءِ القرْنِ الثالث عشر سمَّاها الحاشِيَة الجديدة على عِصَام الفريدة.

13. حواشٍ على شرحِ الملَّوِي لها.

14. حاشيةُ أبي العرْفان الصَّبَّان المتوفى سنة 1206.

15. حاشيةُ محمّد الأمير المتوفّى سنة 1232.

16. حاشيةُ أحمد زيني دَحْلان المتوفّى سنة 1304.

17. حاشيةُ محَمّد الدِّمْيَاطي الشافِعِي، المعروف بالخُضَري المتوفّى سنة 1288.

18. حواشٍ على السَّمَرْقَنْدِيَّةِ:

19. حاشيةُ إبراهيم بن محمد الباجُوري المتوفّى سنة 1276، فرغَ من تأليفِها في شعبان سنة 1226.

وقد نظمها أحمد بن عبد الفتاح الملوي، وأول نظمه:

ومُفْرَدُ المجَازِ وهو كِلْمَةٌ　　　في غيرِ مَا هِيَ لهُ موضُوعَةٌ

ونظمَها على منْطَلا الدِّمْيَاطِي، وأوَّلُ نظمه:

حمْدًا لربِّي مانحُ البيانِ　　　فاتح بُابِ العلمِ للأذْهَانِ

20. واختصرها مؤلفٌ لم يعلم اسمُه بمختصرٍ سمَّاهُ (بلوغُ الأَرَبِ من تحقيق استعاراتِ العرَب).

21. واختصرَها محمودُ بن حيْدر الحَكارِي من علماء القرن الحادي عشر.

وفاتُه:

لا يُعْلَمُ بالضبْطِ تاريخُ وفاتِه، ولكن المعروفَ أنها كانتْ في النِّصْف الثاني من القرْنِ التاسِع الهجْريّ.

حَسَن جلَبِي[1]
المتوفّى سنة 886 هـ

هو حَسَن جَلبي بن مُحمد شاه شمس الدّين، العالمُ النحْوي، المحقِّقُ البصيرُ بالمعاني والبيان والتفسير والأصول والفقه.

مولدُه ونشأتُه:

ولِدَ ببلادِ الرُّوم سنةَ أربعين وثمانمائةٍ، واشتغَلَ على علماءِ عصْرِه، كالُمُلَّا فخْرِ الدين ومُلَّ خَسْرو، وبَرَعَ في علم العربية وأصول الفقه، ودرَّسَ بالمدرسةِ الحلبيَّةِ بأدِرْنَة، وقدِمَ الشامَ سنة 870 وحجَّ مع الركْبِ الشَّامِي، ثم قدِمَ إلى مصر، وقرأ الُمغْني وصحيحَ البُخَاري واستعارَ منه الجلالُ السُّيُوطي حاشيتَهُ على المطوَّل.

مؤلفاتُه:

له حواشٍ على المطوَّل، وحواشٍ على المختَصر في علومِ البلاغة، وحواشٍ على شرحِ المواقف، وحواشٍ على تفسيرِ البيْضَاوي، وحواشٍ على التلْوِيح.

(1) قال السَّخَاوي: في الضَّوْء اللامِع في أعيان القرن التاسع: جَلبي معناه بالتركية سيدي.

وفاتُه:

توفي سنة ستٍّ وثمانين وثمانمائةٍ ببلاد الروم.

المَوْلَى اللُّطْفِي
المتوفّى سنة 900 هـ

هو المَوْلى لطفُ الله التُّوقَاني، دخلَ بلاد الروم، وتولَّى التدريسَ بمدرسة مُـرَاد خان ببروسَا زمنَ السلطان بايَزِيد، ثم مدرسةِ دارِ الحديث بأدرْنَة.

مؤلفاتُه:

له حاشيةٌ على شرح السّيد للمفتاح، رسالةٌ سمَّاها السَّبْع الشِّدَاد، تحتوي عـلى سبعةِ أسئلةٍ وجَّهها للسَّيد الشَّريف الجُرْجاني، حواشٍ على حاشـيةِ السَّـيد لشـرْحِ المطالِع.

وفاتُه:

نُسِبَ إلى الإلحادِ والزنْدَقَة، فحكمَ المَوْلى خطِيبُ زادَه بإباحةِ دمِهِ، فقُتِـل سـنة تسعمائةٍ هجريَّة.

حميدُ الدِّينِ

المتوفّى سنة 908 هـ

هو حميدُ الدِّين أفضلُ الدِّين، الجامعُ بين العلومِ العقليَّة والنقليَّة.

نشأتُه:

قَرأ على أبيه، وجَدَّ واجتهدَ وحصل كثيرًا من الفنون، وصار مدرسًا بمدينة بُروسَا، ثم مُدرسًا بإحدى المدارسِ الثمان، ثم صار قاضيًا بالقسطنطينيَّة، وهو أولُ قاضٍ بها حين فتحَها السلطانُ محمد خان.

مؤلفاتُه:

حاشيةٌ على حاشيةِ السَّيد على المطوَّلِ، حواشٍ على شرحِ الطَّوالِع للأَصْفَهَاني، حواشٍ على الهِدايَةِ في مذهبِ الحنفية.

وفاتُه:

توفِّي وهو مفتٍ بالقسطنطينيّة سنةَ ثمانٍ وتسعمائةٍ.

عبدُ الرَّحْمنِ جلالُ الدِّين السُّيُوطِي

المتوفّى سنة 911هـ

هو عبدُ الرحمنِ بن أبي بكرٍ بن محمد جلال الدين، السُّيُوطي الأصل، الطُّولونِي الإقامَة، الشَّافِعي، ويُعْرَف بابن الأسيوطي.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ ليلةَ مستهلِّ رجب سنة تسعٍ وأربعين وثمانمائةٍ من أمٍّ تركيةٍ وأبٍ مصريٍّ، ونشأ يتيمًا، ولما ترعْرَع وشدا؛ حفظَ القرآنَ الكريمَ والعمدة والمنهاج والخلاصة، وبدأ يطلبُ العلمُ سنة أربعٍ وستين، فتلقَّى عن شيوخِ عصره، فأخذَ النَّحو عن إمامِ

الشَّيْخُونيَّةِ محمد بن موسى الحنفي، والفقه عن عثمان القسّي، والبلْقِيني والمنَاوي والسَّمْني والكافِيجِي.

وهاكُم ما حدث به السيوطي في التعريفِ بنفسِه في كتابِه [حسن المحاضرة في أخبارِ مصرَ والقاهرة] **قال:**

شرعتُ في التصنيفِ سنة ستَّ وستين وبلغتْ مؤلفاتي إلى الآن ثُلثمائةِ كتابٍ؛ سوى ما غسلْتُه ورجعتُ عنه، وسافرتُ بحمد الله إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتَّكْرُور*، ولما حَجَجْتُ شربتُ مِنْ ماء زمزم لأمورٍ منها: أن أصلَ في الفقه إلى مرتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديثِ إلى رتبةِ الحافظ ابن حجر، وأفتيْتُ من مستهلّ سنة إحدى وسبعين وعقَدتُ إملاءً للحديث من مستهلّ سنة اثنتين وسبعين، ورُزِقْتُ التبحرفي سبعةِ علومٍ،: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع؛ على طريقِ العربِ والبلغاءِ لا على طريقةِ العجَمِ وأهل السنة، ودونَ هذه في المعرفةِ العرب والبلغاء لاعلى طريقة العجم وأهل الفلسفة، ودون هذه في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الإنشاء والترسُّل والفرائِض؛وأما علمُ الحساب فهو أعْسَرُ شيءٍ عليَّ وأبعدَهُ عن ذهْني، وقد كملُتْ عندِي الآن آلاتُ الاجتهادِ بحمد الله، ولو شئتُ أن أكتبَ في كلِّ مسألةٍ مصنفًا بأقوالِها وأدلَّته النقليَّة والقياسيَّة ومداركها ونقُوضِها وأجْوَبَتِها، والموازَنَة بين اختلافِ المذاهبِ فيها، لقدَرْتُ على ذلك من فضلِ الله.

* بلادُ التكرور أو مملكة التكرور اسمٌ لشعب كبير من القبائل الحامِيَّة، أسس مملكةً إفريقيةً قديمة جدًا امتدّت من غرب السودان إلى سواحلِ بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) في أراضٍ شاسعةٍ تزيد عن مساحةِ الجزيرة العربية والعراق والشام معًا. ضمَّتْ تلك المملكة أراضِيَ المناطقِ المعروفة اليوم سياسيًا باسم موريتانيا والسنغال ومالي ونيجيريا والنيجر وتشاد، وصُولاً إلى حدودِ دارفور.
ويذهبُ بعضُ المؤرخين خاصةً العرب؛ إلى أن اسمَ تكرور اسمٌ لمدينةٍ تقع على نهر السنغال الحالي. وقد وصف النقشبندي مدينة تكرور بالمدينةِ الكبيرة، وذكَرَ أن مملكةَ = تكرور تشتملُ على أربعة عشر إقليمًا. وكانت تنتجُ الذهب مما يدل على غناها الواسع، وهو ما جعلها هدفًا للغزاة الغربيين الذين نهبوها باسم الحرية والتنصير.
ويبدو أن المقصود بالتكرور في كلام السيوطي هو موريتانيا، حيث تأتي تالية للمغرب مباشرة.

وقد كنتُ في مبادئِ الطلبِ قرأتُ شيئًا في علم المنطق، ثم ألقى الله كراهتَه في قلْبي وعوَّضَني اللهُ عنه علمَ الحديث الذي هو أشرَفُ العلوم، **وهذه أسماء مصنَّفاتِي:**

في التفسير ومتعلقاته:

الإتقانُ في علومِ القرآن، الدرُّ المنثورُ في التفسير بالمأثور، لبابُ النقولِ في أسباب النزول، مُفْحِمَات الأقرانِ في مُبْهَمَات القرآن، المهذب فيما وقعَ في القرآن من المُعْرَب، شرحُ الشاطبِية، في كتب أخرى صغيرة ذكرها.

في الحديث ومتعلقاته:

كشف المُغَطَّى في شرحِ المُوَطَّا، التوشيحُ على الجامعِ الصَّحيح، الدِّيباجُ على صحيحِ مُسلم بن الحَجَّاج، عينُ الإصابةِ في معرفة الصحابة، مرْقَاةُ الصُّعُود إلى سُنن أبي داود، تدريبُ الراوي في شرح تقريبِ النَّوَاوِي، شرحُ ألفيَّةِ العراقي، وتُسمَّى نظْمُ الدُّرَر في علمِ الأثَر، اللآلئِ المصْنُوعة في الأحاديث الموضُوعة، مناهجُ الصَّفا في تخريج أحاديثِ الشِّفا، الأساسُ في مناقبِ بني العباس، في كتبٍ ذكرها.

في الفقهِ ومتعلقاتِه:

الأزهارُ الفضَّةُ في حواشي الرَّوْضَة، الأشباهُ والنظائِرُ، جمع الجوامع، شرحُ الرحبيَّة في الفرائِض، تشنيفُ الأسماعِ بمسائلِ الإجماعِ، في كتبٍ أخرى ذكرها.

النحو ومتعلقاته:

شرحُ الخلاصةِ الفريدةِ في النحو والتصريف والخط، الفتحُ القريبُ على مُغْني اللبيبِ، جمعُ الجوامعِ مع شرْحِه المُسَمَّى بهمْعِ الهوامِعِ، الأخبارُ المرويَّة في سببِ وضْعِ العربيَّةِ، التوشيحُ على التوضِيحِ، شَذا العَرْفِ في إثباتِ المعْنى للحَرْفِ، السيفُ الصَّقِيل في حواشِي ابن عقيل، في كتبٍ أخرى ذكرها.

الأصول والبيان والتصوف:

شرحُ لمعةِ الإشْرَاق في الاشْتِقاق، الكوكبُ السَّاطِع في نجْم جمع الجوامع، نكتٌ على التلخِيص، عقودُ الجُمان في المعاني والبيان وشرحها، شرحُ أبياتِ تلخيصِ المفتاح، نكتٌ على حاشيةِ المطوَّل للفَنَري، البدِيعية المسماة نظم البدِيع في مدحِ خيرِ شفيعٍ وشرْحها، مختصرُ الإحْيَاء للغزالي، تشييدُ الأركانِ في ليس في الإمكانِ أبدَع مما كان، في كتب أخرى.

في التاريخ والأدب:

تاريخُ الصحابة، طبقاتُ الحفَّاظ، طبقاتُ النُّحَاة، طبقاتُ المفسَّرين، طبقاتُ الأصوليِّين، طبقاتُ الكتَّاب، تاريخُ الخلفاء، تاريخُ مصْر والقاهرة، ديوانُ خُطب، ديوانُ شعر، مختصَرُ معْجَم البلدان لياقوت، الشماريخُ في علم التاريخ، أحاسِنُ الاقتباسِ في محاسِن الاقتباس، شرحُ بانتْ سُعاد، مختصرُ شفاءِ العَليل، هذا كلامُه باختصار.

قال السخاوي معاصرُهُ في الضوءِ اللامِع في أعيانِ القرن التاسع: إن السُّيُوطي أخذَ من كتب مكتبةِ المحمودية وغيرها؛ كثيرًا من تصانيف المتقدَّمين التي لا عهدَ للمصريِّين بها في فنُونٍ كثيرة، فغيَّر فيها يسيرًا وقدَّم وأخَّر ونسَبَها لنفسِه، وهوَّلَ في مقدماتها بما يَتَوَهَّمُ منه الجاهلُ شيئًا كثيرًا، ونقصَ السيد والرضى بما لم يُبْدِ معه مستندًا مقبولاً، وذكر أن تصانِيفه زادتْ على ثلثمائة كتاب ورأيتُ منها ما هُو في ورقةٍ، وأما ما هو دونَ كراسة فكثيرٌ.

وفيها ممَّا اختلسَه من شيخِنا (يعني ابن حجر) لبابُ النقول في أسبابِ النُّزُول، وعينُ الإصابةِ في معرفة الصحابة، النكت البديعات على الموضوعات، المَدْرَجُ إلى المُدْرَج، تذكِرَةُ المؤْتَسِي إلى من حدَّثَ ونَسِي، تحفَةُ النابِهِ بتلخيصِ

المُتَشَابِه، ما رواهُ الراوُون في أخبارِ الطاعون، الأساسُ في أخبارِ بني العباس، نشْرُ العَبِير في تخريجِ أحاديثِ الشرح الكبير.

فكلُّ هذه تصانيف شيْخِنا، وليتَه إذا اختلسَ لم يمْسَخْها، ولو نَسَخَها على وجْهِها لكان أنفَع، وفيها ممَّا هوَ لغيره الشيءُ الكثيرُ.

وبالجملة فهو سريعُ الكتابةِ أعرفُه بالهَوَس، ومزيدُ الترفُّع حتى على أمِّه؛ بحيث كانت تزيدُ في التشكِّي منه، ولا زال أمرُه في تزايد من ذلك فالله يلهمه رشْدَه.

هذا كلامُه على ما به من تحامُلٍ ظاهرٍ دعت إليه المنافسةُ والمعاصَرَةُ، وكثيرًا ما طمَسَتا فضائلَ أربابِ الحِجَا، لاسيَّما هذا الحافظُ الكبيرُ الذي يُعد مفخَرَة مصر والشرق.

وفاتُه:

توفِّي رحمَه الله سنة إحدى عشرة وتسعمائةٍ.

أسْعَدُ النَّاجِي
المتوفَّى سنة 922 هـ

هو أسْعدُ الناجِي بن الناجِي بك؛ العالمُ المدقِّقُ.

نشأته:

قرأ على قاسمٍ الشهير بقاضِي زاده، ثم صارَ مدرسًا بمدينة بُروسَا، ثم بإحدى المدارِس الثَّمان بالقسطنطينيَّة.

مؤلفاتُه:

له حواشٍ على شرحِ المفتاح للسَّيِّد الجُرْجاني، ونظْمُ النسفيَّةِ في علْمِ الكلام.

وفاتُه:

توفِّي سنةَ اثنتين وعشرين وتسعمائةٍ هجريَّة.

عائشةُ الباعُونِيَّة

المتوفاة سنة 922 هـ

هي أمُّ عبدِ الوهاب عائشةُ بنتُ يوسف بن أحمد بن خليفة الباعُوني؛ الشيخةُ الصَّالِحةُ.

مؤلفاتُها:

لها بديعيتان إحْدَاهُما تُسَمَّى بالفتْحِ المبين في مدْحِ الأمِين وأولها:

من مبتدا خبرِ الجَرْعَاءِ من إضَمِ حدِّثْ ولا تنْسَ ذكرَ البانِ والعلَمِ

وقد شرحَتْها والتزمت أن تذكر عندَ كل مُحَسَّنٍ من المحسِّنات البديعيَّة؛ ما قالهُ فيه ابن جابرِ الأندلسي وصفيُّ الدينِ الحلِّي وعز الدين الموصلي وابن حجَّة الحمَوي في بديعيَّاتِهم، وكتبتْ في آخِره: وكان الفراغُ من كتابتِه معَ ما أُضِيفَ إليه من الكلامِ على ما اشتملتْ عليه من الأنواعِ في النصفِ من شهرِ ربيعٍ الآخر سنة إحدى وعشرين وتسعمائةٍ.

وفاتُها:

توفِّيَتْ رحمَها الله في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائةٍ هجريَّةٍ.

زكَريَّا الأنْصَارِيُّ

المتوفّى سنة 729 هـ

هو أبو يحْيَي زكريَّا بن محَمَّد الأَنْصاريّ الشافعي؛ شيخُ الإِسْلامِ.

مولدُه:

وُلِدَ بقريةٍ تُسَمَّى سنيكة من أعمالِ الشرقيةِ سنة 826هـ.

مؤلفاتُه:

منها مختصرُ تلخيصِ المفتاح وسمَّاهُ أقْصـَى الأمـانِي في علـم البيـان والبـديع والمعاني، حذفَ منه المسائلَ المختلفَ فيها وكذلك الأمثلة والشواهد وما فيـه نظَـر، ورتَّبَه على مقدِّمَةٍ وثلاثةِ فنُون، وشرَحَه بشرْحٍ سمَّاهُ فتح منزل المباني، ومتنُ التحرير وشرحُه في الفقـه، ومـتنُ المـنهج وشرحـه، وشرحُ الـروضِ لابـن المقْـرِي، ولـبُّ الأصولِ، تلخـيصُ جمـع الجوامـع وشرحـه، وشرحُ شـافيةِ ابـن الحاجـب، وشرحُ إيساغوجي في المنطق، شرحُ الجزرية وتعليقاتٌ على شرحِ السَّيِّد عـلى المفتـاح، فـتحُ الرحمنِ بكشفِ ما يلتبسُ في القرآن.

وفاتُه:

توفِّي بالقاهرة سنة ستٍّ وعشرين وتسعمائةٍ هجْرِيَّةٍ.

ابنُ كمَال باشا

المتوفَّى سنة 940 هـ

هو أحمدُ بن سليمان الرُّومي؛ الشهيرُ بابن كـمَال باشـا، العـالمُ المحقِّـقُ الكثـيرُ التصنيف، حتى قيل إن مُصنَّفَاتِه تُساوِي مصنَّفاتِ الجلالُ السُّيوطي كثرةً واعتبارًا.

نشأته:

أخذ العلمَ عن أجلَّاء العلماء في عصره؛ كالمَوْلى اللُّطْفِي، والمولى مُصْلِح الدِّين القسْطلاني، ثم صار مدرِّسًا، ثم قاضيًا للعسْكر زمن السلطان سليم خان، ثم مفتيًا بالقسطنطينيَّة، ثم جاء إلى القاهرةِ يصْحبُ السلطان سليم فلقيَهُ أكابرُ العلماء، وناظرُوه في مسائلَ مختلفةٍ من فنون شتى؛ فأعْجِبُوا بفصَاحَتِه وأقرُّوا له بالفضْل.

مؤلفاته:

منها شرحُ المفتاحِ، وتغييرُ المفتاح، وتغييرُ التنقيح وشرحه، وتغييرُ السراجية وشرحُه، وحواشِي التلويح وشرحُ الهِدَاية ولم يكمل، والإصلاحُ والإيضاحُ في الفقهِ أولع فيها بالإيرادات على الوقايَة وشرحها لصدر الشريعة، وأكثرها غير واردة، ومن ثمَّ لم يشتهِرْ تصنيفُه كتصنيفِ سابِقِه.

وله رسائلُ كثيرةٌ في فنونٍ عدَّة تزيدُ على الثلثمائة؛ بعضُها بالفارسية وبعضها بالتركيَّة كتاريخِ آلِ عثمان، وكان في الديارِ الرُّوميَّة كالجلال السُّيوطي في البلادِ المصرية، وكانا متعاصِرَيْن فكانا جمالَ ذلك العصر.

وفاته:

ماتَ سنةَ أربعين وتسعمائةٍ وهو مفتٍ بالقسطنطينيَّة.

عِصَامُ الدِّين:

المتوفى سنة 951 هـ.

هو إبراهيمُ بن محمد بن عرب شاه عصامُ الدِّين؛ من سلائِلِ أبي إسحاق الإسْفِرَايِينِي.

مولدُه ونشأتُه:

وُلدَ بإسْفِرَايين (قريةٌ بخُرَاسَان) في مهد العلم؛ إذ كان أبوه وجده قاضِيَيْن لأولادِ تيْمُور، فشبَّ وترعْرَع على بساطِ العلماءِ، وحصَّلَ العلم من ينابيعِهِ الفيَّاضَةُ وبذَّ الأقرَانَ وصار المُشَارَ إليه بالبنان.

مؤلفاتُه:

له التواليفُ الحسنةُ في فنونٍ كثيرة، منها شرحُ التلخيص الذي سمَّاهُ الأطْوَلُ نقَدَ فيه كثيرًا من بحوثِ سعْدِ الدينِ التفْتَازَانِي في المطوَّل، وشرحٌ على رسالةِ الاستعاراتِ لأبي الليثِ السَّمَرْقَنْدِي المشهورة (بالسمَرْقنديَّة)، والرسالةُ الفارسيَّةُ في البيان، وعَرَّبَها أحمد المَوْلَوِي الشهير بمنجم باشا، وحاشيةٌ على تفسيرِ البيْضَاوِي.

وفاتُه:

خرجَ في أُخْرَيَاتِ حياتِهِ من بُخَارِى إلى سَمَرْقَنْد؛ لزيارةِ العارف بالله خواجه عبد الله النّقْشَبَنْدِي، فمرِضَ اثنين وعشْرين يومًا، ثم قضَى نحْبَهُ سنة إحدى وخمسين وتسعمائةٍ، وكانت سنُّه اثنتيْنِ وسبعينَ سنَة.

عبدُ الرَّحْمَنِ الأَخْضَرِي
المتوفَّى أواخِرَ القرْنِ العاشر.

هو عبدُ الرَّحْمن بن محمد بن عامِرٍ الأَخْضَرِي[1] المالِكِيّ.

مؤلفاته:

كتابُ (الجوهر المكْنُون في الثلاثةِ فنُون)؛ وهو نظمٌ لمتْنِ تلخيص القَزْوِينِي، وهو يشتملُ على فنونِ البلاغةِ الثلاثة، وأوله:

الحمــــدُ للهِ البــــديعِ الهـــادِي إلى بيـــانِ مهْيَـــعِ الرَّشَـــادِ

وقد شرحَهُ أحمدُ الدَّمَنْهُوري بشرحٍ سمَّاهُ [حليةُ اللبِّ المصُون على الجوْهَرِ المكْنُون] المتوفَّى سنة 1192.

وشرحَهُ العلَامةُ ابنُ يعقوب المكْنَاسِي المتوفَّى سنة ألفٍ ومائةٍ وثمان. وشرحَهُ العلَّامَةُ عِلِي الغَزِّي.

ووضعَ تعليقاتٍ على شرْح الدَّمنْهوري مخلوف بن محمد البدوي من علماءِ القرن الثالث عشر.

وله أيضًا "نظْم السّلم في المنْطِق"، عمله سنة 941، وعمْرُه إحْدى وعشْرُون سنة. وشرَحَه أيضًا.

وفاته:

توفِّي في أواخِر القرْنِ العاشِرِ الهِجْرِي.

(1) نسبة إلى الجبل الأخْضَر ببلاد المغرب بولاية طرابُلس.

مُحْيِي الدِّين جَلَبِي
المتوفَّى سنة 954 هـ

هو محمَّدُ بن على بن يوسف بن بالي، شمسُ الدِّين محمد بـن حمـزة الفنَـاري؛ الشهيرُ بمحْيِي الدين جلبي.

نشأتُه:

قرأ على أبيه وعلى خَطيب زاده، وصارَ مدرِّسًا بمدينـةِ بُروسـة وغيرهـا، ثـم قاضيًا للعَسْكر بولاية أناضُولي، ثم بولاية رُوم إيلي، وكان عالمًا فاضلاً ورعًا.

مؤلفاتُه:

حاشيةٌ على شرحِ السيد للمفتاحِ، وحاشيةٌ على الهداية.

وفاتُه:

توفِّي سنة أربعٍ وخمسين وتسعمائةٍ هجْرِيَّة.

عبدُ الرَّحِيم العبَّاسِي
المتوفَّى سنة 963 هـ

هو عبدُ الرحيم بن أحمد العبادِيّ العبَّاسِي.

مؤلفاتُه:

منها (معاهدُ التَّنْصِيص على شواهِد التلْخِيص) لجلالِ الدين محمد ابـن عبـد الرحمن القَزْوِيني، ذكَرَ فيه معانِيَ الأبياتِ وتراجِمَ قائليهـا، ووضَـعَ في كـل فـنٍّ مـا يناسِبُه من نظائرِه الأدبيَّةِ، ومزَجَ الجدَّ بالهزْل.

وقد اختصرَها أحمَدُ بن أحمد؛ المعروفُ بالعَجَمِي الأحمَدي الوَفَائِي من علماءِ القرنِ الحادي عشَرَ، وفرَغَ من مختَصَرِه سنة 1093.

وفاتُه:

توفّي المؤلفُ سنة ثلاثٍ وستين وتسعمائةٍ هجريَّةٍ.

طاشْكَبْرِى زادَه
المتوفّى سنة 968 هـ

هو محمَّدُ بن أحمد بن مصطفى المَوْلَى عصَام الدِّين؛ الشهيرُ بطاشْكَبْرِى زَادَه.

فضْلُه وعلْمُه:

كان قاضِي قُضَاة العسْكر، وفرْد الدَّهر المُجْمع على فضْلِه وبراعَته، لم يُرَ لهُ نظيرٌ في طلاوَةِ عبارتِه والتضُلُّع من العربيَّةِ؛ حتى قال النَّجْمُ الغَزِّي: لم أرَ رُوميًا أفصَحَ منهُ باللسَانِ العربيّ، وكان أولاً قاضيَ حلب، ثم قاضي دمشق، وعامَلَ أهلَهَا بالتجلّةِ والاحترام، وسَحَرَهم بحُسْن معاملته.

مولدُه ونشْأتُه:

وُلدَ في شهرِ ربيعِ الأول سنةَ إحدى وتسعمائةٍ، ولما ترعْرَع انتقل إلى أنقرة وشرعَ في قراءةِ القرآن، ولقّبَه والدُه عصام الدين، وكنّاهُ بأبي الخير ثم انتقل إلى بُروسة، وسافرِ والدُه إلى القسطنطينية وقرأ على علاء الدين اليتيم بعضَ كتُبِ النَّحو والصَّرْف.

مؤلفاتُه:

له من المؤلفاتِ ما يزيدُ على الثلاثين، منها شرْحَاه الكبير والمختصر على الفوائد الغياثية للعضُد، وثانيهما مطبوعٌ بالأستانة، ثم الشقائق النعمانية في علماءِ

الدولة العثمانية، وهو كتابٌ لطيف محتوٍ على تراجم جماعةٍ من علماء الرُّومِ ومشايِخِهم،، مرتب على طبقات من عهد عثمان الغازي جد السلاطين العثمانية.

وفاته:

توفِّي سنة ثمانٍ وستين وتسعمائةٍ، ورثاهُ إبراهيمُ بن عبد الرحمن العمادِيّ بقوله مؤرخًا.

ألا إنَّمَا الدُّنيا غُرُور نعيمُهَا	**يُنَغِّصُهُ أكْدَّارُها وزَوَالُهُا**
قضَى اللهُ للموْلى الكمالَ بمَا قضَى	**فأرِّخ: ديارَ الرومِ ماتَ كمالُهُا**

ابنُ قاسِمِ العبَّادي
المتوفّى سنة 992 هـ

هو أحمدُ بن قاسم الصبَّاغ العبَّادي شهابُ الدينِ

مؤلفاتُه:

له حاشيةٌ على المطوَّل لسعْد الدِّين التفتازانِي؛ سمَّاها الحواشِي والنكات والفوائد المحرَّرَات.

وفاتُه:

توفِّي سنةَ اثنتين وتسْعين وتسعمائةٍ هجريَّة.

يس العُلَيْمِي الحِمْصِي

المتوفى سنة 1061 هـ

هو يس بن زَيْنِ الدِّين بن أبي بكْر الحمْصِي الشَّافِعي، الشهيرُ بالعليمِي نزيلُ مصر، الإمامُ البليغُ القدوةُ لأرباب المعاني والبيان.

مولدُه ونشأتُه:

وُلِد بحمْص، ورحَل مع والدِه إلى مصر، وبها نشَأ وقرأ على الشَّهاب الغُنَيْمي، ولازمَه في العلوم العقلية والنقلية، وتصدَّرَ في الأزهر لإقْرَاء فنون كثيرة، وذاع صيتُه بين العلماء، وعكفَ على التعليم والإفادةِ ومداومةِ العبادة، إلى حِلْم وتواضُع، وبرٍّ كثيرٍ للطلبة وكلمةٍ مسموعةٍ، وكان له شغفٌ بالطِّيبِ الغالية، فكان إذا دخل الأزهر عَبَقَ المسْكُ والعنْبَرُ من أرْدَانه، فيكونُ ذلك علامةَ قدُومِه.

مؤلفاتُه:

حاشيةٌ على شرْح المطوَّل لسعد الدين التفتازاني، حاشيةٌ على المختصر لهُ، حاشيةٌ على التَّصْريح لخالدِ الأزْهَري، حاشيةٌ على شرح القَطْر للفاكِهِي، حاشيةٌ على شرْح التهذيبِ للخبيصِي، حاشيةٌ على ألفيّة ابن مالك.

شعره:

له شعرٌ من جيِّد الشِّعر في عصْرِه، فمن ذلك قوله في الغزل:

في لَحْظِهِ سحْرٌ فلمْ أرَ صَارمًا ... في غِمْدِهِ يفْري سِوَاه فمَنْ أرَى

عجبًا لغُصْن البانِ مِنْ أعطافِهِ ... فوقَ الكثيبِ لبدرٍ تَمٍّ أثْمَرا

إلى أن قال:

والللحْـظُ منِّـي حـين أبْصَـرَ خَـدَّهُ   فيـه الربيـعُ جـرَى عليـهِ جعْفَـرا
بـالطيفِ قـدْ مُنِيـت لكـنْ بـالأذَى   أتْبَعْتُـه فسـلبتْ عـن عيْنِـي الكَـرَا
مـا زارَ إلا كَـيْ يُعـاتِبُني عـلَى   نَـوْمِي فينفِيـه ويجْـنَحُ للسُّـرَى

وفاتُه:

توفّي يوم الأحدِ في شعبان سنةَ إحدى وستين وألفٍ رحمه الله.

عبدُ الحكيمِ السِّيَالْكُوتِي

المتوفّى سنة 1067 هـ

هو المُلَّا عبدُ الحكيمِ بن شمسِ الدِّين الهنْدي السَّيالكُوتِي، علَّامَةُ الهند والإمامُ في كثيرٍ من الفنون، كان يصدَعُ بالحقَّ، ويجاهِرُ به الأمراءَ والعظماءَ لا يخْشَى فيه لومةَ لائمٍ، ذا حظوةٍ عظيمةٍ لدى سلطانِ الهند خرم شاه جهان، لا يصـدِرُ إلا عـنْ رأيِـه، ولم يبلغْ أحدٌ من علماءِ الهِنْد من المنزلةِ في زمانه ما بلغَ من علوِّ الشّأنِ والرِّفْعـة، ولا انْتهى على ما انتهى إليه، فقد حازَ العلوم، وانفرَدَ بعد أن أفْنَى كُهُولَته وشيْخُوخَته في تحْصِيل العلوم وحلِّ دقائِقَها، ومضَى من جليِّها وغامِضها إلى حقائِقها.

مؤلفاتُه:

له مؤلفاتٌ عدّة، منها حاشيةٌ على المطوّل لسعد الـدين، وحاشـيةٌ عـلى شرْحِ العقائدِ النَّسَفية للسَّعد، وحاشيةٌ على شرْحِ تصريفِ العزي للسـعد، وحاشـيةٌ عـلى تفسيرِ البيْضَاوي؛ أتمَّ منها بعضَ سورةِ البقرة، وفيها أبحاثٌ قيّمةٌ.

وفاتُه:

توفِّي سنة سبعٍ وستين وألفٍ هجْرِيَّةٍ.

البَسْنَوِي

المتوفّى سنة 1070 هـ

هو محمدُ بن موسى، المعروفُ بالبَسْنوي؛ من علماءِ القرن الحادي عشر.

مؤلفاتُه:

منها حاشيةٌ على شرْحِ السَّيد الشَّريف الجُرْجَاني للقسم الثالث من المفتاح، فرغَ من تأليفها سنة 1041، وكانت وفاتُه حوالي سبعين وألفٍ هجريَّة.

أحمدُ الخَفَاجِي

المتوفّى سنة 1069 هـ

هو أحمدُ بن محمد الخفاجيّ المصريّ، العلامةُ البليغُ ذو النثر الرائع والشعرِ البديع، وبهما فاقَ أهل عصْره، وبذَّ الأقرانَ في ميدان الرِّهَان.

مولدُه ونشأتُه:

ولد في سِرْيَاقُوس، ،أخذَ عن خالِهِ أبي بكر الشَّنوانِي وشيخِ الإسلام محمَّد الرَّمْلِي والحافِظ العلْقَمِيّ، ورحلَ مع والدِه إلى الحرَميْن، ثم إلى القسطنطينيَّة وهي إذْ ذاكَ مليئةٌ بأربابِ الفضْلِ والنُّهى من جُلَّةِ العلماء.

نثْرُهُ:

من ذلك ما في المقامة الساسانية.

حدَّثَنا مالكُ بن دينار عن مالكِ بن يَسَار، قال: كنتُ والشبابُ غرابه لا يُطَار، وثمراتُه الجنيَّةُ تجْني من رياضِ الأخبار، أهْوى السِّياحَة والناس ناس والدِّيار ديَار، والدهر غِرٌّ لم يفطِن لتلوُّن الليلِ والنَّهار.

ولم أرَ يومًا في ظلامِ مفارِقي شهابُ مشيبٍ لاحَ في الإثْرِ منْقَضَّا

فسرْتُ في الأرضِ لأنظر آثارَ رحْمَتِه، وأرَى مآثرَ الطرازِ الأوَّلِ في أعلامِ حُلتِه، فإنَّ من جدَّ وجَدَ، ومن توانَي فقدْ فَقَدَ، رافعًا عصا التَّسْيَارِ، على كاملِ الاعْتبارِ، رافضًا الاستراحةَ في مهْد الدَّعَة، مشيعًّا قلبًا فارَقَ حبيبًا ودَّعَه، فاطمًا أملاً عن دَرِّ أُنْسٍ ارْتَضَعَه، أضربُ كرةَ الأرضِ بصولجَان الهمَّة، لا أعبأُ بقامةٍ غير قائمةٍ وهمّة هِمَّةْ[1]، أتدَرَّع برْدَ الليل، لأنه أخْفَى للويلِ، وأشُق أديمَ النهارِ للسَّيْر، ولم أقُلْ ليس للعصا سيْر، كهشيم ترفعُه أعاصيرُ ريحٍ تدور، وورقٍ جفَّ فألوَتْ به الصَّبَا والدَّبور، حتى كأنَّني على غُصْن بانةٍ خضلٍ تُثْنيهِ ريحُ الصّبا هُنَا وهُنَا، أو قذَى في عيونِ البلاد، أو عير شَرُود ترميه الرَّوَابِي والوِهَاد.

كأنِّي من الوجْنِاء[2] في متْن موْجَةٍ رمَتْنِي بحارٌ ما لهُنَّ سواحِلُ

حتى أتيتُ كورة[3] خُراسان، فإذا بها قَيْلٌ نَصَبَ عرضه لسِهام الهَوان، مقلّدًا في ترْجِيح البُخْل مذهبَ سهْلِ بن هارُون، كأنَّهُ لم يسمَعْ قوله تعالى: ﴿..وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[سورة الحشر: الآية 9]* فطويتُ حديثَه على عرِّه[4]، وأتيتُ لأقف عن جليَّةِ أمره، فلما جُسْت خلالَ إيوانِهِ، قرأتُ عنوانَ حالِه على وجوهِ غلْمَانِه، وسمعتُه يقول لَمن امْتَرَى[5] أخلافَ دَرَّتِه، وشبع من خُلَّتِه[6] وحِمْضه برؤيةِ جِرَّته: يا هذا صِنَاعَتُنا واحدةٌ، ولو لم تدرجْ من عُشِّك كانت الرِّحْلَةُ فائدة- إلى آخر المقامة.

---

(1) الهم والهمة: الشيخ الفاني.
(2) الوجناء: الناقة الشديدة.
(3) الكورة: الناحية.
* سورة الحشر: الآية 9.
(4) العِرّ: العيب والشر.
(5) امْتَرَى: حَلب. والأخلافُ جمع خلف: وهو حلمَةُ ضرْعِ الناقة.
(6) والخلّة: ما فيه حلاوة من النبات. والحِمْض: ما فيه مُلوحة.

شعرُه:

من ذلك قوله يمدحُ محمد بن قاسم الحَلَبي:

حَتَّـــامَ يغْــــزُونِي صُـــــدودُه والصـــبرُ قـــد كثُـــرتْ جنـــودُه

لم أدْرِ فـــــاترَ جفْنِـــــــهِ والخَصْرُ أسْــــقَمَ أمْ عُهُـــــودُه

نشـــــوانَ يعبـــثُ بي كَــــمَا عبثــــتْ بآمَـــــالي وُعُــــودُه

لــــولا ميــــاهُ الحُسْــــنِ جـــا لـــتْ فيـــهِ لاحترقَــتْ خُـــدُودُه

كالصــــبِّ لَــــوْلا دمْعُــــهُ يهْمِـــــى لأحرَقَــــهُ وقُـــودُه

يُخْفِـــــي الهَـــوَى وعيُونُــــه بغرامــــهِ المُضْــــنِى شُـــهودُه

يصْـــفُو فـــيحلى ذِكْـــرَ مَـــنْ قـــدْ زيَّـــنَ الـــدُّنْيَا وُجُـــودُه

ذاك ابـــــنُ قاسِــــم الـــذي مــــا زالَ في تعــــبٍ حَسُـــودُه

وقوله في الحنينِ إلى مصْر وهو ببلادِ الغُرْبَة:

إن وجْـدِي بمصـــرْ وجْـدٌ مُقِـيم وحنينِـــي كـــما تـــرَوْن حنينِـــي

لم يـــزلْ في خيَـــالِي النيــلُ حتـــى زادَ عـــن فكْـرِتِي ففاضــتْ عُيُـونِي

وقوله مضمِّنًا:

يا صاحِ إنْ وافيْـتَ روضـةَ نـرْجِسٍ إيَّـــاك فيهـــا المشـــْي فهـــو محـــرَّمُ

حاكــتْ عيـونُ مُعَــذِّبِي بــذبُولها (ولأجـلِ عـينٍ ألـفُ عـينٍ تُكْـرَم)

وظائفُه:

ولِيَ قاضيًا على الرُّوملي، ثمَّ في سَلانِيك، وعيَّنَه السلطانُ مراد قاضيًا للعسْكَر بمصر، ثم استقالَ وسافرَ إلى دمشق فحلب فالآستانة.

مؤلفاتُه:

حاشيةٌ على شرْح السيد للمفتاح، موجودةٌ بمسوَّدة المؤلفِ في دار الكتُب المصرية، وشفاءُ الغليل بما في لغةِ العرَب من الدَّخيل؛ جمَع فيه طائفةً من الألفاظِ الدخيلةِ والمعرَّبة، وضمَّنه مباحثَ مُفيدة، (وريحانة الألباء) كتابٌ يشتملُ على تراجم لبعضِ أدباءِ عصره، وشرحِ درَّة الغوَّاص في لحن الخَوَاص لأبي القاسم الحِريري، وحاشيةٌ على تفسيرِ البيْضَاوي، سمَّاها (عناية القاضِي) في ثمان مجلَّدات، وحاشيةُ شرح الفرائض، وحاشيةٌ على شرْح الرضي الكافية، وشرحُ الشفا للقاضي عياض في أربع مجلدات، والرسائلُ الأربعين، والمقاماتُ نسَجَ فيها نسْجَ البديعِ الهمَذاني والحريري والزَّمَخْشري، ديوانُ الأدب وطرازُ المجالس.

وفاتُه:

توفِّي في رمضان سنة تسعةٍ وستين وألفٍ هجْرِيَّةٍ.

ابنُ يعقوب المَغْرِبِي
المتوفّى حوالي سنة 1110 هـ

هو ابنُ يعقوب المغربي؛ من أهل مكْنَاسَة، ببلاد الجزائر من علماء القرْن الثاني عشر.

مؤلفاتُه:

لا نعلمُ له من المؤلفات سوى شرحِ مختَصَر ـ سعد الدين التفتازاني؛ وسمَّاهُ (مواهب الفتَّاح في شرْح تلخيص المفتاح)، وشرحٌ على الجوهر المكنون للأخْضَري، وهو أحد شروحٍ ثلاثةٍ معروفةٍ لهذا النظم.

وفاتُه:

لا نعلمُ تاريخَ وفاتِه بالضَّبْط، والمعروفُ أنها حوالي سنة عشرـ ومائةٍ وألفٍ هجْريَّة.

عبدُ الغَنِي النَّابُلُسِي
المتوفَّى سنة 1143 هـ

هو عبدُ الغَني بن إسماعيل؛ الشهيرُ بالنابُلسيّ الحنفيّ الصالِحِيّ.

مؤلفاتُه:

منها بديعيَّتُه المسمَّاة (نسمات الأسْحَار في مدْحِ النبيِّ المختار) وأولها:

يا مُنْزَلَ الركبَ بين البانِ والعلَمِ   من سَفْحِ كاظمةٍ حيِّيتَ بالدِّيَمِ

وله شرْحُها المُسَمَّى "نفحاتُ الأزهارِ على نسَمَات الأسْحَار في مدحِ النبِيِّ المُختار".

وقد فرَغَ من تأليفِه في اليومِ العاشِرِ من جُمادى الأولى سنة ستٍّ وسبعين وألفٍ، والمقصودُ في وحْدةِ الوجُود، والفيضُ الربَّاني، والفتْحُ الرحْمانِي، وربع الإفاداتِ في ربع العباداتِ في فقه الحنفية.

وفاتُه:

توفِّي سنة ثلاثٍ وأربعين ومائةٍ وألفٍ هجرية.

مُحمَّد الحِفْني

المتوفى سنة 1181 هـ.

هو محمَّدُ بنِ سالم بن أحمد الشَّافِعي؛ الشهيرُ بالحِفني، وبأبي المكارِم، نجْمُ الدين العارفُ بالله.

مولدُه ونشأتُه:

ولِدَ بحِفْنَة، قرية بالقرْبِ من بلبيس من أعمال الشرقية، سنة إحدى ومائةٍ وألفٍ، ورحَل إلى القاهرة، وأخذَ العلم عن جُلَّةِ العُلماء بالجامع الأزهر؛ كالشَّمْس الزِّيادِي، ومصطفى السِّيْوَاسِي الحنفي الضرير، والشِّهاب الملوي وأحمد الجوهري، والسَّيد محمد البُلِيدي.

تواليفه:

لهُ المؤلفاتُ النافعة في كثيرٍ من الفنون، منها حاشيةٌ على شرح السَّمَرْقَنْدِي للياسمية في الجبر والمقابلة، وحاشيةٌ على شرْح الرحبية للشَّنْشُوري في الفرائِض، وحاشيةٌ على شرْح الأشموني على الألفية، وحاشيةٌ على شرح الهمْزِية لابنِ حجر،

وحاشيةٌ على رسالةِ الوضْع، وحاشيةٌ على شرْحِ أيْسَاغُوجي، وحاشيةٌ على حاشيةِ الحفيد على مُخْتصر سعد الدين التفتازاني.

طريقتُه:

أخذ الطريقَة الخلْوَتيَّة عن القطب مصطفى بن كمال الدين البكري، وتربَّى على يديْه واشتهرتْ عنه؛ الطريقةُ الخلوتيةُ في مشارق الأرض ومغاربها في حياتِه وبعد وفاته.

وفاتُه:

توفِّي في شهرِ ربيع الأول سنةَ إحدى وثمانين ومائةٍ وألفٍ.

أحمدُ بن عبدِ الفتاحِ الملَّوِي

المتوفَّى سنة 1181 هـ

هو أحمدُ بن عبد الفتاح بن يوسف المجْبِري؛ أبُو العبَّاسِ شهاب الدين الشافعيّ الشهيرُ بالمَلَّوِي.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ في الثالثِ من شهرِ رمضان سنة ثمانٍ وثمانين وألفٍ؛ ولما أيفعَ طلَبَ العلمَ بالجامع الأزهر، وأخذَ عن جُلَّةِ شيوخِه؛ كأحمد بن الفقيه، وأحمد بن الخليفي، والبشْبِيشي وغيرهم، واشتهرَ ذكْرُه بين جمهور العلماء.

مؤلفاتُه:

له التآليفُ النافِعَةُ في كثيرٍ من الفنُون، فمن ذلك شرْحَان على السَّمَرْقَنْدِية مختصرٌ ومطوَّلٌ، ونظمها وشرحها، ورسالةٌ في البيان، وشرحُ تقريبِ رسالة ملَّا عِصَام في المجَاز، وشرحان على متْن السلم لعبد الرحمن الأخْضَري في المنطق مُطَول ومختصر، وشرحُ الأجرومية، ونظمُ الموجهات وشرحها.

وفاتُه:

كانت وفاتُه سنة إحدى وثمانين ومائةٍ وألفٍ هجْرِيَّة.

أحمدُ الدمنهوري

المتوفى سنة 1192هـ

هو أحمدُ بنِ عبد المنعم، الإمامُ في كثيرٍ من المعارفِ معقولها ومنقولها، شهابُ الدينِ الشافعيّ الحنفيّ المالكيّ الحنبليّ، كما حدَّث بذلك عن نفسه بخطِّه، الشهيرُ بالدَّمَنْهُوري.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ في حدودِ التسعين والألفِ، ولما ترعْرَع طلبَ العلم وأخذه عن مشيخةِ عصره كالشِّهاب أحمد الخليفي، وعبد الجواد الميْداني، وعبدالوهاب الشَّنَواني، وعبد الدائِم الأجْهُوري، والشِّهاب المقْدسي الحَنْبلي، وكان عالمًا بالمذاهبِ الأربعةِ أكثر من أهلها، وله يدٌ طُولى في كثيرٍ من العلوم كالكيمياء والهيئةِ والطبِّ.

وظائفُه:

تولَّى شيْخًا للأزْهر بعد وفاةِ الشَّمْسِ الحِفْني.

مؤلفاتُه:

شرحٌ على الجوْهَر المكنُون للأخْضَري في البلاغَة، سمَّاهُ حِلْيَـة اللُّـبِّ المصُـون على الجوْهر المكنُون، فرَغَ من تأليفِه سنة 1124، وشرحٌ عـلى رسـالةِ الاسـتعارات للسَّمَرْقندي، سمَّاهُ لقْط الجَوَاهر السَّنِية على الرسالة السَّمَرْقَنْدِية، وشرحٌ عـلى سـلم المنْطِق للأخْضَري، وشرحٌ على مـتْن الكَـافي في العَـرُوض والقـوافِي، واخْتَصَرـه في شرحٍ آخر.

وفاتُـه:

كانتْ وفاتُه سنةَ اثنتين وتسعين ومائةٍ وألفٍ هجريَّة.

أحْمَدُ السّجَاعِي

المتوفى سنة 1197 هـ.

هو أحمدُ بنِ شهابِ الدين أحمد بن محمد السَجاعي الشّافعي الأزهري.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ بالقاهِرة ونشأ بها، وقـرأ عـلى والـده وعـلى كثـيرٍ مـن مشـايخِ عصْرـه، وتصدَّى للتَّدْرِيس، وشاركَ في كلِّ فنٍّ حتى صارَ من أعْيَان العلماء.

شعرُه:

له شعرٌ لا بأسَ به بالنسبةِ لأهلِ عصْره، فمنْ ذلك قوله:

رامَ العـــواذِلُ لا نـــالُوا مَـــرَامَهُم   منِّي السُّلُوّ عنِ المَحْبُوبِ ذي الكُحْلِ

فقلتُ: كلَّا، فقـالوا: هـلْ لِـذَا أمَـدٌ   فقلتُ: لا زلتُ حتـى ينْقَضِيـ أجَـلِي

وقولُه في مدْح العُزْلة:

إن الــبلاءَ هــو اجــتماعُ النَّــاسِ كـمَا أوْدَعُــوا قلْبًــا عظــيمَ البَــاسِ

واعْذُر هُدِيتَ من الـورَى متحَـذِّرًا مِــنْ شَرِّهــم بــاللهِ ربِّ النــاسِ

مؤلفاتُه:

له براعةٌ في التأليفِ، ومعرفةٌ واسعةٌ باللغة العربية، فمِنْ ذلك رسالةٌ تُسَـمَّى الإحْرَاز في أنواعِ المجاز، وهي شرحٌ لمنظومَتِه في أنواعِ المجاز، وأولها:

حَمْــدًا لــربِّي خــالق الحقيقَــه كــذا المَجَــاز منــزل الشَّرِــيعَه

ورسالةٌ تسمَّى الإعْوَاز في بيان علاماتِ المجاز على منظومته في علاقاتِ المجاز المُرْسل، وحاشيةٌ على شرْحِ قطْرِ الندى لابن هشام، وحاشيةٌ على شرحِ محمد بن عبد الرحمن بن عقيل، وشرحٌ على دلائل الخيرات، وشرحٌ على أسماءِ الله الحُسْنى.

وفاتُه:

توفِّي ليلةَ الاثنين السادس عشر من صَفَر سنة سبعٍ وتسعين ومائةٍ وألفٍ هجْريَّة.

أحمدُ الدَّرْدِير

المتوفّى سنة 1201 هـ

هو أحمدُ بن محمد بن أبي حامد العدوِيّ المالكيّ الخلْوتِي، الشهيرُ بالدَّرْدِير.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ ببني عَدِيّ، وهي قريةٌ من أعمالِ أسيوط سنةَ سبعٍ وعشرين ومائةٍ وألفٍ، ورحَل إلى الأزهر وأخذَ عن كبارِ شيُوخه، وبرعَ في كثيرٍ من الفنون، واشتهر صيتُه لاسيَّما في الفقه والكلام والبيان.

مؤلفاتُه:

له رسالةٌ في البيان تُسمَّى (تحفةُ الإخْوان في علم البيان) وشرْحُها.

وقد وضَع أحمدُ الصاوي المتوفّي سنة 1241 حاشيةً عليها، ووضَع تقريرًا على الحاشِية عليُّ بن حسين المعروف بالبُولاقي، من علماءِ القرن الرابع عشر، ورسالةٌ في الاستعارات الثلاث، والشرحُ الكبير على متْن خليل، والشرحُ الصغير لمتْنِه المُسمَّى أقرب المَسالك في مذهبِ مالك، ورسالةٌ في متشابهات القرآن، ورسالةٌ في طريقةِ حفْص، ورسالةُ صلاة السيد أحمد البدوي، وشرحٌ على الشَّمائل، والتوجُّه الأسْنى بنظْم أسماءِ الله الحُسْنى، ونظم الخَرِيدة السنيَّة وشرحها في علم الكلام، وتُحْفَة الإخْوَان في آداب أهْل العِرْفان في التصوّف.

شعرُه:

من ذلك قوله:

مَن عاشَرَ الأنامَ فلْيَلْتزِمْ … سماحةَ النَّفْس وذكْر اللَّجَاج

ولْيَحْفَظ المعوجَّ مِن خُلقِهمْ … أيُّ طريقٍ ليسَ فيه اعْوِجَاج؟

وفاته:

توفِّي بالقاهرة، ودُفن بخطَّة الكحْكِيِّين، وكُتِب على ضَريحِه تاريخُ وفاتِه بحسابه الجمل (ﷺ) وهو سنة إحدى ومائتين وألفٍ هجرية.

أبو العِرْفَان الصَّبَّان:
المتوفَّى سنة 1206 هـ

هو محمدُ بن على الصَّبَّان الشَّافعي، صاحبُ المؤلفات القيِّمَة في فنونٍ كثيرةٍ من العلْم، ربِّ النَّظم الجيِّد والنَّثْر السَّهْل البديع.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ بالقاهرة، وحفِظَ الكتابَ الكريم، وجَدَّ واجتهدَ في تحصيلِ العلوم، واستمعَ إلى أشْياخ عصْره، وجهابِذة مصْره، كالملوي والسّيد البليدي، وعبد الله الشبراوي، وحسَن الجبرتي، وعطيّة الأجهوري، حتى صارت له اليد الطولى في العلوم العقلية والنقلية، واشتهرَ بالتَّحْقيق والتَّدقيق وحُسْن الحوار والجدَل، وذاعَ صيتُه بين العلماءِ في مصر والشام.

طرقُ كسْبه وعمَلِه:

كان في مقتبل عمره مملقًا خاملَ الذكر*، يستجْدِي مع العِفَّة ويستجْدي من غير كُلْفَة، اشتغل حينًا بالتوقيت بالصَّلاحية بضريح الإمام الشافعي؛ عندما جدَّدَه عبدُ الرحمن كتخدا، وسكن هناك مُدة ثم تحوَّل من ذلك، وعندما بَنَى محمد بك أبو الذهب مسجدَه تجاهَ الأزهر؛ وظف مؤقتًا به، وعمر به مكانًا بسطْحِه سكَنَ فيه هو وأولادُه، ثم اشترَى له منزلاً بحارةِ الشنواني، ثم عرفه قاضي مصر المُرْسَل من البلادِ

* مملقًا : فقيرًا، خامِلَ الذِّكر: لا شأن له.

العثمانية؛ فأرسل إليه الهدايا فأثْرَي ولبِسَ فاخِرَ الثياب، وركِبَ فارِهَ البِغَال، ثم عرفَه والي مصر وزاد في إكرامِه ورتَّب له ما يكْفِيه كل يوم من بيْتِ المال ومن بيته الخاص، من لحمٍ وسمنٍ وأرزٍ وخبزٍ، وألبسَهُ السكسي والفِراء فازدَاد وجَاهة وشهرة، وما زالتْ هذه حالُهُ حتى مات.

شعرُه:

له الشعرُ الجيد الذي يمتازُ به عن كثيرٍ من شعراءِ عصْره، فمِنْ ذلك قولُهُ في الغزل:

أهَابُكَ أنْ أجِيبَك لا لعَجْزٍ ... ولكنَّ المحبَّة أخْرسَتْنِي

وأحتمِلُ المكَارِه لا لِذُلٍّ ... ولكنَّ الصَّبَابَةَ أحْوَجَتْنِي

وقدْرِي لستَ تجْهَلُه ولكنَّ ... غرامِي باعَنِي لكَ بيْعَ غُبْنِ

فكُنْ يا ابنَ الأكابِرِ أهْل عُرْفٍ ... ولا تُكْثِرْ عليَّ مِنَ التَّجَنِّي

فَلِي جسْمٌ كسَاهُ الشوقُ سُقْمًا ... ولِي قلبٌ علاهُ كلُّ حُزْنِ

ولي في مذْهَبِ العُشَّاقِ حَالٌ ... يطولُ بذكْرِها شَرْحِي ومتْنِي

مؤلفاته:

حاز شهرةً واسعةً ببديع مُؤلفاته، فمِنْ ذلك رسالةٌ قيِّمَة في البيان شُهِرتْ باسم (الرسالة البيانية)؛ **علق عليها العلماءُ عدَّةَ حواشٍ منها:**

1. حاشيةُ محمد بن أحمد عليش المَالكيّ، المتوفي سنة 1299هـ.
2. حاشيةُ مخْلوف بن محمد البدوي المِنْياوي، المتوفّي أواخر القرن الثالث عشر.
3. حاشيةُ محمد شمْس الدّين الإنْبابِي، شيخ الأزهر المتوفّي سنة 1313هـ.

وحاشيةٌ على شرحِ العِصَام على السَّمَرْقندية، وحاشيةٌ على مختصر سعْدِ الدين في المعاني والبيان والبديع، وحاشيتُه الذائعةُ الصيت على شرحِ الأشموني للألفية، ورسالةٌ في مفْعَل، ورسالتان على البَسْمَلة: كبرى وصغرى، وحاشيةٌ على شرْح الملوي لسالم الأخْضَري في المنطق، وحاشيةٌ في آدابِ البحث، ومنظومَةٌ في مُصْطلح الحديثِ ستمائة بيْت، ومنظومَةٌ في العَرُوض والقوافِي وشرحها، ومنظومةٌ في أسماءِ أهلِ بدْر، ومنظومةٌ في ضبْط رُواةِ البخاري ومسلم، ومثلثاتٌ في اللغة، ورسالةٌ في علمِ الهيئة.

وفاته:

أُصِيبَ في أخريات حياته بالرَّبْو؛ وما زال هذا الداءُ ينْهك قُواه، والعلةُ تفتكُ بجسْمه حتى توفّي ليلة الثلاثاء من جمادى الأولى سنة ستٍّ ومائتين وألفٍ هجرية، وصلَّى عليه في الجامِع الأزهر في جمعٍ حافلٍ من العلماء والرؤساء ودُفِن بالبُسْتَانِ، تغمَّدَه الله برحْمَته كفَاء خدْمتِه العلم وأهله.

مُصْطَفى البَنانِي

المتوفى حوالي سنة 1220 هـ.

هو مُصْطفى بن محمّد بن عبد الخالِق البنانِي؛ من علماء القرنِ الثالثِ عشَر.

مؤلفاته:

له حاشيةٌ على مختَصر سعْد الدين التفتازانِي على تلخيصِ المفتاح لجلال الدين القزْوِيني، جَرَّدَ أغلبَها من هوامِش نُسْخة شيخِه الصَّبَّان، وفرغَ من تجْريدِها في العاشِر من شهرِ جُمادَى الثانية سنةَ ألفٍ ومائتين وإحْدى عشرة هجريَّة.

محمّدُ بن عرَفَة الدُّسُوقِي
المتوفَّى سنة 1230 هـ

هو محمّدُ بن أحمد بن عرفة الدُّسوقي المَالكي؛ الجامعُ لأشْتَاتِ الفَضَائِل والمَعَارِف، المنفرِدُ بتسْهيل المَعاني، وتبْيين المبَاني، اشتهَرَ في عَصْره بحلِّ المشْكلات، وفتحِ باب المُعْضلات، بأسلوبٍ عذب، وتحريرٍ بديعٍ. وكان درْسُه مجتمع أذكياءِ الطلاب والنَّابغين من ذوِي الألبَاب، إلى دَمَاثَةِ أخلاقٍ ولينِ جانب وعدمِ تَصَنُّعٍ وطرْح وتكلُّف.

مولدُه ونشأتُه:

وُلِدَ بدسُوق*، وحضرَ إلى القاهرة، وحفظَ القرآنَ، وتلقّى العلم على عليٍّ الصَّعِيدي والدَّرْدِير وحَسَن الجبرْتِي، وعن الأخير أخذَ علمَ الفلك والهندسة والتوقيت والحكمة برُوَاق الجبرْت بالأزهر.

مؤلفاتُه:

له التآليفُ السَّهلةُ العبارة، الواضحةُ الأسلوب، منها حاشيته[1] على مختصر السَّعْد على تلخيص المفتاح، وحاشيتُه على شرْح المغْني لابن هشام، وحاشيةٌ على الرّسَالَةِ العضُديّةِ في آدابِ البحْث، وحاشيةٌ على شرْح الدردير لمتْن خليل في فقهِ المالكية، وحاشيةٌ على شرح المحلي للبُردة، وحاشيةٌ على العقيدة الكبرى في علم الكلام للسُّنوسِي، وحاشيةٌ على شرْحه للصغرى.

وفاتُه:

---

* دسوق: مركز من مراكز محافظة كفر الشيخ، ولها شهرةٌ محلية داخل مصر؛ لوجود قبر إبراهيم الدسوقي بها، حيث يقامُ له احتفالٌ سنوي يحضره المريدون من كافة أنحاء القطر.

(1) قد اختصرها الحاج الآقشهري بن عثمان وطبعَتْ في الاستانة سنة 1280هـ.

لم يزلْ معْنِيًّا بالجمْع والكتابة والإفادة والإفتاء؛ إلى أن اعتلَّتْ صحَّته، وتوفّي يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين وألفٍ هجرية، وصلَّى عليه بالجامع الأزهر، في جمْعٍ حافل، ودُفن بقرافَة المجاوِرين، ورثاهُ تلميذه حسن العطار بقصيدة منها:

أحاديثُ دهْرٍ قد ألمَّ فأوْجَعَا … وحلَّ بنادِي جمْعِنا فتصَدَّعَا

لقد صالَ فينا البيْنُ أعظمَ صوْلةٍ … فلم يخلُ من وقْع المصيبةِ موْضِعَا

ومنها:

وأبْقَى بتأليفاتِه بيْنَنَا هُدى … بها يسْلُك الطلابُ للحقِّ مهْيَعَا

وحلَّ بتحريراتِهِ كلَّ مُشْكِلٍ … فلم يبْقَ للإشكالِ في ذلك مطْمَعَا

ومنها:

فقدناهُ لكن نفْعهُ الدهْرَ دائِمُ … وما ماتَ منْ أبْقَى عُلومًا لمن وَعَى

فجوزِيَ بالحُسْنى وتوَّج بالرِّضَا … وقُوبِل بالإكْرام ممَّن لهُ دَعَا

محمَّدُ الأمِيرُ

المتوفّى سنة 1232 هـ

هو محمّد بن محمد بن أحمد، الشهيرُ بالأمير، العالمُ الذي لا يتعلّق بغبارِه في علمِه وتحقيقِه ودقَّةِ فهْمِه.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ في ذي الحجة سنة أربعٍ وخمسين ومائةٍ وألفٍ من أصل مغربي، إذ هبَط أهلُه مصر وسكنُوا بلدة سنبُو من أعمالِ أسيوط؛ وفيها ولد المترجم، وقدِم به والدُه مصر وهو ابن تسع سنين، وكان قد حفظ القرآن، ولما جوَّدَه طلبَ العلمَ في الأزهر، وأخذَ عن أئِمَّة الأشياخِ فيه، واشتهَرَ فضْلُه وذاعَ ذكْرُه خصوصًا في بلادِ المغرب، وكانتْ تأتيهِ الطُّلاب من كلِّ فجٍّ، وبعثته البواعِثُ إلى الأستانة مقرّ الخلافة يومئذ، فألقَى دروسًا حضرها أعيانُ العلماء هناك؛ فاقرُّوا بفضله، وشهِدُوا بسعةِ علمه، واستجازُوه فأجازَهم، وكانت تأتيهِ الصلاتُ من سلطان المغرب كلَّ عام.

مؤلفاتُه:

صنَّف في كثيرٍ من العلوم، وكانت تصانِيفُه موضعَ الثقةِ والإجْلال؛ لما امتازتْ به من براعةِ التحرير وجودةِ التحْقِيق، فمن ذلك:

حاشيةٌ على شرْح الملوي للسَّمَرْقندية، وإتحافُ الإنس في الفرق بين اسم الجنْس وعَلَم الجنس، وحاشيةٌ على مغني اللبيب لابن هشام، ومتن المجموع في مذهب مالك وشرْحه وهو من الكتبِ القيِّمة في المذهب أيضًا، وشرح مختصرِ خليل في المذهب أيضًا، وحاشيةٌ على عبد الباقي على المختصر، وحاشيةٌ على الأزهري في النحو، وحواشٍ على قصّة المعراج.

زهدُه في الدُّنيا:

كان زاهدًا في متاعِ الدُّنيا، شديدَ الرغبة عنها، عاشَ ما عاش وماتهافتَ على صُحْبة الحُكام ولا دَاوَرَ طَغَامَةَ الظُّلَّام*، ولا جَهِد في إحْرَاز الجَاه ولا جَمْع الحُطام.

* طغامَةُ الظلّام: أراذِلُ الناس وأوغادُهم وظالمُوهم.

شعرُه:

له النظمُ المليحُ، والذوقُ الصحيح، واللسانُ الفصيح، فمن ذلك قوله:

يا حسْنَ لـونِ الشَّـمْس عنـدَ غُرُوبهـا　　في روْضِ أُنْـــسِ نزهـــةٍ للأنفـــسِ

فكأنَّـــــهُ وكأنَّهَـــا في نَـــــاظِرِي　　ذهــبٌ يجـولُ عـلى بسـاطٍ سـندسِ

وفاتُـه:

مازالت الأمراضُ تنتابُه فتضعُفُ قوتُه وتزيدُ شكْواه، ولم يزلْ يتعلّل وداعِـي المنُون عنه لا يتحَوَّل، إلى أن توفِّي يوم الاثنين عاشر ذي القعدة سنة اثنتـين وثلاثـين ومائتين وألفٍ هجرية، ودُفِن بالصَّحْراء بجوارِ مدْفن عبد الوهاب العفيفي بالقرْبِ من عِمارة قايتباي.

حسَنُ العَطَّارُ

المتوفَّى سنة 1250 هـ

هو حسنُ العَطَّار العالمُ الكاتبُ الشاعرُ.

مولدُه ونشأتُه:

ولِدَ بالقاهرة من أبويْن مغربيين، وكان أبُـوه عطـارًا، ورأى هَـواه إلى طلـبِ العلْم فأدخلَهُ الأزهرَ، وأخذَ عن أئمة أشْيَاخِه حتى برع، وتعلم كثـيرًا مـن الفنـون التي كان يُولَع بها أهلُ العصر، وأكبَّ على كتبِ الأدب فأصابَ منهـا حظًـا عظـيمًا، وأجادَ النثيرَ والنظيمَ، واتَّصَل بالفرنسيين عندما دخلُوا مصر، وتعلَّم منهم طرفًا من العلُوم الكوْنية، وعلَّمَهم العربية، وساحَ في كثيرٍ من الأقاليمِ الإسْـلامية، وعـادَ إلى مصْر فتولَّى تحريرَ (الوقائع المصرية) في ابتداءِ ظهورها في عهْد محَمَّد عـلى باشـا، ثـم انتهتْ إليه مشيخة الجامع الأزهر.

مؤلفاته:

حاشيةٌ على السَّمَرْقندية في البيان، حاشيةٌ على جمْع الجوامع في الأصُول، حاشيةٌ على شرْح الأزهرية في النحو، ديوانٌ خطب منْبَرية، منظومةٌ في النحو.

نثره:

جمَعَ نثْرَه في كتابٍ سمَّاهُ (إنشاء العَطار) من ذلك قوله:

أما بعد: فإن أحسَنَ وشْيٍ رقَّمَتْه الأقلام، وأبْهى زهْر تفتَّحت عنه الأكْمام، عاطِر سلامٍ يفوحُ بعبير المحبَّة نفْحُه، ويشرقُ في سماء الطُّرُوس صُبْحُه.

سلامٌ كزهْر الروْض أو نفْحَة الصَبا ... أو الراح تجلَّى في يدِ الرَّشا الألْمى

سلامٌ عاطرُ الأردَان، تحملُه الصبا ساريةٌ على الرَّنْد والبَان، إلى حضرة المخْلِص الوِدَاد، الذي هو عِنْدي بمنزلةِ العيْن والفؤاد، صاحب الأخلاقِ الحمِيدة، حِلْيَة الزمان الذي حلَّى به معْصَمه وجِيدَه، الذي موصولُ إحسانِه بكل فضلٍ عائد، كنْز المعارف، عقْد دُرَر الفوائِد؛ الذي أجرى أقلامَه في ميدانِ الطُّروس، أودَع فيها من لآلئِ البيان ما يفعلُ بالنُّفُوس، فعْل حُمَيَّا الكُؤوس، من معانٍ حيَّرَت المعاني[1]، وفعلت بالألبابِ ما لا تفعَلُه المثالثُ والمثانِي، تقفُ الفصاحةُ عندها وتقْفُو حدَّها.

يلهُو بأطرافِ اليَرَاع فلم يدَعْ ... قولاً يُقَال ولا بدِيعًا يُدَّعَى

شعرُه:

لم يجمعْ شعْرَه كما جَمع نثره، فمن ذلك قوله في الغزل:

أنا راضٍ منكَ يا كُلَّ المُنَى ... بالذي تهْوى على حُكْمِ الغَرَام

(1) يريد علم المعاني.

لسْـــتُ أَبْغِــي مــن زمَــاني حاجَــةً غـــيرَ أن تحْيـــا سَـــعيدًا والسَّـــلَام

وقوله:

ألزمْتُ نفْسِي الصَّبْرَ فيك تأسيًا والصَّـبْرُ أصْعَبُ ما يُقَادُ نجِيبُهُ

وبليتُ منكَ بكُلِّ لاحٍ لو تبد دى نحْوَ طوْدٍ أثقلتْهُ كروبُهُ

* * *

فلا رثيتُ لعاشقٍ لعبتْ به أيدِي المَنُون ونازعَتْهُ خطوبُهُ

أنت النعيمُ له ومن عجبٍ تعذِّ ذبُه وتمرِضُه وأنتَ طبيبُهُ

وفاتُه:

توفي سنة خمْسين ومائتين وألفٍ هجْريَّة.

إبراهيمُ البَاجُوري
المتوفّى سنة 1276 هـ

هو إبراهيمُ بن محمد بن أحمد الباجُوري الشَّافعي؛ شيخُ الجَامِع الأزهر.

مولدُه ونشأتُه:

ولدَ بباجور من أعمال المنوفية سنة 1198هـ، ونشأ بحجْر والده، وأقرأه القرآن وجوَّده، وقدِمَ الأزهر سنة 1212 ومكثَ قليلاً ثم دخَل الفرنسيُّون مصر سنة 1213 فهاجَر إلى الجيزة، وأقام بها مدةً وجيزَة، وعاد إلى الأزهر سنة 1216، وأخذ العلمَ عن جهابذَةِ عصْره؛ كالعلَّامَة الأمير وعبد الله الشرقاوي والفضَالي وحسن القويسني.

مؤلفاته:

حاشيةٌ على متْن السَّمْرْقندية فـرَغَ مـن تأليفهـا سـنة 1229 في علـم البيـان، وشرْحُ نظم التَّرْصيف في علم التَّصْريف، وحاشيةٌ على الشمائل للتِّرْمِذِي، وحاشـيةٌ على موْلد المُصطفى لابن حجَر الهيْتَمي، وحاشيةٌ على مختَصر ـ السُّـنوسي في المنطِـق، وحاشيةٌ على متْن السُّنُوسيَّة في علم الكلام، وحاشيةٌ على متْن الجـوهرة في الكـلام، وحاشيةٌ على كفايةِ العوام في الكلام، وحاشيةٌ على بُرْدة الأبوصيري*، وحاشيةٌ عـلى بانت سعاد، وحاشيةٌ على متْن السلم في المنطق، وحاشيةٌ عـلى شرْح الشَّنْشُـوري في الفرائض، وحاشيةٌ على شرْحِ ابن قاسم في فقهِ الشَّافِعي.

دروسُه:

كان مداومًا للاشْتِغال بالعلْم، وتخرّج عليه كثـيرٌ مـن نوابـغِ الأزهـر، وكـان يحضرُ درْسه بالأزهر عباس باشا الأول والي مصر، ويجلس على كـرسي مـن كـرب النَّخْل في خارج الدَّرْس، وبعد انتهائه ينثرُ النقُود على فقراءِ الطلاب.

مشيخَةُ الأزْهر:

تولى مشيخَة الأزهر سنة 1263، ولم يـزلْ بهـا حتـى كـبُرَتْ سـنُّه، وحـدث بالأزهر بعضُ حوادث اقتضَتْ تعيينَ أربعةِ وُكَلاء للقيام بما تقتضيه أعباءُ الوظيفة، برياسة مصْطفى العَرُوسي، وهم: أحمد كبوه العـدويّ المـالكيّ، وإسـماعيل الحَلَبـي الحَنَفي، وخليفة الفشْنِي الشافعي، وأحمد الصاوي الشافعي، وما زالُـوا عـلى تلـك الحال حتى توفّي الباجوري سنة ستٍّ وسبعين ومائتين وألفٍ هجرية.

---

* الأبوصيري= البوصيري، الإمام شرف الدين محمد بن سعيد، الشاعر صاحب البردة المعروف (608-696هـ). وبوصير من قرى محافظة بني سويف. توفّي بالإسكندرية، وهناك مسجدٌ مشهورٌ باسمه أمام مسْجد المُرسِي أبي العباس بحيٍّ بحري (الأنْفُوشي).

مُحمَّد الخُضَرِي
المتوفّى سنة 1288 هـ

هو محمدُ الخضَري بن مصطفى الخضَري بن حَسَن الخُضَري الشافعيّ شيخُ العُلَماء بِدِمْيَاط.

مولدُه ونشأتُه:

وُلِدَ بدِمْياط سنة 1213هـ، وكان والدُه صاحبَ معامل كبيرةٍ لصناعة الحرير، وقد عهِدَ إلى صاحبِ الترجمةِ الإشرافَ على العمال، وفتح المعامل وإغلاقها صباحًا ومساء، وكان قد اعتادَ أن يؤدِّي صلاةَ الفجر بمسجِد البحْر على شاطئِ النيل الشَّرْقي، وهو مسجدٌ كبيرٌ تُدْرس فيه العلومُ الدينيَّة والعربيَّة، وبعد الصلاة يستمعُ إلى أحدِ المدرسين؛ حتى يحينَ وقتُ فتح المعامل فيذهبُ إليها، وما زالت رغبته تزيدُ في استماع دروس العلم، والتهاوُن في أعمالِ والده؛ حتى بَرِمَ به* وبثَّ شكواهُ لشيخ العلماء، فاستدعاه واخْتبَره فوجدَهُ على جانبٍ عظيمٍ من الذكاء، فأشار على أبيه أن يجعلَه يتفرغُ لدراسةِ العلم، فأخذ يدرسُ على الشيوخ بدمياط، ثم سافرَ إلى القاهرة، وطفِقَ يدرُس العلمَ على شيوخِ العلماء بالأزهر نحو أربعِ سنوات؛ مرِضَ بعدَها بالحمَّى وأصيبَ بسببها بالصَّمَم فعاد إلى دمياط، ومكثَ يدرُس العلمَ وحده؛ حتى حَصَّل قدْرًا عظيمًا منه، واشتهَرَ ذكْرُه وقصَدَه طلابُ العلمِ من كلِّ صَوْب.

مؤلفاتُه:

له عدةُ مؤلفات أشهرُها: حاشيةٌ على شرْح ابن عقيل في النحو، وحاشيةٌ على شرْح الملوي على السَّمْرقندية في علم البيان، وحاشيةٌ على شرح الشنشوري في

---

* برم به: ضاق به.

الفرائِض، وعدَّةُ رسائل في فنونٍ مختلفة، وكان له اطلاعٌ واسعٌ في علم الفلك وضعَ فيه جداول وخرائط.

أعمالُه:

تولَّى في أُخْرَياتِ حياته مشيخةَ العلماءِ بدمياط حوالي سنة 1281هـ بعد إلحاحٍ شديدٍ عليه من أولى الأمْرِ، فقبِلَه مُرْغمًا.

صفاتُه:

كان محبوبًا لدى الناسِ محترمًا عندهم، عازفًا عن الدنيا وزخْرفها، محبًا للعلمِ وأهله.

وفاتُه:

توفّي رحمه الله بدمياط سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين وألفٍ هجرية.

مُحَمَّدُ الإنْبَابِي

المتوفى سنة 1312 هـ

هو محمدُ بن محمد الانبَابي المِصْري الشافعي؛ شيخُ الجامِعِ الأزهر.

مولدُه ونشأتُه:

ولِدَ بالقاهرة سنة 1240، وابتدأ يطلبُ العلم على أئمَّةِ علماء عصره، كإبراهيم الباجُوري ومصطفى البُولاقي وحسن القوِيسني ومحمد عليش، وجدَّ واجتهَدَ في تحصيل المعارف والعلوم العقلية والنقلية حتى برَعَ فيها، فأجازَهُ شيخُه الباجُوري وغيره سنة 1267، فبدأ يفيدُ الطلاب في كثيرٍ من العلوم في الكتبِ المتداولةِ بالأزهر في تلك الحِقْبة، وكان حَسَنَ الأسلوب؛ مُحيطًا بما يحتاجُ إليه الطالب في درْس المَسَائل التي يتلقنُها منه، حتى قيل في مدْحه:

ألا قُـلْ لآل الفضْـلِ طـرًّا وطـلاب إذا رُمْتُمُـو بـالعلمِ تثْقِيـفَ ألْبَـابِ
علـيْكُم بتحْصِـيل الفنُـون بأسْرِهـا فقد أشرقتْ للنَّاسِ بالشـمس الانِبَـابِي

مؤلفاتُه:

تقريرٌ على الشرْح المطوَّل لسعْد الدِّين، تقريرٌ على المختصَر له، تقريرٌ على جمْع الجوامع، تقريـرٌ عـلى حاشـيةِ الصَّـبَّان عـلى شرح الأشْـمُوني، تقريـرٌ عـلى حاشـيةِ السجاعي على شرْح ابن عقيل، تقريرٌ عـلى شرح الشـذور، تقريـرٌ عـلى شرْحِ قطـر الندى، تقريرٌ على شرح الأزهرية، تقريرٌ على شرح الشيخ خالِد للأجْرُومية، حاشيةٌ على الرسالة البيانية للصبان، تقريرٌ على حاشيةِ الأمير على الملوي على السَّـمَرْقندية، تقريرٌ على حاشيةِ الباجوري على السمرقندية، تقريرٌ على حاشِية الصبان عـلى شرح العِصَـام للسـمرقندية، حاشـيةٌ عـلى شرحِ مختصَرـ السُّـنوسِي، تقريـرٌ عـلى حاشـية الشرقاوي على الهُدْهُدِي، تقريرٌ على حواشي تفسـير الجلالـين، تقريـرٌ عـلى حاشـيةِ العطّار على شرح المقولات، رسالتان كبرى وصغرى في الكلام عـلى البَسْـمَلَة مـن الفقْه، رسالتان في تحقيقِ الاسْتِعارَة في نحو زيد أسد، ورسالةٌ في قولهم: مـن حفـظَ حجَّةٌ على من لم يَحْفظ.

مشيخَةُ الأزْهر:

تولَّى مشيخةَ الأزهر مرَّتين: الأولى سنة 1299 في عهد الخديو توفيق؛ وأُقِيـلَ منها إثْر الحوادثِ العُرابيَّة. والثانية سنة 1304 وما زال بهـا حتـى أقِيـل منهـا سـنة 1312هـ.

وفاتُه:

توفِّي في شهر شوال سنةَ اثنتي عشرة وثلثمائةٍ وألفٍ هجرية.

مُحَمَّدُ البَسْيُونِي

المتوفّى سنة 1310 هـ

هو مُحَّمد البَسْيُوني البِيبَانِي

مولدُه ونشأتُه:

ولد ببلدةِ بيبان من أعمالِ كُورة البحيرة*، ولما ترعْرَع وأصبحَ في سنِّ الصِّبا حفظ القرآن الكريم، ثم تعلَّم مبادئَ العلوم بكفْر بولين من بعض علمائه، وبعدئذ سافرَ إلى الأزهر الشريف وتلقَّى دروسَ العلوم العربية والشرعية على بعض علماء ذلك العصْرِ، كالشيخ الحداد والشيخ محمد الأشمُوني، وكان من زملائِه في التَّحْصِيل الشيخ حسن الطوِيل، ومن تلاميذه الإمام محمد عبده، والأستاذ محمَّد بخِيت المُطِيعِي مُفْتي الدِّيار المصرية.

خَلْقه وخُلُقه:

كان رحمَهُ الله بدينًا طويلاً فطِنًا؛ لا تخطئُه النكتةُ البارِعَةُ اللاذِعَةُ أو الساحِرَةُ السَّاخِرَةُ.

وظائفُه:

لما أُجِيزَ بإقْراء الفنُون بالأزْهر توافَرَ على التَّدْريس به حتى ممَاته، يفيد الطلاب من علمه الجم وأدبه الغزير.

وكان مع ذلك يؤدِّي بعض دروس في اللغة العربية بمدارس وزارة المعارف، فتولَّى التدريسَ بالمدرسة الخديوية ثم بمدرسَة الحقوق، فدرَّس فنونَ البلاغة في تصنيفه (حسن الصَّنِيع في المعاني والبيان والبديع) ثم نُدِب أستاذًا لحَضْرتَيْ صاحبِ

* قرية بيبان، وقرية كفر بولين من قرى مركز كوم حمادة، محافظة البحيرة.

السُّموِّ عباس حلمي ومحمد علي، نجلَيْ الخديوي توفيق، ثـم عُـيِّن مُفْتيًـا للأوقـاف الخاصة وإمامًا للخديو توفيق.

شعْرُه:

كان المُتَرْجم يقولُ الشعر، ويعرِضُه على تلميـذِه أحمـد شـوقي؛ فيتـولَّى نقـدَه ويشيرُ بمحو هذه الكلمة، وتصحيحِ تلك القافية، وحذفِ هـذا البيـت، والأسـتاذُ يغتبطُ بقوله وينزلُ على رأيه؛ وقد تحدَّث بنبوغِه إلى صاحب العرْش، وتوسَّـل إليـه أن يرسله إلى البلاد الغربية؛ ليتمَّ بها علومَه، فأجابَهُ إلى ما طلبَ، وكان ذلك سببًا في ذيُوع صيتِه وعظيمِ شهرته.

مؤلفاتُه:

لم يُحْفَـظ لنـا مـن مؤلفاتِـه سـوى كتابـه (حسـن الصـنيع في البيـان والمعـاني والبديع)، وهو يُعتبر حسنةً من حسناتِ ذلك العصر؛ الذي لم تكـنْ للمـؤلفين فيـه وجهةٌ سوى تأليفِ الحواشِي والتقريرات، مع عنايتهم بالبحوث اللفظيَّة، لا تسهيل العُلوم وضبطِ مسائلها.

وفاتُـه:

توفِّي سنة 1310هـ ألفٍ وثلثمائةٍ وعشر هجريَّة.

حِفْنِي ناصِفٌ
المتوفّى سنة 1337 هـ

هو محمّدُ حفْني بن إسماعيل ناصِف، العالمُ اللغويُّ الشاعرُ الناثرُ.

مولدُه ونشأتُه:

ولقد بقريةِ بركَة الحَج من أعمال القليوبية، ونشأ يتيمًا فقيرًا، فكفله خالُه وتولاه بحياطَتِه، ثم دخل كتَّابَ القرية، وتعلَّم مبادئَ القراءة والكتابة، وحفِظ شطرًا من القرآن الكريم، ثم طلبَ العلم في الأزهر، وجدَّ في الطلب وحصَّل كثيرًا من الفنون، ثم دخَل مدرسةَ دار العلوم وتخرجَ فيها وكان من نوابغ طلَّابها، فعُيِّن مُدرسًا بالمدارس الأميرية، ثم مدرسًا في مدرسة الحقوق، فانتهزَ هذه الفرصَة السَّانِحة، ودرس علمَ القانون، ثم عُيِّن قاضيًا بالمحاكِم الأهلية، وبقيَ في هذا المنصب سنين عدة كان في أثنائها يدرِّس الآداب العربية في الجامعة المصرية، ثم عُين رئيسًا لمفتشي اللغة العربية في وزارة المعارف، وبقيِ فيها إلى أن أُقِيل بحكم السن.

فضلُه وعلْمُه:

كان رحمه الله واسعَ العلْمِ بمفْردات اللغةِ وعُلومها وآدابها، حافظًا للكثيرِ من جيِّد منْثورها ومنْظومها، مُحيطًا بفنونها وقواعِدها، إلى علمه بسائِر العلوم التي كانت تُدرَّس في الأزهر ودار العلوم، إلى ذكاءٍ حاد، وبديهةٍ حاضرة، وخفةِ روح، ونكتةٍ بارعة، وتواضعٍ جمٍّ.

شعرُه:

كان شعرُه رصينًا سهْلاً جامعًا بين الرقَّةِ والجَزَالة، كثيرًا ما يشيرُ فيه إلى نكتةٍ بارعةٍ، أو إشارةٍ رائعةٍ تأتي بلا تكلفٍ ولا اسْتِكْرَاه.

ومن ذلك قولُهُ يخاطبُ رئيسَ الوزارة "حسين رشدي باشا"؛ ويسأله أن يمدَّ في أجل خدْمته، وهو غاية في الرقّة والظّرف والفُكاهـة:

صـاحبَ الدَّولـة يـا شـيخَ الـوِزَاره | حـاجَتي إن شـئتَ تُقضَى بإشَـاره
نالهَــا قــبْلي أُلُــوفٌ لمْ أكــنْ | دونَهُــم علــمًا ولا أدْنَــى إدَاره
نــاهز الســتين عُمْــري إنَّــما | لم أزلْ جــمَّ القُــوى جــمَّ الجَـدَاره
وإذْ لمْ يَشْــكُ مــثْلي عِلَّــةً | هــلْ مــن الحكمــةِ أن يلــزَمَ دَاره؟
إنَّ ترْكِــي خدمــةَ الأوطــانِ مــع | طولِ مـا مارسـتُ في الـدُّنْيا خُسَـاره
وحيَــاتي كُلُّهــا قضــيتُها | تــارةً في العــدلِ والتعلــيمِ تَــاره

نثـرُه:

كان كاتبًا رصينًا، وإذا هو التزم السَّجْع جاء بالأسجاع المتينة التي لا تعسُّـف فيها ولا ضَعف، ومن ثم كان قدوةَ الكتَّاب في عصـره، والمُشارَ إليه بالبنان في جمالِ الأسْلوب وسلاسَةِ النَّظم، فمن ذلك قوله يشكُرُ السيد "عـلى الليثـي" عـلى هديَّـة عنب:

وَصَل يا مولاي إلى هذا الطَّرف، ما خصَصْتَ به هـذا العبْـدَ مـن الطـرف[1]، (قفص) من عنبٍ كاللؤلؤ في الصَّدفِ، تتألفُ عناقيدُه كأنَّها من صناعةِ (النجف)[2]، ولعمْرُ الحقِّ إنها تحفةٌ من أحلى التُّحف، لايعثر عـلى مثلهـا إلا بطريـقِ (الصُّـدَف)، فقابلناهُ لثمًا بالأفواه، ورشفًا بالشفاه، واحتفيْنَا بقدومِه كل الاحتفـاء، ولم نفـرِّط في حبَّةٍ عند اللقاء، بل حللنَا له الحُبَى[3]، وقلنا لهُ أهلاً وسهلاً ومرحبًا، وأوْسَعْناه عضًّا

(1) الطرف: التحف.
(2) كلمة: مولدة.
(3) جمع حبوة: وهي ما يجمع به بين الظهر والساق من حبل وغيره.

ولثْمًا، وتناولنـاه تَجْشِـيمًا[1] وضـمًا، وحفظنـا في صُـدورِنا سرَّه المكنـون، وطويْنـاه في غُضُون البطُـون، فطربـتْ مـن تعاطِيـهِ الأرواحُ، ولا غـرْو[2] فهـو أصْـلُ الـرَّاح[3]، وانتشيْنا[4] ولم نَحْمِلْ وزْرًا، وَثَمِلْنا[5]، ولم نذقْ طعْمًا مُـرًّا، فهـو كبيـانٍ مُهْدِيـهِ سـحْرٌ ولكنَّهُ حلالٌ، ولعِبٌ إلا أنَّه كمالٌ.

وكان الأحْـرَى بهـذا العنـبِ أن يُنَـاط[6] بـالنُّحُور، أو تُـزَّين بـه الصُّـدُور، فـما هـو إلا اللؤْلُؤ ولكنه سَلِمَ من سِجْن البِحَار، وما هو إلا الدُرّ لكن ليس فيه صغَار[7].

ومــن كنــتُ بحْــرًا لــه يــا عــليُّ لا يلقُـــطُ الــــدُّرّ إلا كِبَـــارا[8]

إلى آخر القطعة وهي طويلةٌ.

مؤلفاته:

يعَدُّ في صدْر المؤلِّفين الذين ذلَّلُوا للتلاميذ تعلّم اللغةِ العربية؛ بـما ألفُـوا مـن كتبٍ وضعت على نهجٍ جديدٍ في التـأليفِ، درسَ فيهـا نابتـةُ هـذا العصرـ في مصْرـ وغيرها، ومكثتْ ردْحًا طـويلاً هـي العمْـدةُ في تعلـيم اللغـة العربيـة في المـدارس الأميرية، وهي المسمَّاةُ (بقواعد اللغة العربية) وهي مجموعةُ أجزاءٍ بعضُها في النحْـو والصرف، وبعضُها في علوم البلاغةِ.

وفاته:

توفّي رحمَهُ الله سنةَ سبعٍ وثلاثين وثلثمائةٍ وألفٍ هجريَّةٍ.

---

(1) جشمه: قرصه ولعبه.
(2) لاعجب.
(3) الخمر.
(4) سكرنا.
(5) سكرنا.
(6) يعلق.
(7) الصغير.
(8) الكبير.

أحمَدُ الحَمْلَاوِي
المتوفّى سنة 1351 هـ

هو أحمدُ بن محمد بن أحمد، الأستاذُ الجليلُ، الذي تخرَّجَ على يديه كثيرٌ من رجالاتِ العلمِ الذين لهم في النهضةِ المصريةِ آثارٌ باديةٌ للعَيَان.

مولدُه ونشأتُه:

ولِدَ بمنيةِ حَمل من كُورة الشرقية سنة ثلاثٍ وسبعين ومائتين وألفٍ وقرأ القرآنَ الكريم، وقدمَ إلى الأزهر سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين وألفٍ، فحفظَ المتُون وتلقَّى كثيرًا من العلوم الشرْعِيَّة والعربيةِ على علماء عصره، ثم دخلَ مدرسة دار العلوم، وكان من بين طلبتِها المُبَرزين، ثم تخرَّج فيها وتولَّى التدريسَ بجميع مراحِل التعليم، وكان آخرُها أن قامَ بتدريسِ اللغة العربية بدار العلوم، وله فيها آثارٌ تشهدُ بعلُوِّ كعْبِه في اللغة، فألَّف المؤلفاتِ القيِّمَة، وأنجبَ خيرةَ الطُّلاب الذين أفادُوا المدارس المصرية، وثقَّفوا نابتَةَ العَصْرِ*، وكبارَ رجالاتِ مصر.

نثرُه:

كان كاتبًا حسَن الدِّيباجَة، مُهلْهِل الأسْلُوب، تأثَّر بما تأثَّرَ به كُتَّابُ عصْرِه، من قراءةِ مقاماتِ البديع الهمذاني والحريري ومقدمة ابن خلدون، وكان حافظًا لعيُون الشِّعر وجيِّد النثْر من كلامِ الجاهليِّين والإسْلامِيِّين والمولّدِين.

شعرُه:

ليس في الشعرِ دونَه في النَّثْر، فمِنْ ذلك قوله ينصح ابنه صابرًا وهو طالبٌ بجامعة لندن سنة 1914م.

---

* نابتة العصر: يقصد الطلاب والشباب.

أَبُـــوكَ الـــبرُّ يهـــدِيكَ التحيَّـــه   كـــنفْح المِسْـــكِ عـــاطِرَة ذكيَّـــه

ويهـــدِيكَ النصَـــائِح في بـــلادٍ   بهـــا تحلُـــو النَّصـــائِح والوصـــيَّه

ثم قال:

وأمُّـك وهـــي مصْـــرُ في احتيـاجٍ   لخـــدْمَتها بـــإخلاصٍ ونيَّـــه

فقـــلْ لبنِـــي الـــبلادِ وهـــمْ كثـــيرٌ   حقـــوقُ الأمُّ نرْعاهـــا ســـويُّه

ووادِي النيـــلِ نخْدُمُـــهُ جميعًـــا   ونطلـــبُ دائـــمًا أبَـــدًا رُقِيَّـــه

تواليفُه:

كانت الحاجةُ في ذلك العصْر ملحَّة في تسهيلِ عباراتِ المؤلِّفِين في الكتبِ العربية، فنصبَ المترجم نفْسه للقيامِ بهذه المهمَّة الشَّاقَّة، فهذَّب فن الصَّرف بمؤلفه (شذا العَرْفِ في فنِّ الصَّرْف)، وعلوم البلاغة بكتابه (زهر الربيع في علومِ المعاني والبيان والبديع)، وألَّفَ موْرِد الصَّفا في سيرة المُصْطفى.

وفاتُه:

توفِّي رحِمَه الله في شهر ربيع الأول سنة 1351هـ الموافق 25 يوليه سنة 1932م.

أحْمَدُ بن مُصْطَفَى المَرَاغِي

هو أحمدُ بن مُصْطفى بن محمد بن عبد المنعِم القاضِي.

مولدُه ونشأتُه:

ولد ببلدة المراغَة من أعمالِ مديرية جرجا؛ بصعيد مصر سنة ألفٍ وثلثمائةٍ هجْرية*، من أسرةٍ عريقة في خدْمة العلم والقضاءِ، توارثَ القضَاءَ فيها خلَفٌ عن سَلَفٍ، ومن قبل هذا تلقَّبُ بأسرة القاضي.

ولما شدا وترعْرَع دخل مكتَبَ القرية، وحَفِظ الكتابَ الكريم وجوَّده، ثم رحلَ إلى الأزهر** يطلبُ فيه العلمَ سنة 1314هـ، وحفِظَ كثيرًا من المتُون المتدَاوَلة في تِلْكُم الحِقْبة، وتلقَّى العلمَ على جُلَّةٍ أشياخه كالأستاذ الإمام محمد عبده، ومحمد بخيت الحنفِي المُطِيعِي، ومحمد حسنين العدوي، وأحمد الرِّفَاعي الفيومي، في جماعةٍ آخرين، ثم اتجهتْ عزيمته إلى دُخُول دار العلوم، وكان قدْ شَارَف النِّهايَة في الدِّراسة الأزْهرية. فانتظمَ في سلك طلبتها حتى تخرَّج فيها سنة 1326، وتولَّى التدريسَ بالمدارسِ الأميرية، ثم عُيِّن ناظرًا لمدرسةِ المعلمين بالفيوم، ثم تولَّى التدريسَ بكليةِ غُرْدون أستاذًا للشريعةِ الإسلامية واللغة العربية***، ثم رجَعَ إلى مصْر أستاذًا للغة العربية والشريعة الإسلامية بمدرسة دار العلوم ولا يزال بها حتى الآن، وقد نُدِب لإقْرَاء علومِ البلاغة في كلية اللغة العربية (شعبة البلاغة والأدب) بالأزهر الشريف، وتخرَّجَ على يديْه من تفخَرُ بهم المعاهدُ الدينية من علماء التَّخَصُّصِ، وهم زهرةُ شبابها الناهِض، والقائمونَ بأعباء التدريسِ بها في مختلف الفنون.

---

* يوافق سنة 1882 ميلادية، ومديرية جرجا كانت تقسيمًا إداريًا سائدًا قبل تحويل المديريات إلى محافظات، وجرجا الآن أحد مراكز محافظة قنا، جنوب مصر.

** يقصد برحيله إلى الأزهر، سفره إلى القاهرة حيث الجامع الأزهر مكان الدراسة آنئذ.

*** كلية جوردون (غوردون)، إحدى كليَّات السودان في زمنه.

تواليفُه:

له كثير من المؤلفات التي رُزِقت حظًا من الشُّهرْة، وانتفَع بها الجمُّ الغفيرُ من الطلاب في معاهد العلم المختلفة، من ذلك كتابُ [علوم البلاغة] وهو كتاب جمع بين طريق عبد القاهر وطريق السكاكي في التأليف، وكتابُ [هداية الطالب] وهو جزءان، أحدهما في النحو والتصريف، والثاني في علوم البلاغة الثلاثة، وقد وُضِعَ مُرَاعًي فيه منهجَ الدِّراسة للمدارِس الثانوية، وكتابُ [مرشد الطالب] في علوم البلاغة وضع مُتَّبِعًا فيه الطريق الاسْتِنْتَاجيَّة ولم يُطبع بعْدُ، وكتابُ [تهذيب التوضيح] جزءان أحدهما في النحو، والثاني في التصريف وهو يدرَّس بالأزهر، وكتابُ [بحوث وآراء] في فنون البلاغة، وكتابُ [تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها] وكتابُ [الدِّيَانة والأخْلاق] وكتابُ [الموجَز في الأدب العربي] وكتابُ [الموجز في الأصول] ورسالةٌ [في مصطلح الحديث]، رسالةٌ [في شرح ثلاثين حديثًا مختارة]، رسالةٌ في تفسيرِ جُزْءِ [إنما السبيل]، ورسالةٌ في [زوجات النبي (ﷺ)]، رسالةٌ في [الحسبة في الإسلام] رسالةٌ في [الرفْق بالحيوان في الإسلام]، كتابُ [المطالعة العربية للمدارِس السودانية]، رسالةٌ في [إثبات رؤية الهلال في رمضان] رسالةٌ في [الخطَب والخطباء في الدَّوْلتين: الأموية والعباسية]، تعليقاتٌ على [أسرار البلاغة] لعبْدِ القاهر الجُرْجَاني، تعليقاتٌ على [دلائل الإعجاز]. له أيضًا، تفسيرُ [القرآن الكريم] المُسمَّى (تفسير المراغي] وضَعَه في ثلاثين جزءًا، لكنه جزءٌ من القرآن جزءٌ من التفسير، نهَجَ فيه نهْجًا جديدًا في الوضْع والترتيب وحُسْنِ الشرح والبيان، ونفْيِ الزَّائِفِ من القَصَص وما لا سَنَد له عن الأئمة، وقد تقبَّلَتْه الأمَّة بالقبُول، فجزاهُ الله عن الدِّين وأهلِه خيرَ الجزاء، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِه.

فهـــرس

تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها